مارتن أميس

الطبعة الثانية

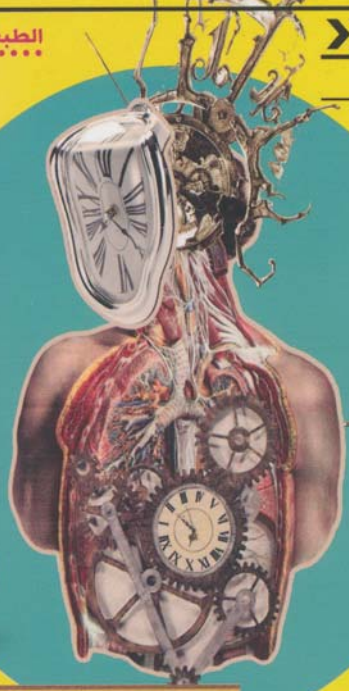

@ketab_n
Follow Me

27.5.2016

رواية

القائمة القصيرة لجائزة بوكر البريطانية 1991

السهم الزمني
طبيعة الجريمة

ترجمة:
عماد منصور

الدار العربية للنشر والتوزيع

الربيع العربي
للنشر والتوزيع

مارتن أميس

السهم الزمني

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

السهم الزمني

رواية

مارتن أميس

ترجمة: عماد منصور

الغلاف: عبد الرحمن الصواف

التصميم الداخلي: آب إمام - آب ستوديوز

الطبعة الثانية فبراير 2015

الطبعة الأولى يناير 2015

أميس، مارتن

ترجمة: منصور، عماد

السهم الزمني، رواية،

ط2 دار الربيع العربي، القاهرة، مصر.

ردمك: 978-977-5221-33-9

رقم الإيداع(مصر): 2014/27167

الربيع العربي

للطباعة والنشر والدعاية والإعلان

المدير العام: أحمد سعيد عبد المنعم

002-01141411118

002-01140848568

www.rabe3arabe.com

rabe3arabe@gmail.com

rabe3arabe

كافة الحقوق محفوظة للناشر ©

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقةٍ، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابيّ مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببضع فقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

1

كما تدين تدان

تحركتُ إلى الأمام، خارجًا من النوم السحيق،

لأجد نفسي محاطًا **بأطباء**.....

أطباء أمريكيين:

شعرت بنشاطهم المتفجّر من خدودهم مثل انتشار الشعر الكثيف على أجسادهم، واللمسة الكريهة لأيديهم الكريهة - يدي الطبيب، قوية جدًّا، نظيفة جدًّا، عطرة جدًّا. ورغم أني كنت مصاب بشلل كامل تقريبًا، إلا أنني اكتشفت أن بإمكاني تحريك عينيّ. على أي حال، لقد تحركت عيناي. ويبدو أن الأطباء يستفيدون بشكل جيد من عدم قدرتي على الحركة. شعرت أنهم كانوا يناقشون حالتي، ويناقشون أيضًا مواضيع أخرى لها علاقة بوقت فراغهم المهول: هوايات وما إلى ذلك. وواتني الفكرة في هذه اللحظة، مع مفاجأتها لي بطلاقتها وثقتها وتشكلها الكامل واستقرارها القوي: كم أكره الأطباء. كل الأطباء. كل الأطباء. جعلني هذا أتذكر النكتة اليهودية التي تحكي أن سيدة عجوز كانت تجري بلا تركيز على طول الشاطئ صائحة: النجدة، ابني الطبيب يغرق. شيء مدهش في رأيي. أرى أن كبرياءها شيء مدهش: بل إنه أكبر من حبها. ولكن لماذا الفخر بهؤلاء الأبناء الأطباء (ولماذا ليس العار، لماذا ليس الرعب

Twitter: @ketab_n

الكامل؟): هؤلاء المرافقون للبكتيريا ذات الأشكال العصوية والشعرية، وأصدقاء الرضوض والغنغرينا، مع مفرداتهم المثيرة للتقزز وأثاثهم المثير للغثيان. (الفوطة المطاطية الملوثة بالدم، المعلقة على خطّافها). إنهم حراس بوابة الحياة. وما الذي يجعل أي شخص راغبًا أن يكون كذلك؟

كان الأطباء من حولي يرتدون، بطبيعة الأمر، ملابس الراحة؛ فقد كانت تنبعث منهم رائحة شخص معتد بنفسه قد لوحته الشمس، مع توافق لا يتأتّى إلا من خلال الإحساس بالأمان في وسط المجموعة. بالنظر إلى ظروفي، فقد أجد أسلوبهم هذا تلقائيًا بشكل مهين. إلا أنني رغم هذا شعرت بالاطمئنان بسبب انعدام الخيال لدى هؤلاء الأطباء أو المهرجين أو أصحاب العضلات، هؤلاء الخبراء بالنشاط، وهو شيء له علاقة بسعيهم غير السعيد نحو الحياة الجيدة. الحياة الجيدة، على الأقل، أفضل من الحياة السيئة. فالحياة الجيدة تعني ركوب الأمواج، على سبيل المثال، والصفقات المريحة مع المستقبل، والفروسية والطيران الشراعي والعشاء الطيب. حلمت في نومي بأنني... لا لم يكن الأمر كذلك. لأوضحه بهذه الطريقة: مهيمنًا على الظلام الذي خرجت منه لتوّي كان هناك شخص، ذو شكل ذكري، بوهج لا يمكن تخيّله بأي شكل من الأشكال، وكان يتسم بأشياء مثل الجمال والذعر والحب والقذارة، وفوق هذا كله، القوة. بدا هذا الجوهر أو الشكل الذكري وكأنه يرتدي معطفًا أبيض (رداء طبي باهر البياض)، وحذاءًا

Twitter: @ketab_n

أسود. وبدت على وجهه ابتسامة ذات شكل محدد. أعتقد أن الصورة ربما كانت صورة سلبية شبحية للطبيب رقم 1 - في سترته الرياضية السوداء وحذاء «باور بلاك» الخفيف والجفول الموحي بالرضا الذي يمنحه وهو يشير إلى صدري بهزة من يديه.

يمر الوقت الآن بشكل لا يمكن تعقبه، فقد استسلم الوقت لصالح الصراع، مع السرير الذي بدا كالمصيدة أو الحفرة، تغطيه الشبكات، مع إيحاء ببدء رحلة مريعة نحو سر مريع. ما هي علاقة السر بذلك؟ إنه هو، نعم إنه هو: أسوأ رجل في أسوأ مكان في أسوأ وقت. بالتأكيد أزداد قوة بمرور الوقت. أتى أطباء وذهبوا، بأيدي ثقيلة وأنفس ثقيلة، ليزدادوا إعجابًا بغرغرتي ونزواتي الجديدة، واختلاجاتي الأكثر إبهارًا، واهتزازاتي الرياضية. غالبًا ما كانت تأتي ممرضة، بمفردها، تمشي في هيئة رائعة. وكان يصدر عن زيّها ذي اللون الكريمي صوت خشخشة، صوتًا شعرت معه أنني أضع فيه كل اشتياقي وثقتي. وهذا لأنني في هذه المرحلة قد تحسنت بشكل كبير، وبدأت في الشعور بقوة حقيقية. لا يمكن أن يكون الوضع أفضل من ذلك. عاد الإحساس ورفاهياته أولًا إلى جانبي الأيسر (فجأة) ثم إلى جانبي الأيمن (بخفة مذهلة). حتى أنني اقتنصت مديح الممرضة بانحناءات ظهري الرشيقة، بدون مساعدتها تقريبًا، عندما وضعت اللوح الخاص بها أسفلي..... على أي حال، فهأنذا أرقد هناك، في وضع من الاحتفال الهادئ، مهما كان طوله،

Twitter: @ketab_n

حتى ساعة الشر، ومجيء الممرضين. أستطيع التعامل مع الأطباء الذين يلعبون الجولف، ولم تكن الممرضة مؤهلة بشكل خاص. ولكن كان هناك الممرضين، الذين تعاملوا معي بالكهرباء والهواء. حضر ثلاثة منهم. بجو غير احتفالي. أسرعوا داخلين إلى الغرفة ولفوني في ملابسي وانتقلوا بي على نقالة إلى الحديقة. هذه صحيح. ثم بقفزة إلى الأمام، كجهازي هاتف (أبيض-أبيض-ساخن)، ضربوا على صدري بقوة. وأخيرًا قبل أن يرحلوا، قبلني أحدهم. أعتقد أنني أعرف اسم هذه القبلة. إنها تدعى قبلة الحياة. ثم لابد أنني فقدت الوعي بعد ذلك.

عندما عاد إليّ الوعي كان ذلك بطنين مسموع في أذني، مع وعي غني بوحدتي وإحساس بالحب والإعجاب تجاه الجسد الصلب الذي كنت في داخله، والذي أصبح الآن مشغولًا وغير مهتمًا، وممتدًا على قاع الأزهار ليعدّل من حزمة مفكوكة من الياسمين البري على الحائط الخشبي. تقلب الجسد الكبير بين اليمين والشمال، بسرعة بطيئة: نعم، فهو يعرف قدراته فعلًا. استمرت رغبتي في الاسترخاء والتطلع عن قرب إلى الحديقة، ولكن شيئًا ما لا يعمل بشكل جيد. شيئًا ما لا يعمل بشكل جيد: هذا الجسد لا ينصاع للأوامر الصادرة من إرادتي. انظر حولك، قلت لنفسي. ولكن عنقه تجاهلني. عيناه لها أجندتها الخاصة. هل هذا حقيقي؟ هل نحن على اتفاق؟ لم أستسلم للفزع. انشغلت بالرؤية المحيطة، فقد كانت، في نهاية الأمر، أفضل شيء متاح

Twitter: @ketab_n

بالنسبة لي. رأيت نباتات ملفتة تتمايل وترتعش، كنبضات أو انفجارات ناعمة في جانب رأسي. وخضرة شاحبة محيطة غارقة في ضوء شاحب وكأنها... وكأنها نقود أمريكية. استمر سيري العابث حتى أظلم المكان. ثم وضعت الأدوات في الكوخ. مهلًا. لماذا أسير بظهري نحو المنزل؟ مهلًا، هل ما يبدو في الأفق هو الغسق أم الفجر؟ ما هو.. ما هو تعاقب الرحلة التي أقوم بها الآن؟ ما هي قواعدها؟ لماذا تغني الطيور بصوت غريب للغاية؟ إلى أين أنا متجه؟

أيّا كان الأمر، يبدو أن نظامًا ما بدأ في تشكيل نفسه. ويبدو أنني على وشك أن أحيط بالأمور.

أعيش هنا، في أمريكا ذات حبال الغسيل وصناديق البريد، أمريكا المسالمة، الدمثة، ذات اللون البدائي وبوتقة الانصهار، أمريكا «أنت-بخير-أنا-بخير». اسمي بالطبع هو، تود فرندلي. تود تي فرندلي. أصبحت هناك. أصبحت هناك في "أيام الشباب البريئة» أو خارج «هانكس هاردوير وورلد» أو على رقعة من العشب بجوار قاعة المدينة البيضاء، دافعًا صدري إلى الأمام وواضعًا يدي على الفخذي مع نوع الصمت الذي يقول «هوو-هو-هوو». لأنني الآن من هذا النوع من الرجال. أصبحت هناك - أصبحت هناك في متجر الألبان وفي مكتب البريد أقول للناس «مرحبًا «، «الوداع الآن» و»جيد جيد». ولكن الأمر لم يمض تمامًا بهذا الشكل. فقد كان الكلام يجري كالتالي:

تقول السيدة في الصيدلية : «ديج، ديج».

Twitter: @ketab_n

وأرد عليها قائلًا: «ديج، كلاح فيك؟»

«موي نتأ فيك؟»

وسترد عليّ قائلةً: «مممه»، وهي تزيل اللفائف عن سائل الشعر الخاص بي. أمضي بعيدًا، بظهري، بلمسة من قبعة. أتحدث بمطلق إرادتي، بنفس الطريقة التي قد يتحدث بها أي شخص آخر. وللحقيقة، فقد استغرق مني الأمر بعض الوقت لأدرك أن الزقزقة المثيرة للشفقة التي أسمعها في كل مكان من حولي كانت، في الحقيقة، كلامًا بشريًا. يا للمسيح، حتى القبّرات والعصافير أصبح صوتها أكثر جلالًا. كنت أترجم هذا التغريد البشري، بدافع الفضول. وبعد ذلك فترة قليل تمكنت من إتقانه وأصبحت طليقًا فيه حتى أنني يمكنني الآن الحلم به. هناك في رأس تود، لغة أخرى، لغة ثانية. أحيانًا ما نحلم بتلك اللغة أيضًا.

رغم ذلك، فها نحن أولاء، بقبعات ذات حواف مصقولة وبذلات أنيقة، مع جريدة الجازيت مدسوسة تحت أذرعنا، نمر عبر الطرق الصغيرة (المسكونة بازدحام)، وصناديق البريد المعنونة (ويلز، كوهين، ريزيكا، ميلياجرو، كلودزينسكي، شيرينج-كالبوم، وما إلى ذلك)، والطموح الهادئ لكل منزل (الرجاء احترام حقوق المالك)، الباصات المملوءة بالأطفال والعلامات الصفراء التي تشير إلى «قلل السرعة-أطفال» والشكل الأسود الذي يثير الصغار بحقيبته السوداء المقبوض عليها (بالطبع فهو لا ينظر حوله لأنه مشغول بالجري. التمايل الصريح في الوجه والعينان. لا يلقي

Twitter: @ketab_n

بـالًا للسـيارات: فقـط يهتـم بحقـه في ممارسـة قـواه الأرضيـة). عندمـا يمـر الأطفـال الصغـار بخطـوات صغـيرة أمامـي في المتجـر الصغـير أمنـح شـعورهم الطويلـة المداعبـة القديمـة الطاهـرة. تـود فرنـدلي. لا يمكنـني الوصـول إلى أفـكاره، ولكـني غـارق في مشـاعره الخاصـة. أبـدو كتمسـاح غـارق في نهـر مليء بنغمـة المشـاعر الخاصـة بـه. أصدقـك القـول؟ يبـدو الأمـر أن كل لمحـة وكل زوجـين مـن العيـون، حـتى عندمـا يضيقـان للتفحـص فيمـا أمامهـا، ترسـم نقطـة عـلى شيء مـا داخـلي، وأشـعر بحـرارة الخـوف والعـار. هـل هـذا مـا أتجـه إليـه الآن؟ وخـوف تـود، عندمـا أتوقـف وأتأمـل فيـه قليـلًا، يبـدو لي خوفًـا مرعبًـا فعـلًا، ولا يمكـن تفسـيره. يتعلـق الأمـر بالتشـويه الـذي حـدث لـه. مـن ارتكبـه في حقـه؟ كيـف يمكـن إلغـاءه؟

راقـب معـي. نـزداد شـبابًا. ونـزداد قـوةً. بـل ونـزداد طـولًا. لا يمكنـني التعـرّف بشـكل دقيـق عـلى هـذا العالـم الـذي نعيـش فيـه. يبـدو كل شيء مألوفًـا ولكنـه لا يبعـث عـلى الاطمئنـان عـلى الإطـلاق. بعيـدًا عـن كل هـذا. فإنـه عالـم مليء بالأخطـاء، الأخطـاء المتناقضـة بالـذات. يبـدو جميـع النـاس وكأنهـم يـزدادون شـبابًا، ولكـن لا يبـدو أنهـم يهتمـون بذلـك بأكـثر ممـا يهتـم تـود. لا يـرون في هـذا الأمـر شـيئًا مخالـف للبديهـة، ربمـا يرونـه مثـيرًا للاشـمئزاز بشـكل ضئيـل جـدًّا، وكذلـك الحـال بالنسـبة لي. رغـم ذلـك، أشـعر بالعجـز وبعـدم قـدرتي عـلى القيـام بـأي شيء حيـال ذلـك. لا يمكنـني أن أرى في نفـسي اسـتثناءًا لذلـك. هـل يحمـل الآخـرون شـخصًا مـا

Twitter: @ketab_n

يعيش داخلهم، مسافر أو طفيلي، كما هو الحال معي؟ كم هم محظوظون. أراهن أنهم لا يحلمون الحلم الذي يروادنا. الإنسان ذو المعطف الأبيض والحذاء الأسود. وفي أعقابه، تهب عاصفة جليدية من الرياح والثلج، كعاصفة من الأرواح البشرية.

في كل يوم، عندما ننتهي أنا وتود من قراءة الجازيت، نعيدها إلى المتجر. حيث ألقي نظرة على سطر التاريخ ويسير الأمر هكذا. بعد 2 أكتوبر تجد 1 أكتوبر. وبعد 1 أكتوبر، تجد 30 سبتمبر. كيف يمكن تفسير ذلك... يقال عن المجانين أنهم يحتفظون بفيلم أو مسرح معدّ في عقولهم حيث يمكن أن يرتبوه ويزيّنوه ويتحركوا من خلاله. ولكن تود، كما يبدو ظاهريًا، شخص عاقل، وعالمه يبدو مشتركًا في ذلك. يبدو لي الأمر وكأن الفيلم يتحرك إلى الوراء باستمرار.

ولكني لست بريئًا تمامًا.

على سبيل المثال، اكتشفت أنني أحمل مقدار معقول من المعلومات الخالية من القيمة، أو المعلومات العامة، إذا كان هذا رأيك. ط = ك.س^2 (الطاقة تساوي حاصل ضرب الكتلة في مربع سرعة الضوء). سرعة الضوء 186000 ميل في الثانية، ليس بطيئًا على الإطلاق. والكون محدود ورغم ذلك فإنه بلا حدود. وفيما يتعلق بالكواكب، فهي عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل، أورانوس، نبتون، بلوتو - بلوتو المسكين، الأقل من الصفر، غير الاعتيادي، المصنوع من الجليد والصخور والبعيد كل البعد

Twitter: @ketab_n

عـن الـدفء والضيـاء. الحيـاة ليسـت وعـاء مـن الكـرز. إنهـا أخـذ وعطـاء. تربـح أحيانًـا وتخسـر أحيانًـا أخـرى. الأمـر متعادل في النهايـة، ويعـوض بعضـه بعضًـا. كمـا تديـن تـدان. 1066، 1789، 1945. لـديّ حصيلـة رائعـة مـن المفـردات. (كائـن دقيـق أحـادي الخليـة، قابـل للانمـكاش، جبّانـة، السـياق المتناظـر، «الحركـة المضـادة لفصـل الكنيسـة عـن الدولـة») إلى جانـب تمكّـن لا مبـالي مـن جميـع القواعـد النحويـة. الفاصلـة العليـا الـتي تـدل عـلى الملكيـة في «الرجـاء احـترام حقـوق المالـك» ليسـت في مكانهـا الصحيـح. (ولا الفاصلـة الموجـودة عـلى اللوحـة في الطريـق 6 الـتي تصـف وتمـدح «خزانـة خمـور روجـرز»). بعيـدًا عـن الكلمـات الـتي تـدل عـلى الحركـة أو العمـل، والـتي تجعلـني أهـرع فـورًا إلى علامـات الاقتبـاس («يمنـح»، «يسـقط»، «يـأكل»، «يتغـوّط»)، فـإن اللغـة المكتوبـة تقـدم معـاني بسـيطة، عـلى خـلاف المنطوقـة. هـاك نكتـة أخـرى: «نادتـني وقالـت، تعـال لزيـارتي. لا يوجـد أحـد في المـنزل، ذهبـت لزيارتهـا، ويمكـن تخمـين مـا حـدث. لـم يكـن هنـاك أحـد في المـنزل" مـارس هـو إلـه الحـرب عنـد الرومـان. وقـع نارسيسـوس في حـب انعكاسـه، في حـب روحـه ذاتهـا. إذا أبرمـت أي صفقـة مـع الشـيطان فهـو يريـد أخـذ شيء منـك في المقابـل، لا تسـمح لـه بأخـذ مرآتـك. ليـس مرآتـك، الـتي هـي انعكاسـك، الـذي هـو نظيرك المقابـل، وهـو مـن يشـاركك أسرارك. يمكننـا قـول شيء مـا عـن الشـيطان: فهـو يتـصرف بنـاءًا عـلى إرادتـه المطلقـة وليـس مجـرد متّبـع للأوامـر.

Twitter: @ketab_n

لا يمكن لأحد أن يتّهم تود فرندلي أنه واقع في حب انعكاسه. على العكس، فلم يكن يتحمّل النظر إليه. فهو يعتني بنفسه باللمس فقط، حيث يفضل موسى كهربائي ويقوم بحلاقة شعره بنفسه باستخدام مقص خشن من مقصات المطبخ. الله وحده يعلم كيف يبدو. توجد العديد من المرايا في منزلنا، كما لك أن تتوقع، ولكنه أبدًا لم ينظر أو يقف أمام أي منها. ورغم ذلك، تأتيني تلميحات من وقت آخر عبر نوافذ المتاجر المظلمة؛ وأحيانًا أخرى أرى صورة مشوهة في لمعة الصنابير أو السكاكين. يمكن القول أن فضولي متشبّع بالخوف بشكل كبير. كما أن جسده ليس بذلك الجسد الواعد على الإطلاق: فهناك البقع الهائلة على ظهر يده، والجذع الهزيل الذي تنبعث منه روائح الدجاج والنعناع، والأقدام. مررنا ببعض الأمريكيين كبار السن الظرفاء في شوارع ويلبورت، ورجال عجائز يشبهون البراميل الصغيرة وكلاب البحر القوية وضخمة البنية، وبدوا في حالة «رائعة» في الحقيقة. تود ليس رائعًا رغم ذلك. ليس بعد. فما زال بائسًا ومحطمًا بشكل كبير، منحنيًا بشكل كامل، متشككًا وشاعر بالعار. وماذا بشأن وجهه؟ حسنًا، لقد حدث الأمر ذات ليلة، بين حلمين بشعين. تمكن بصعوبة من الوصول إلى المرحاض المظلم، ووقف ومازالت آثار النوم لم تفارقه منحنيًا على الحوض، شاعرًا بالضياع، وبفقدان شخصيته ومحاولة تهدئة نفسه أو استرداد رباطة جأشه بالماء الجاري. تأوه تود واستقام في مواجهة المرآة المظلمة وبحث عن المفتاح الكهربائي. فعل ذلك بسهولة.

Twitter: @ketab_n

مـن المفـترض أن يتـم ذلـك بسرعـة الضـوء. بثبـات الآن. كان الأمـر كمـا يـلي....

توقعـت أن أبـدو كـشيء بشـع ولكـن هـذا كان سـخيفًا. يـا للمسـيح، بالفعـل فإننـا نبـدو كـسيئ بشـع. كـبراز الأبقـار في الحقيقـة. واو. هـل يوجـد حقًـا أي شـخص أمامـي الآن؟ نعـم: ببـطء اتخـذ شـكله - رأس تـود. محاطًـا بأذنـين تبـدوان كجيتاريـن عظيمـين، يمتـد شـعره خفيفًـا عـلى جلـد رأسـه الـذي يبـدو كقـشر البرتقـال، عـلى شـكل ديـدان بيضـاء. ناعـم الملمـس كذلـك. هـذا مـا أعتقـده: في كل صبـاح يقـوم بتعبئـة المخلفـات الـتي تنبعـث مـن رأسـه، وكل شـهر تقريبًـا، يأخذهـا للصيدليـة مقابـل 3.45 دولار تقريبًـا. والشيء نفسـه بالمسـحوق ذو الرائحـة الطيبـة الـذي ينبعـث مـن لحمـه المذنـب بشـكل غامـض... بينمـا يحمـل الوجـه: بـين أطلالـه وآثـاره، الـتي لا تـدل عـلى شيء، عاصفـة مـن التعبـيرات حـول العينـين، وحـس دعابـة قـوي، سري، بشـكل لا يمكـن التسـامح فيـه، وخـوف كبـير. أغلـق تـود المصبـاح، وقفـلَ عائـدًا إلى السريـر واسـتأنف كابوسـه. تنبعـث مـن ملاءات السريـر الرائحـة البيضـاء للخـوف. بينمـا أسـتمر أنـا في التزامـي أن أشـتمّ مـا يشـتمّه، بـودرة الأطفـال، رائحـة أظافـره قبـل أن تلفظهـا النـيران، يعـثر عليهـا في الطبـق ثـم يعيدهـا بألـم إلى أطـراف أصابعـه المرتعشـة.

هـل هـذا مـا أتخيّلـه أنـا فقـط، أم أن هـذه طريقـة غريبـة للاسـتمرار في الحيـاة؟ الحيـاة كلهـا، عـلى سـبيل المثـال، وكل أنمـاط الإعاشـة، وكل المعـاني (ومقـدار كبـير مـن المـال) تنبعـث

Twitter: @ketab_n

مـن جهـاز مـنزلي واحـد: مقبـض المرحـاض. في نهايـة اليـوم، قبـل تنـاول قهـوتي، أذهـب إلى المرحـاض، حيـث أجدهـا في انتظـاري، رائحـة الـدفء المهينـة. أخفـض بنطـالي وأتعامـل مـع المقبـض السـحري، أجـده فجـأة هنـاك، مكتمـلًا مـع ورق التواليـت الـذي تسـتخدمه ثـم تلفـه بمهـارة مـرة أخـرى عـلى البكـرة. بعـد ذلـك، ترفـع بنطالـك وتنتظـر زوال الألـم، ألـم العمليـة برمتهـا، ألـم التبعيـة الكاملـة. لا عجـب أننـا نـصرخ أثنـاء القيـام بذلـك. نظـرة سريعـة إلى المـاء النظيـف في المرحـاض. لا أعـرف، ولكنهـا تبـدو لي طريقـة مريعـة للحيـاة. ثـم كـوبيّ القهـوة منزوعـي الكافيـين قبـل الذهـاب للنـوم.

لا يبـدو تنـاول الطعـام جذابًـا جـدًّا كذلـك. في البدايـة، أقـوم بـرصّ الأطبـاق النظيفـة في غسـالة الأطبـاق، الـتي تعمـل بشـكل جيـد عـلى مـا أعتقـد، مثل جميـع أجهـزة توفـير المجهود الأخـرى الخاصـة بي، حـتى يظهـر أحـد الأوغـاد البدنـاء في زيـه الخـاص ويصيبهـا بالشـلل مسـتخدمًا أدواتـه. تسـير الأمـور بشـكل جيـد حـتى تلـك اللحظـة: ثـم تختـار طبقًـا ملونًـا، وتجمـع بعـض فتـات الطعـام مـن سـلة القمامـة وتسـتقر قليـلًا لفـترة قصـيرة. تتجمـع بعـض الأشـياء في فمـي، وبعـد إجـراء عمليـة مسـاج ماهـرة بلسـاني وأسـناني أتمكـن مـن نقلهـا إلى الطبـق أمامـي لإجـراء مزيـد مـن عمليـة النحـت بالسـكين والشـوكة والملعقـة. لا يبـدو هـذا سـيئًا بشـكل كبـير، مـا لـم يكـن مـا تتناولـه حسـاءً أو شـيئًا مـاء، حينهـا يصبـح الأمـر عقابًـا حقيقيًـا. بعـد ذلـك تبـدأ في أعمـال التبريـد الـتي تسـتغرق

Twitter: @ketab_n

جهـدًا كبـيرًا، وأعمـال إعـادة التجميـع والتخزيـن قبـل إعـادة هـذه الأغذيـة إلى المتجـر، حيـث أتلقـى، لا بـد لي أن أعـترف، تعويضًـا سريعًـا وكريمًـا عـن آلامـي. ثـم أمـضي حـتى نهايـة الممـرات بالترولـلي أو السـلة حيـث أعيـد كل علبـة إلى مكانهـا الصحيـح.

أمـر آخـر يصيبـني بالإحبـاط في هـذه الحيـاة الـتي أعيشـها: القـراءة، فأنـا أقـوم مجهـدًا كل ليلـة لأبـدأ يومـي - وبمـاذا أبـدأ؟ ليـس بكتـاب. ولا حـتى بصحيفـة الجازيـت. لا. سـاعتين أو ثلاثـة أقضيهـا في قـراءة صحيفـة صفـراء ذات أسـلوب صـارخ. أبـدأ مـن أسـفل العمـود وأشـق طريقـي إلى أعـلى الصفحـة لأجـد أن كل القصـص تـم تلخيصهـا بـلا إتقـان بخـط بارتفـاع بوصـة. «رِجـل يلـد كلـب» أو «زاحـف مجنـح يغتصـب ممثلـة ناشـئة». وقـرأت أن جريتـا جاربـو ولـدت مـرة أخـرى في صـورة قطـة. كل هـذا الـكلام عـن التوائـم . جنـس فائـق شـمالي عـلى وشـك الهبـوط مـن السـحب الجليديـة الكونيـة؛ سـيحكم الأرض لألـف سـنة قادمـة. وكل هـذا الـكلام حـول أتلانتـس. عـلى مـا يبـدو، فـإن عمـال النظافـة هـم مـن أحـضروا لي مـادة القـراءة هـذه. أقـوم بجـر الأكيـاس، الـتي خرجـت، كمـا يبـدو، مـن الفكـين الهائلـين، للعنـف الصناعـي، لعربـة القمامـة. وبعدهـا أجلـس لأغرغـر السـوائل لأخرجهـا إلى الكـوب أمامـي، ثـم أقـوم بامتصـاص المخلفـات الكريهـة الأخـرى حـتى تختفـي تمامًـا. لا يمكنـني الامتنـاع عـن ذلـك. فأنـا تحـت رحمـة تـود. مـا الـذي يجـري، أقصـد في العالـم؟ لا أعتقـد أنـني سـأعرف ذلـك أيضًـا. باسـتثناء عندمـا تبتعـد عينـا تـود عـن كلمـات كويـك المتقاطعـة

Twitter: @ketab_n

في الجازيت. معظم الوقت أجد نفسي محدقًا بثبات في أشياء مثل عكس صغير *(3)* أو ليس متسخًا *(5)*. يوجد رف كتب في غرفة المعيشة. وراء زجاجه المترب تقف كعوب الكتب المتربة تلفت نظري. ولكن الأمر لا يكون كما أتوقع. بدلًا من ذلك، أجد «حياة الحب على كوكب بلوتو، «يقول القرد أنا جا جا جبور»، «خمسة تواءم سيامية!»

يظهر الآن علامات إيجابية مع مرور الأعوام. وأعتقد أن عصر ريجان يفعل الأعاجيب في معنويات تود.

من الناحية الجسدية فأنا في حالة رائعة جدًّا. فلم أعد أشعر بالألم طوال الوقت في الكاحل والركبة والعمود الفقري والعنق، وأحيانًا لا أشعر بألم في هذه الأجزاء على الإطلاق. أصبحت أذهب إلى مقاصدي بشكل أسرع مما اعتدت: الطرف الآخر الغرفة، مثلًا. حيث أكون هناك قبل أن تعرف بذلك. مشيتي ثقيلة تقريبًا. فقد تخليت عن ذلك الجسد النحيل الخاص بي منذ وقت طويل.

نمرّ أنا وتود الآن بمشاعر رائعة حتى أننا اشتركنا في أحد الأندية وبدأنا في ممارسة التنس. ربما كان ذلك قبل الآوان. لأن ذلك، على الأقل، يسبب ألمًا مريعًا في ظهرنا. إن التنس لعبة شديدة الغباء، في رأيي: قفزات الكرة العشوائية من الشبكة أو شبكة الأسلاك في ظهر الملعب، وأربعة منا يضربونها من مكان لآخر حتى يضعها مستهل الضربات، بشكل يبدو لي اعتباطيًا تمامًا، في جيبه. ورغم ذلك نقفز ونطلق ضحكاتنا، بسعادة كافية. نتحادث بمرح ونتمازح:

Twitter: @ketab_n

أحزمتنا، دعائم مرافقنا. وتصدر المضارب صوت «باب». تود مشهور، يبدو الرجال وكأنهم ينظرون إليه بإيجابية. لا أعرف كيف ينظر إليهم تود، باستثناء أن الغدد التي يحملها تخبرني أنه لا يلقي إليهم اهتمامًا خاصًا أو أي اهتمام على الإطلاق.

نقضي معظم الوقت جالسين في قاعة النادي نلعب الورق. قاعة النادي هي المكان الذي أرى فيه الرئيس في التلفاز المثبت على الحائط. نعم، نحن الرجال الكبار، الرجال العجائز بالنمش على وجوههم، وعصائر الفاكهة أمامهم، جميعهم يسخرون من الرئيس: تقطيباته وأخطاءه المرتبكة، وشعره المهذّب بموضة عالمية. يحب تود الجلوس في قاعة النادي ولكن في قاعة النادي يوجد الرجل الذي يكرهه ويهابه. الرجل ذو اسم «آرت»، رجل ضخم آخر من كبار السن، مشهور جدًّا بميله للعنف، ويتكلم بصوت ذو قوة وتأثير مهولين. حتى أنني شعرت بالرعب عندما حدث ذلك أول مرة، عندما حضر «آرت» إلى المنضدة التي نجلس عليها، وضرب تود ضربة يمكن القول أنها على مؤخرة عنقه حتى انكسر عنقه تقريبًا، صائحًا عاليًا بشكل لا يصدق: «أنت تأكلهم أحياءً»

قال تود: «نعم. ماذا؟»

انحنى أكثر وقال: «قد يصدق الآخرين ذلك الهراء، فرندلي، ولكني أعرف ما تسعى وراءه"

«أوه، لعلك تبالغ كثيرًا»

Twitter: @ketab_n

صاح آرت: «هل ما زلت تطاردهم؟» وانطلق مبتعدًا مرة أخرى.

في كل مرة نحاول فيها التسلل أمام منضدة آرت، يحدث صمت مؤقت ثم تنطلق همسات كثيفة تجد طريقها حتى الطرف الآخر من القاعة: «تود فرندلي: لديه مؤخرة أكبر من مقعد المرحاض" يستاء تود من ذلك. فهو لا يوافق على ذلك بأقل قدر ممكن.

رغم ذلك، فمن الصحيح هذه الأيام أن تود فرندلي يتجول بعينيه في المتجر الصغير متفحصًا أجساد الفتيات المحليات أثناء ملئهم عرباتهم بالبضائع. الكواحل، والتقاء الأفخاذ، ومداخل الترقوة والشعر. ويتضح أيضًا أن تود لديه خزينة سوداء تمتلئ بصور نساء داخلها. سيدات عجائز مبتهجات في أزياء الحفلات وبذلات رسمية. رسائل مزينة بشرائط وقلادات من الذهب، وحلى صغيرة تافهة تعبر عن الحب. وفي قاع الخزينة، حيث لا يفتش تود كثيرًا، يصبح النساء أكثر شبابًا بشكل ملحوظ ويظهرون في أردية قصيرة وفي بدلات سباحة. إذا كان كل هذا يعني ما أعتقد أنه يعني، فقد نفد صبري ولم أعد أستطيع الانتظار. لا أعرف ما يعني قولي أنني أشعر بالتعب من صحبة تود. نحن شركاء في هذا الأمر بشكل مطلق. وليس من الخير له أن يبقى وحيدًا هكذا. إن عزلته مطلقة. لأنه لا يعرف أنني هنا.

نكتسب العادات الجديدة طوال الوقت. العادات

Twitter: @ketab_n

السيئة، في رأيي هي العزلة، حيث ترى تود يرتكب الخطايا بمفرده. فقد أصبح أكثر ميلًا للكحول والتدخين. ويبدأ يومه بهذه الخطايا - زجاجة النبيذ الأحمر الهادئة، والسيجار الباعث على التفكير، ألا يُقصد بذلك أن يكون عادة سيئة بشكل خاص؟ وهناك أمر آخر، يحدث بلا حماس كبير، وبلا نجاح كذلك حسب علمي، فقد بدأنا في الانغماس في بعض الممارسات الجنسية. يحدث هذا، عندما يحدث، في الدقيقة التي نستيقظ فيها. نقف على قدمينا بصعوبة ونلتقط ملابسنا من الأرض ونجلس ونطلق لعابنا في الزجاجة التي أمامنا ونطلق الدخان بطريقة تأمليّة مطلقة، ونتأمل في الصحيفة الصفراء بكل الهراء المفزع التي تمتلئ به.

لا أستطيع أن أحدد - وأحتاج أن أعرف - هل تود طيب السجيّة؟ أو إلى أي درجة تبلغ فظاظته؟ فهو يأخذ الألعاب من الأطفال في الشارع. يفعل ذلك فعلًا. يكون الطفل واقفًا هناك مع أمه المرتبكة وأبوه الضخم. ثم يظهر تود. يعرض الطفل المبتسم البطة التي تصدر صريرًا أو أي كانت اللعبة عليه. يأخذها تود ثم يعود منطلقًا، وعلى وجهه تعبير ممتعض جدًّا. يخلو وجه الطفل من التعبيرات أو ينغلق كل شيء فيه. اختفت اللعبة والابتسامة: أخذ تود اللعبة والابتسامة. ثم يتوجه إلى المتجر، ليصرفها بنقود. مقابل ماذا؟ حفنة من الدولارات؟ هل تصدق هذا الرجل؟ يستولي على الحلوى من الأطفال إذا كانت ستمنحه خمسين سنتًا. يذهب تود إلى الكنيسة وكل هذه الأمور. يمشي

Twitter: @ketab_n

بتثاقل إلى الكنسية في أيام الآحاد مرتديًا قبعة وربطة عنق وبذلة سوداء. ويبدو أنه يحتاج إلى النظرة المتسامحة التي يطلقها الجميع أثناء دخوله، فهذا يبعث على الطمأنينة الاجتماعية. نجلس في صفوف ونعبد الجثمان. ولكن من الواضح أن تود يسعى نحو شيء آخر. يا للمسيح، إنه لا يشعر بأي عار. دائمًا ما ينتقي ورقة نقدية كبيرة حقًا من صندوق الصدقات في الكنسية.

يبدو لي الأمر غريبًا بأكمله. أعرف أنني أحيا على كوكب هائج وسحري، يذرف المطر أو يتخلى عنه، أو حتى يقذفه في ضربات سوط متتالية واحدة بعد الأخرى، ويطلق صواعق الكهرباء الذهبية في السماء بسرعة 186000 ميل في الثانية، ويستطيع، بحركة واحدة من صفائحه التكتونية، أن يزيل مدينة من الوجود في نصف ساعة. الخلق، سهل وسريع. يوجد أيضًا كون من حولي، وهذا واضح. ولكنني لا أتحمل النظر إلى النجوم رغم يقيني بوجودها تمامًا، ورغم أنني أراها بالفعل، لأن تود يتطلع إلى أعلى في الليل، كما يفعل الجميع، ويشير إليها ويصدر آهات الإعجاب. كوكبة «المحراث» و «الكلب الأكبر» ونجم «الشعري اليمانية». تبدو لي النجوم كدبابيس وإبر، كخريطة واضحة للكوابيس. فلا تربط النقاط ببعضها رجاءًا. ومن بين كل النجوم، نجم واحد فقط يمكنني التفكير فيه بدون ألم. وهو في الحقيقة كوكب. الكوكب الذي يدعونه نجم المساء، نجم الصباح. الزّهرة المتوهج.

Twitter: @ketab_n

أعرف أن الخزانة السوداء الخاصة بتود تحتوي على رسائل حب. أنصح نفسي بالصبر. وأثناء ذلك، أحيانًا، أقوم بطي رسائل لم أكتبها وإغلاقها كما اتفق ثم إرسالها. يصنعها تود، باستخدام النار: في المدفأة الواقعة في آخر الغرفة. بعد ذلك، نتمشى خارجين ونلقيها في صندوق البريد الذي يحمل اسم تي تي فرندلي. إنها رسائل موجهة لي، لنا. والآن، لا يوجد سوى هذا المراسل الأوحد. رجل ما في نيويورك. دائمًا بنفس التوقيع في أسفل الصفحة. دائمًا نفس الرسالة. تقول هذه الرسالة: «عزيزي تود فرندلي، أتمنى أن تكون بصحة جيدة. ما زال الطقس هنا معتدلًا! مع أطيب التمنيات. المخلص.» تصل هذه الرسائل سنويًا، عند مطلع العام تقريبًا. لم يمر وقت طويل حتى اكتشفت أنها متكررة وخالية من المعاني. يمر تود بمشاعر متباينة. فطوال ليالي متصلة، قبل وصول الرسائل، تتحدث أعضاءه عن خوف يؤرقه، وعن ارتياح طفيف.

القمر الذي أحبُ النظر إليه حقًا. يبدو وجهه في هذا الوقت من الشهر حليقًا وخائفًا بشكل خاص، كروح الأرض المنفي أو المنحدِر.

Twitter: @ketab_n

2

القسوة هي الطريق الوحيد للخير

صدمتني هذه التطورات، واحدًا بعد الآخر. منزل جديد، وظيفة جديدة. استخدام السيارات. وحياة الحب. ومع كل هذا النشاط وكل هذه الأمور لم أجد بالكاد إلا لحظات قليلة لأختلي بنفسي.

كان الانتقال إلى المنزل الجديد عملية متناسقة للغاية: هادئة وفخمة. جاء رجال ضخام، وقاموا بتحميل كل أشيائي إلى شاحنتهم. قمت بالركوب معهم في سيارة الأجرة (حيث تبادلنا النكات الخفيفة والقصيرة فيما بيننا) - إلى وجهتنا. والتي كانت في المدينة. في آخر الطريق رقم 6، جنوب النهر، على حواري الطريق، ووراء حظائر الماشية ومشداتها الصدئة، ودعامتها الأفقية وحمالاتها المصابة بالتهاب المفاصل. كان العقار الجديد أصغر مما اعتدنا عليه: مزود بشرفات مع غرفتين في الأعلى وغرفتين في الأسفل، وفناء خلفي متواضع. أصابني المكان بالابتهاج، لأن ما أبحث عنه في النهاية، أظن ذلك، هو التنوع البشري، والتعددية الرائعة لأمريكا، وسأجد المزيد من ذلك هنا. ولكن تود له رأيين مختلفين حول هذا الأمر. يمكنني القول أنه مرتبك. على سبيل المثال، في اليوم الذي انتقلنا فيه، وبينما كان الرجال ما زالوا يتجولون مع أقفاصهم وصناديقهم

Twitter: @ketab_n

الكرتونيـة، تسـلل تـود إلى الحديقـة - الحديقـة الـتي عملهـا عليهـا لبضـع سـنوات قريبًـا. نـزل عـلى ركبتيـه، وبـدء في الشـم بجشـع كبـير... لكـن قـد كان الأمـر رائعًـا بهـذه الطريقـة. تكونت قطـرات رطوبـة تشـبه النـدى عـلى العشـب الجـاف، الـذي نهـض مرتفعًـا في الهـواء كمـا لـو كان بفعـل دفقـات الطاقـة في صدورنـا. غسـلت الرطوبـة خدودنـا، بشـكل لذيـذ، حـتى قمنـا بسـحبها داخـل أعيننـا رغـم الرعشـة الـتي أصابتهـا. يـا لهـا مـن مأسـاة. لمـاذا؟ أفـترض أن تـود حينهـا كان يبـكي بسـبب الحديقـة ومـا فعلـه بهـا. كانـت الحديقـة كالجنّـة عندمـا بدأنـا بالعمـل فيهـا، ولكـن بمـرور السـنوات، حسـنًا، كل مـا أطلبـه ألا يلومـني أحـد. لـم يكـن القـرار بيـدي. لـم يكـن أبـدًا. لذلـك لـم تكـن دمـوع تـود إلا دمـوع نـدم، أو تكفـير. بسـبب مـا فعلـه. انظـر إلى هـذا. تحـول الأمـر إلى كابـوس مـن الأوراق الذاويـة والعفنـة، مـن الفطريـات والبقـع السـوداء، بـكل صـبر، أغـرق كل أزهـار التيوليـب والـورد وسـحقها بيديـه، ثـم قـام بتغليـف جثامينهـا المنبوشـة وأخذهـا في كيـس ورقي إلى المتجـر ليحصـل عـلى أمـوال مقابلهـا. أخفـى كل الحشـائش والأعشـاش الصغـيرة في أعمـاق التربـة - واتخـذ سـطح الأرض كل هـذا القبـح، كمـا لـو أنـه اكتسـبه بقبضـة مفاجئـة. كانـت هـذه ثمـار الجهـد الشريـر لتـود. كان عـلى ألفـة مـع قملـة النبـات والذبابـة البيضـاء والحشرات ذات مؤخـرة المنشـار. وذبابـة الخيـل. يبدو أنـه اسـتدعى كل هـذا لوجهـه مـع نفـض الغبـار عـن معصمـه ببـطء. انسـحبت ذبابـات الخيـل ذات العضـلات المتضخمـة وعـادت مـرة أخـرى؛ ثـم اسـتقرت وبـدأت في فـرك أيديهـا في

Twitter: @ketab_n

ترقّب وازدراء. فالتدمير أمر صعب. التدمير أمر بطيء.

كما قلت دائمًا، فعملية الخلق لا تمثل مشكلة على الإطلاق. كما هو الحال مع السيارة مثلًا. من أوائل الأمور التي نفعلها، بعد الاستقرار في الداخل – أن نظهر في هذا المرآب الصغير أو مقبرة السيارات التي تبعد بضعة أبنية جنوبًا. أحب أن أسمي هذا المكان عملية «الثقب في الحائط». ولكن لا يوجد حائط رغم ذلك لوضع ثقب فيه. فالمباني المحيطة هنا منكبة على ركبتيها تمامًا. وكما هو واضح فهذا هو الحال مع المدينة المعاصرة. قد ترغب في العمل فيها. ولكن لا يتوقع أحد بشكل جاد أن يعيش فيها. فالمحتوى، أو المعنى والمحتوى كله موجود في الضواحي السكنية، في الأعمدة الهائلة المنبعجة لناطحات السحاب. حسنًا، بدت السيارة في حالة جيدة. بدت كأي سيارة أخرى. ولكن تود نظر إليها بعاطفة حقيقية، بالحرارة المتبلدة – لا أعرف تمامًا – لحب مجمّد. انضم إلينا عامل المرآب بعد مدة وجيزة، ماسحًا خرقته المزيّته بأصابعه المزيّته. ثم انطلق تود وأعطاه ثمانمائة دولار. قام الرجل بعدّ المال ثم تجادلا قليلًا، حيث كان تود يقول تسعمائة دولار بينما يقول الرجل سبعمائة، ثم قال الرجل ستمائة بينما تمسك تود بألف، وهكذا. وحيدًا مع السيارة، مرر تود أصابعه على جسم السيارة. باحثًا عن ماذا؟ ندوب. كدمات... على أي حال، كان تود مزرقًا هذا الصباح، حسبما أتذكر. في الظهيرة كان قد حضر جنازة، أو شهد واحدة بالصدفة، متراجعًا،

Twitter: @ketab_n

كما أظن، في فناء الكنيسة الخالي من الحداد، حيث كانت القبور طافحة بالطين. أشار بعلامة الصليب ثم تسلل بعيدًا بسرعة. قاد الباص إلى الخلف والباصات عادة ما تستغرق وقتًا لا نهائيًا في المرور، وكانت تغص بالسكارى والأطفال الصارخين... السيارات هي جوهر الأمر. السيارات. في كل يوم كنا نعود إلى المرآب، وفي كل يوم كانت سيارتنا تنزلق في الحضيض أكثر وأكثر بشكل مثير للأسى. ثمانمائة دولار؟ ويمكنك بالفعل رؤيتهم عليها، عمال الميكانيكا والمطارق والمفكات في مجهود طويل من التحطيم الصبور.

ولا داعي للقول أنه، في الوقت الذي ذهبنا فيه لنطالب بها (مكان آخر: ضاحية سكنية)، كانت سيارة تود وعاء تبول منتظم. ولم نكن في حال أفضل نحن أيضًا. اشتملت العملية على بداية لا تشي الترحيب على الإطلاق. المستشفى. هذا صحيح. نظرة إلى قسم الإصابات. اتخذنا طريقنا هناك (بشكل ما فإن تود يعرف هذه المدينة بشكل عكسي)، لم نبق طويلًا، شكرًا لله. عليك أن تفعل ما ينبغي عليك فعله: تنزع قميصك ثم تتعرض للنخس والضرب الخفيف، ثم تبقي رأسك منخفضة؛ فأنت لا ترغب في معرفة ما يفعلونه بك هنا. فهذا ليس المكان الذي يمكنك التحدث فيه بصوت عالٍ. هذا ليس من شأنك. في النهاية قادني رجال الإسعاف إلى المنطقة السكنية حيث مكان الحادث. هناك كانت سيارتي، كخنزير عجوز مجنون واقع في براثن تشنجات عميقة، أنفها وأسنانها محطمة ويخرج منها بخار خفيف.

Twitter: @ketab_n

لم أشعر أنا نفسي أنني في حالة جيدة عندما جاء الشرطيّ وساعدني على الولوج بصعوبة إلى مقعد السائق ثم حاول إغلاق الباب الأمامي المعوّج. بعد ذلك تراجعت للخلف وتركت تود يتولى المسألة كلها. هناك كان يقف كل أنواع البشر يحدّقون فينا، ولفترة حدّق فيهم تود بغباء هو الآخر. ولكنه استمر حينها في المضي قدمًا. غرز قدميه بقوة على الفرامل وأودى بالسيارة إلى اهتزازة ضبابية من الصهيل والدوران المجنون. وبتمايل ماهر وضربة ساحقة استطاع أن يعيد مطفأة الحريق المثنية على جانب الرصيف إلى وضعها الأصلي - ثم انطلقنا بالسيارة مراوغين بها بسرعة شديدة على الطريق. زعقت السيارات الأخرى لملء الفراغ الذي غرقنا فيه بعد استيقاظنا.

بعد ذلك بدقائق: أول قسط في حياة الحب الذي عشناها. وهو ما كان مصادفة بحتة. حضرنا إلى المنزل، حيث كان تود يضغط بقدمه على المسرّع لإيقافنا بشكل عنيف. لم يتوقف قليلًا ليبد إعجابه بالسيارة (بدت السيارة جديدة: عظيم!) ولكنه أسرع إلى الداخل ملقيًا معطفه بتنهيدة حارة وقافزًا نحو الهاتف.

حاولت التركيز وأعتقد أنني أتذكر معظم ما حدث. كانت المحادثة كما يلي.

«إلى اللقاء، تود»

«مهلًا، لا تفعلي أي شيء"

Twitter: @ketab_n

«ومن يهتم؟ كل هذا هراء على أي حال"

ردّ قائلا: «أيرين"

«نعـم أنـا كذلـك. تـود، لسـتُ الآن سـوى هـذه السـيدة العجـوز المريعـة. كيـف سـيكون الأمـر يـا تـرى؟»

«لا، لن تفعلي هذا»

«لا، لن أفعل. سأقتل نفسي»

«لا، لن تفعلي هذا»

«سأتصل بجريدة النيويورك تايمز"

«أيريـن" قـال ذلـك بسـخونة جديـدة في صوتـه. وحـرارة جديـدة في كل جسـده.

«أعـرف أنـك غـيرت اسـمك. مـا رأيـك في هـذا! أعـرف أنـك هربـت»

«أنتِ لا تعرفين شيئًا»

«سأقوم بالإبلاغ عنك»

«أوه، حقًا؟»

«لقد نطقت بذلك في الليل. وأنتَ نائم"

«أيرين"

«أعرف سرّك»

«ما هو»

Twitter: @ketab_n

«أريدك أن تعرف شيئًا ما"

«أيرين، أنتِ سكرانة"

«حقير"

«نعـم؟» أجـاب تـود بملـل - أنهـى المحادثـة بملـل. أعـاد السـماعة واسـتمتع إلى رنـين الهاتـف - إلى إصرارهـا الآلي. ثـم اسـتمع إلى صمتـه. كان شـعوره حينهـا خاويًـا، كان صافيًـا... حسنًا، بعـد ذلـك، أفـترض أنـه لا يمكـن للأمـور إلا أن تتحسـن. تمنيـت أن ينطلـق تـود ويخـرج سـترته السـوداء، حـتى يمكنـني أن أبـدو بشـكل لائـق أمـام تلـك الـتي تدعـى أيريـن.

ولكنه لم يفعل ذلك بالطبع. فرصة سعيدة

ربما تكون ممارسة الحب كقيادة السيارات.

« لقـد انتهـت أيـام قيادتـك يـا صديقـي" قـال ذلـك الميكانيـكي في ردائـه الملطـخ بالزيـت. وقـال ذلـك أيضًـا ممـرض المستشـفى بسـترته البيضـاء الفاقعـة. ولكنهـم مخطئـين في ذلـك. عـلى العكـس، فأيـام قيادتنـا للسـيارة كانـت قـد بـدأت لتوّهـا. أعتقـد أن تـود يحـنّ للبيـت القديـم بالتأكيـد، ذلـك الواقـع في ويلبـورت، لأنـه هنـاك كانـت تنتهـي معظـم رحلاتنـا. أحتفـظ بمفتـاح. اعتدنـا الذهـاب إلى هنـاك والتنقـل مـن غرفـة لأخـرى. إنـه فـارغ تمامًـا الآن. اعتـاد تـود عـلى قيـاس الأشـياء في ذلـك البيـت. بـكل حب يأخـذ قياسـات الأشـياء. ومؤخـرًا بدأنا في فحـص العقـارات الأخـرى في منطقـة ويلبـورت. ولكـن أيًـا منهـا لا يسـتحق القيـاس، ليـس مثـل مكاننـا القديـم. عـلى الطريـق

Twitter: @ketab_n

رقم 6 كان تود يتهادى ببطء.

بدأنا مؤخرًا في العثور على رسائل حب في القمامة، رسائل من أيرين. يتطلع إليها ورأسه منحنية ثم يحشرها في أحد الأدراج في مكان ما. ربما سيكون الحب مثل قيادة السيارات. عندما يتنقّل الناس - عندما يسافرون - فإنهم ينظرون إلى المكان الذي جاءوا منه، وليس المكان الذي يتجهون إليه. أليس هذا ما يفعله البشر حقًا؟ إذًا فالحب سيكون مثل قيادة السيارة، وهو ما لا يبدو ذو مغزى كبير في هذه اللحظة. على سبيل المثال، لديك خمس سرعات للرجوع إلى الوراء وسرعة واحدة للانطلاق إلى الأمام، تلك التي تحمل العلامة «R»، أي «إلى الخلف». أثناء القيادة، لا ننظر إلى أين نذهب. بل ننظر إلى المكان الذي انطلقنا منه. هناك حوادث بالتأكيد، ورغم فالأمر يسير بشكل جيد في النهاية. فالمدينة تشارك بصرخاتها وانهمارها في سيمفونية الثقة هذه.

أما بالنسبة لوظيفتي... فلا أريد أن أتحدث عنها. فأنت لا ترغب في معرفة شيء عنها. في أحد الليالي قمت من السرير وقدت السيارة - بشكل سيء جدًّا - إلى المكتب. ثم احتفلت مع جميع زملائي الجدد في العمل. وفي السادسة ذهبت إلى غرفة حيث رأيت اسمي على المكتب، وارتديت معطفًا أبيض وبدأت العمل. في ماذا؟ في التطبيب وإصلاح الجروح!

مع انطلاق الحياة بهذه السرعة بدأ احتكاكي بالناس المتحضرين، في سياق متحضر، بين معادن المدينة

Twitter: @ketab_n

واسـمنتها وتقاطعاتهـا الأكـثر حـدة، مـع مزيـد مـن الصريـر واللدغـات في الآلات. المدينـة - هنـاك بالطبـع مـدن أكـبر حجمًـا مـن هـذه (مثـل نيويـورك، حيـث الطقـس، كمـا أعـرف جيـدًا، معتـدل دائمًـا) - فالمدينـة تفعـل أشـياء كثـيرة في النـاس الذيـن يعيشـون فيهـا. تفعـل أشـياء، ربمـا، في النـاس الذيـن لا ينبغـي أن يكونـوا في المدينـة. ليـس الآن. فهـؤلاء هـم النـاس الخطـأ في المـكان الخطـأ في الزمـن الخطـأ. أيريـن لا يجـب أن تكـون في هـذه المدينـة. بينمـا تـود ينظـر إلى هـذه المدينـة، بطريقـة أو بأخـرى، كوطـن أمّ لـه. كان قـد توقـف عن قيـادة السـيارة والذهـاب بهـا إلى ويلبـورت ولكـن لي أن أراهـن أنـه يفتقـد أوقاتنـا هنـاك، فالمـكان هنـاك آمـن جـدًّا ومحايـد أخلاقيًـا، حينهـا يرتـدي تـود الـزي الخامـل للعجائـز. فالعجائـز ليسـوا قسـاة، أم أنهـم كذلـك؟ فنحـن نبحـث عـن القسـوة في العجائـز، ومحنـي الظهـور. القسـوة، ذات العينـين البراقتـين، واللسـان الـوردي...

هـذه ليسـت مجـرد مدينـة. هـذه مدينـة داخليـة خفيـة. رغـم حالتـه الوظيفيـة الجديـدة، مـا زال تـود يعيـش بـين أبنـاء الطبقـة الدنيـا. الطبقـة الدنيـا، الخفيّـة - كيـف تعـبّر هـذه الظـروف عـن نفسـها؟ يـا للمسـيح، كيـف تصـل المـدن إلى هنـا؟ يمكـن للمـرء بالـكاد تخيّـل الجهـود الوحشـية للهـدم النهـائي (بعـد قـرون، بعـد وقـت طويـل مـن زمـاني هـذا)، والخلـق النهـائي لـلأرض السـعيدة - الخـضراء، الموعـودة. ولكنـني في غايـة السـعادة أنـني لـم أكـن موجـودًا عنـد وصـول

Twitter: @ketab_n

المدينة. لابد أنها تسللت خلسةً للحياة. لابد أنها جاءت للحياة خلسةً خارجةً من سكون مطروق مهول من التراب والرطوبة. بالنسبة لزملائي في العمل، فهم يفضلون الإقامة، بحكمة وذكاء كبيرين، على التلّ أو في الضواحي الشرقية، ناحية المحيط. رغم ذلك، ربما كان تود فرندلي في حاجة إلى المدينة، حيث يمكنه الانجراف مع تيار الآخرين دائمًا، حيث لن يعتبر فريدًا وشاذًا أبدًا.

هل يتحرك مساري الوظيفي إلى الأمام؟ في إحدى الليالي قبل شهر تقريبًا استيقظ تود بحالة يائسة بشكل غير معتاد مرتديًا نصف ملابسه، وكان كل شيء حوله ملقى بعبثية مطلقة - كما لو كانت الغرفة مربوطة بعمود رحا مفكوك داخل أحشاءه حيث تأوهاته السرية. فكرت: لا عجب أن انتابني شعور مريع بالأمس. دائمًا ما تمتلئ أيام الأمس بإحساس مريع، عندما تناول تود الشاي. ثم قام من مكانه وفعل شيئًا ما.."شيء هام»: هام بشكل محتشم. انتقلنا إلى غربة المعيشة وقبضنا على الساعة النحاسية التي طالما زيّنت الرف فوق المدفأة (أوه، تلك الأيدي القوي التي يتمتع بها!) وبعنف أدخلناها في ورق التغليف الاحتفالي الذي وجده في سلة المهملات. وقف تود هناك للحظات وحدّق في الساعة، ثم في المرآة بابتسامة شاحبة. ما زالت الغرفة تدور حولنا. بعكس اتجاه عقارب الساعة. انطلقنا في السيارة إلى الاستقبال في مبنى «الخدمات الطبية المتحدة»، على الطريق رقم 6. بالصدفة قام تود بتفريغ

Twitter: @ketab_n

ساعتنا على واحدة من الممرضات، مورين الضئيلة. أصاب الهياج مورين الضئيلة، ولكنها تكلمت بشكل جيد. مورين الضئيلة، التي يزعجني وجهها بشكل كبير، وجهها الجميل، المليء بالنمش، ذو السحنة الشمالية المتذللة، والفم الكبير جدًّا أو أنه فقط متجه للخارج بشكل زائد، المصمم للتعبير عن العجز فقط. قلة الحيلة: الأمل وعدم الأمل، كلاهما في نفس الوقت.

حسنًا، لا يمكنني أن أتظاهر أن عمل التطبيب هذا كان مفاجئًا تمامًا. أصبح المنزل الضيّق ممتلئًا الآن بأدوات طبية وآلات إصلاح الجروح. كتب حول التشريح، تولد من النار في الفناء الخلفي. دفاتر للوصفات الطبية. جمجمة بلاستيكية. في أحد الأيام تناول تود من سلة المهملات شهادة مؤطرة وذهب وعلقها على مسمار في باب المرحاض. بابتهاج قام بقراءة الحروف البالية – لعدة دقائق. وبالطبع أتمتع بدفعة نفسية طيبة عندما يحدث شيء كهذا، لأن الكلمات كانت ذات معنى، حتى لو كان تود يقرأها دائمًا بشكل عكسي.

أقسم بالطبيب أبوللو، وبالصحة، وبالترياق، وبكل الآلهة والربات، وأتخذهم شهودًا عليّ، أنني سأقوم، وفقا لقدرتي وحكمي، وهذا القسَم وهذا العهد.... أنني سأحافظ على نقاء حياتي وفنّي. في أي منازل أدخلها، سأدخل إليها لمساعدة المرضى، وسأمتنع عن كل الأفعال الخاطئة والضرر العمدي....

أطلق تود ضحكة رائعة على ذلك. وتأرجحت الحقيبة

Twitter: @ketab_n

السوداء المميزة على الخزانة من الخارج. حيث يرقد في الداخل عالم من الألم.

ملعب صغير من الألم، مع ظلمة في أعماقه.

أصبحت أيرين تهاتف تود بانتظام الآن. أفترض أنه من الجيد أن نعرف بعضنا البعض: في البداية: كانت هادئة ورصينة (بشكل معتاد)؛ كان تود يقبل هذه المكالمات كواحدة من مهامه العديدة، ويجلس ليهتم بها باستسلام، مع كأس الوسكي، وسيجار يشتعل ببطء. تقول أيرين أنها حزينة. أنها وحيدة. تجد أن ميلها لأن تلوم تود على تعاستها يقل شيئًا فشيئًا. تقول أنها تعرف أنه وغد وأنها لا تفهم لماذا تحبه.... ولا أنا. ولكن الحب أمر غريب. الحب غريب. أحيانًا ما تفكر - تمامًا بلا عواطف، يجب أن نقرّ بهذا - في خيار الانتحار. يحذرها تود أن مثل هذا الحديث هو خطيئة. شخصيًا، أعتقد أنه يمكننا تجاهل الانتحار كتهديد أجوف. فكرت في ذلك لبعض الوقت. الانتحار ليس خيارًا. أم أنه كذلك؟ ليس في هذا العالم. بمجرد أن تصبح هنا، بمجرد أن تصبح على متن المركبة، لا يمكنك أن تغادرها. لا يمكنك الخروج.

تبكي، بشكل يمكن التحكم فيه. يحافظ تود على تقديم نصيحته. تشعر بالأسف. يشعر بالأسف. هكذا كان الأمر.

أتمنى أن يعوّضها عن ذلك في النهاية.

أصابتني لا مبالاة شديدة تجاه التطبيب وإصلاح الجروح.

Twitter: @ketab_n

ليس لأني لديّ ما أقوله في هذا الموضوع. ولكن لأني لا أصدر الأوامر هنا. لا أرتدي السراويل. لذلك فإن اللامبالاة أعتقد ذلك، هي أملي الوحيد. يبدو أن تود وأنا نجلس على قمة العمل، فلم يشتكِ أحد حتى الآن. نجحنا، حتى الآن أيضًا، في تجنب كل الأمور العنيفة الملطخة بالدم التي يقومون بها هنا - وبعض هذه الأمور لا يمكنك تصديقه. بشكل مثير للدهشة، فإن تود شخص معروف ويتعرض للسخرية وأحيانًا ما يتم الاحتفال به بسبب سرعة غثيانه. أقول بشكل مثير للدهشة لأني أعرف أن تود ليس سريع الغثيان. أنا من أعاني من سرعة الغثيان. أنا رقم واحد في سرعة الغثيان. أوه، في استطاعة تود أن يقضي على هذا الأمر. نغمة شعوره - الجسورة، النائية - مؤمنة تمامًا ضد الروتين اليومي هنا، وتحديقات اليقظة، ورائحة اللحم البشري المعدّل. في استطاعة تود أن يتقبل كل هذا - بينما يصيبني الضيق بسبب ذلك. من وجهة نظري، فإن العمل ما هو إلا صدمة رعب تستمر ثمان ساعات. يمكنك تخيّلي متقوقعا في الداخل، متمتمًا بضعف ومحاولًا تحويل نظري... أفكر حاليًا في مسألة العنف، هذه المسألة الأكثر صعوبة. من الناحية الفكرية، يمكنني فقط قبول أن العنف مفيد من الناحية الصحية، أن العنف أمر جيد. ولكني أبحث في داخلي فلا أجد شيئًا يتفق مع قبحه. دائمًا ما تصرفت بهذه الطريقة، أدرك ذلك، حتى في الأيام الخوالي في ويلبروت. عويل طفل لاهث تهدئه صفعة صارمة من يد والده، نملة ميتة تعود إلى الحياة بضغطة لا مبالية من

Twitter: @ketab_n

نعل حذاء عابر، إصبع مجروح يلتئم وينغلق تمامًا بشفرة المشرط: هذه الأمور تصيبني بالجفول والرغبة في الهرب بعيدًا. ولكن الجسد الذي أعيش وأتحرك فيه، جسد تود، لا يشعر بشيء.

يبدو أننا نتخصص في المجالات التالية: الأعمال الورقية، وعلم الشيخوخة، أمراض الجهاز العصبي المركزي، وما يسمونه بالحديث الودّي. أجلس هنا في معطفي الأبيض، مع مطرقتي الانعكاسية، وشوكاتي الرنانة، ومصباحي اليدوي الصغيرة، وشفرات اللسان الخشبية، والدبابيس، والإبر. مرضاي أكبر مني سنًا. يجب القول أنهم عادة ما يبدون مبتهجين أثناء دخولهم إلى المستشفى. يستديرون، ويجلسون ويومئون بشجاعة. «حسنًا»، يقول تود. ثم يقول الطرف المريض، «أشكرك يا دكتور»، ثم يقوم بتسليم وصفته الطبية. يتناول تود قصاصة الورق ويقوم بعمله المثير الصغير باستخدام القلم والمفكرة الورقية.

يقول تود بشكل رائع: «سأجعلك تتناول شيئًا ما يساعدك على الشعور بتحسن" وهذا ما أعرف أنه هراء محض، أعرف ذلك: في أي ثانية الآن - بشكل جراحي للغاية، وبشكل متجهم للغاية، وعلى أساس معرفة ضئيلة - يقوم تود بوضع إصبعه في مؤخرة الرجل المسكين

يقول المريض: «أشعر برعب أكبر»، وهو يفك حزامه.

«أرى أنك تبدو بخير" قال ذلك تود. «بالنسبة لرجل في

Twitter: @ketab_n

عمـرك. هـل تشـعر بالاكتئـاب؟»

بعـد إنهـاء الأمـر عـلى الأريكـة (الصفقـة العفنـة لـكل منـا: كيـف نتذمـر جميعًـا)، سـيقوم تـود ببعـض الأمـور مثـل جـس الشرايـين السـباتية في الرقبـة والشرايـين الصدغيـة أمـام الأذنين مبـاشرةً. ثـم الرسـغين. ثـم رنـين سـماعة الطبيبـة، الموضوعـة أدنى الجبهـة، فـوق محجـر العينـين بقليـل. «أغلـق عينيـك» يقـول تـود للمريـض، الـذي يفتحهـا فـورًا بالطبـع" امسـك يـديّ، ارفـع ذراعـك الأيـسر. حسـنًا. فقـط اسـترخِ لفـترة" ثـم يـأتي الحديـث الـودّي الـذي يسـتمر عـادةً كمـا يـلي:

تود: «ربما يتسبب ذلك في حالة رعب»

المريض: «أصرخ وأقول حريق»

تـود: «مـاذا سـتفعل إن كنـت في سـينما ورأيـت لهـب ودخـان؟»

المريض: «سيدي؟»

يتوقـف تـود لبرهـة. «هـذا رد غـير معتـاد. الـرد المعتـاد سـيكون «لا أحـد كامـل، لا تنتقـد الآخريـن»

«سيقومون بكسر الزجاج»، قال ذلك المريض متجهمًا.

مـاذا نقصـد بقولنـا أن «مـن بيتـه مـن زجـاج فـلا يقـذف الآخريـن بالحجـارة؟»

«أوه، ستة وسبعين، ستة وثمانين"

Twitter: @ketab_n

«ما نتيجة ثلاثة وتسعين ناقص سبعة؟»

"1914-1918»

«متى بدأت وانتهت الحرب العالمية الأولى؟»

«حسنًا»، يقول المريض، ناهضًا باستقامة.

«سأسألك الآن بعض الأسئلة»

«لا»

«هل تنام بشكل جيد؟ هل تعاني من أي مشاكل في الهضم؟»

«سأبلغ الواحدة والثمانين في يناير»

«وأنت... ما عمرك؟»

«لا أشعر بنفسي"

«حسنًا، ما هي المشكلة في رأيك؟»

وهذا كل ما في الأمر. وبالتأكيد لا يبدو عليهم الابتهاج العظيم وهم يتخذون طريقهم للخارج. يبتعدون عني وأعينهم مفتوحة باتساع. ثم يختفون تمامًا. مع التوقف لبرهة فقط للقيام بذلك الشيء المريع – الطرق على بابك بهدوء. في النهاية يمكنني القول أنني لا أتسبب في أي أذى حقيقي أو دائم لهؤلاء العجائز. وعلى خلاف كل المرضى الآخرين تقريبًا في «الخدمات الطبية المتحدة»، فإنهم لا يخرجون من هنا وقد ساءت حالتهم أكثر.

Twitter: @ketab_n

الوضع الاجتماعي الذي يتمتع به الأطباء مرتفع بشكل مذهل بالطبع. عندما تتحرك، كطبيب، عبر المجتمع، بمعطفك الأبيض، وحقيبتك السوداء، ستجد عيون الآخرين تتطلع إليك. وأفضل من يعبر عن ذلك هم الأمهات: تبدو أوضاعهم وكأنها تنازلت و أقرت أنك تتمتع بسلطة على أطفالهم؛ كطبيب، يمكنك ترك الأطفال بمفردهم، يمكنك أخذهم بعيدًا، ويمكنك إعادتهم مرة أخرى، كل شيء حسب اختيارك. تعم، فنحن نسير بفخر. نحن معشر الأطباء. وجودنا يطهر الآخرين، ويصيبهم بالجديّة. العيون المائلة للآخرين تمنح الطبيب الروح البطولية، والهالة النورانية الجادة. الجندي البيولوجي. ومقابل ماذا؟... أمر واحد يساعدني حتى الآن، بعيدًا عن محادثاتي مع أيرين، هو أن تود وأنا نشعر أننا في حالة جيدة جدًّا هذه الأيام: جسديًا. ولا يمكنني تفهم لماذا لا يبد تود امتنان أكبر لهذا التحسن. عندما أعود بذاكرتي وأفكر كيف كانت الأمور في ويلبورت، يا صديقي، لم نكن نفعل إلا السير على أقدامنا، وليس أكثر من ذلك. كان الأمر يستغرق خمسة وعشرين دقيقة لنصل إلى الطرف الآخر من الغرفة. يمكننا الانحناء الآن مع تأوه خافت، وقرقعة باهتة في الركبة. نقف ونهبط هذه السلالم - مهلًا، أين الحريق؟ من وقت لآخر نسترجع قطع متفرقة من أجسادنا، من سلة المهملات. سنّ، أظافر. شعر إضافي. العناية الفائقة بارتباك المرء وغثيانه الخفيف، فما كنت أفترض أنه الحزمة الوجودية الأساسية، اتضح أنه حالة مؤقتة. وأحيانًا، أحيانًا

Twitter: @ketab_n

لدقائق فقط (وخاصةً إذا كنت مستلقيًا)، لا شيء يتسبب في الألم على الإطلاق.

وتودّ لا يقدر هذا التحسن. حسنًا، إذا كان يقدر ذلك، فهو لا يبالي على الإطلاق حول ذلك في مجمل الأمر. ولكن هاكَ أمر آخر. أنت تعرف الأمر الجنسي الذي بدأنا في التحدث عنه، بشكل روتيني تمامًا، هناك في ويلبورت، ذلك الأمر الجنسي الذي نفعله مع أنفسنا؟ يعمل تود عليه الآن بشكل أقوى بكثير. احتفالًا، ربما، بنشاطه المتزايد – أو كشكل من أشكال التدرّب عليه. لا يصنع هذا أي فرق، فمن الواضح جدًّا بالنسبة لي أننا نحرز تقدمًا ما... تود؟ لا أعرف. كيف يبدو الأمر لك؟ جيد بأي شكل؟ لأنه من وجهة نظري فما زال الأمر إخفاقًا كاملًا.

تمتلئ أحلام تود بأشكال بشرية متناثرة في الريح مثل أوراق الشجر، مليئة بالأرواح التي تشكل مجرّات كونية مثل النجوم التي أكره رؤيتها. اعتاد تود الدخول في جدالات طويلة، ولا يقول إلا الحقيقة، ولكن الأشخاص غير المرئيين الذين قد يكون في إمكانهم الاستماع وإصدار الأحكام سريعًا يرفضون، لحسن الحظ، تصديقه ويبتعدون في صمت، وإنهاك، واشمئزاز. وغالبًا ما يتأذّى باستسلام بسبب العجائز الغاضبين، وذوي السلطة البدينين بشكل مؤلم، وحمّالي السكة الحديد المضطهدين. أحيانًا ما يتوهج بطاقة عظيمة، تندفع وتحلّ كل العقد وتجعل كل شيء واضحًا، طاقة ممنوحة من الخالق الحافظ الذي

Twitter: @ketab_n

يهيمن على نومه تمامًا.

القوّادين والعاهرات الصغيرات...

يصيبني الارتباك عند النظر إلى الاقتصاد المحلي، والتجارة، والترتيبات الاعتذارية للمدينة المجهولة الباردة. ولدي الوقت الممتد والفرص الهائلة للقيام بهذا - أقصد للنظر إليه والشعور بالارتباك. ولأكون صادقًا، فإن الارتباك يصيبني كثيرًا. في الحقيقة كنت مضطرا للوصول إلى استنتاج أنني بطيء الإدراك بعض الشيء. بل وقد أكون معاقًا ذهنيًا، أو مصابًا بالتوحد الخفيف. ربما يكون من الأفضل ألا ألعب بمجموعة أوراق لعب كاملة. فأوراق اللعب لن تضيف لي الكثير؛ والعالم لن يبدأ في تحقيق أي معنى. الأمر بالتأكيد هو أنني على ما يبدو أصبحت متداخلًا مع تود بشكل لا يمكن الفكاك منه، ولكن لا يفترض به أن يعرف أنني هنا. رغم شعوري بالوحدة.... تود فرندلي، تود فرندلي القصير القوي ممتلئ الجسم، تود الليّن، الذي يتنقل بكل حرية بين المباني التحتية للمدينة، أماكن الإيواء ومراكز الإغاثة، ومراكز تأهيل المجرمين. وهو ليس واحدًا من المشغولين المحاصرين أو عمال الإصلاح في مركز ليتل آني، الذين يتوجب عليهم، لأسباب شخصية ملحة، ضبط هذه المؤسسات الغامضة، حيث إساءة المعاملة هي كلمة السر. بينما يستمر هو في الذهاب والمجيء. يقدم الاقتراحات والتوجيهات والتوصيات. فهو واحد من وسطاء الأحزان. لأن الحياة هنا ما هي إلا مدمنين، الحياة هنا عاهرة، أم

Twitter: @ketab_n

عازبـة، بـلا مسـكن ثابـت.

العاهــرات لديهــن ذلــك الــشيء الــذي يجــذب الرجــال البالغـين. لديهـن ذلـك بالفعـل. بالـكاد يمكنـك رؤيتهـن يبديـن أي اهتمـام برجـال مـن عمرهـنّ. بحـذر يعـود الزبائن الرجـال في طريقهـم إلى الغـرف الكبـيرة، الشـقق المؤجـرة لفـترة قصـيرة في مجمـع شـقق هيريـرا المتداعـي، مبنى ينعـم بـدفء مسـتنقعه الرطـب المميّز الخـاص بـه. يقـع فعـل الحـب، الـذي يتلقـى عنـه الزبـون الرجـل، أو الصيـدة كمـا يسـمى هنـا، لسـبب مـا، تعويضًـا سريعًـا. بعـد ذلـك يقـوم الرفيقـان المغرمـان بالعـودة إلى الشـارع والافـتراق. ينسـلّ الرجـال والعـار بـادٍ عـلى وجههـم مـن أنفسـهم (بسـبب قيامهـم بهـذا مقابـل المـال بهـذا الشـكل). ولكـن العاهـرة تبقـى رغـم ذلـك، عـلى الرصيـف بشراهـة تبـدو عـلى ملامحهـا، في قمصـان بـلا أكمـام وسراويـل سـاخنة،مزجيةً الوقـت قبـل موعدهـا القـادم. أو التوصيـلات المجانيـة العابـرة، إلى اللامـكان مـع العجائـز المتخشـبين الإضافيـين الذيـن يتجولـون في سـياراتهم القديمـة الجذابـة. غالبًـا مـا يظهـر تـود في مجمـع شـقق العاهـرات. وباعتبـاره مواطـن مـن الطبقـة العليـا، فـإن الفتيـات تتهافـت عليـه دائمًـا. ولكـن تـود ليـس هنـا بغـرض الجنـس أو المـال. عـلى العكـس. فإنـه يـوزع (مبالـغ رمزيـة، بضعـة دولارات مثـلا)، ويحافـظ عـلى ارتـداء سرواله دائمًـا (إنـه حـتى لا يفكـر فيـه؛ فهـو شيء آخـر). بشـكل أسـاسي يبـدو أن تـود يـوزع الأدويـة والمخـدرات هنـا. ليـس لاسـتخدامه الشـخصي: التيتراسـيكلين، والميثـادون -

Twitter: @ketab_n

كل هـذا يجـد طريقـه عائـدا إلى «الخدمـات الطبيـة المتحـدة». هنـاك أيضًـا الإصابـات الجسـدية الـتي تتطلـب التعامـل معهـا، في مجمـع هيريـرا للشـقق، بمفارشـه الملتويـة وأسرّتـه الملوثـة.

في تجمّعاتهـم العشـوائية عـلى الأرض، كان كل المشرديـن يأكلـون نفـس الـشيء. بخـلاف الحـال في المطاعـم أو كافتيريـا «الخدمـات الطبيـة المتحـدة». ليـس مـن الجيـد، في رأيي، أن يـأكل الجميـع نفـس الـشيء. أعـرف أن أي منّـا لا يتمتـع بخيـار حـول مـا نأكلـه؛ يعـود الأمـر دائمًـا إلى المجـاري، ومـن الواضـح أن بعـض أنظمـة المجـاري أفضـل مـن الأخـرى. ولكنـني أصـاب بشـعور مشـوّش عندمـا أرقبهـم وهـو يجترفـون الأكل بالملاعـق، والأطبـاق - عشريـن أو ثلاثـين منهـا - كلهـا مملـوءة بنفـس الـشيء... النسـاء في مراكـز الأزمـات واللاجئـين المختبئـين جميعهـم يختبئـون مـن مخلّصينهـم. مراكـز الأزمـات لا تحمـل هـذا الاسـم مـن فـراغ. إذا كنـت تبحـث عـن أزمـة، عليـك فقـط تسـجيل الدخـول إليهـا. فالرضـوض والعيـون السـوداء تصبـح أكـثر وضوحًـا وازرقاقًـا، حـتى يحـين وقـت عـودة النسـاء، في نشـوة الكارثـة، إلى الرجـال الـذي يعالجونهـن مـن إصاباتهـنّ فجـأة. تحتـاج بعضهـن إلى معاملـة أكـثر تخصصًـا. حيـث تتطوحـن إلى الخـارج ويسـتلقين في حديقـة عامـة أو في قبـو أو في أي مـكان آخـر، حـتى يـأتي الرجـال ويغتصبهـن، ثـم يصبحـن في حالـة جيـدة بعـد ذلـك. يقـول بـراد، الممـرض المثـير للاشـمئزاز، هـذا هـراء محـض، لا مشـكلة لديهـنّ - يعني النسـاء في المـأوى - لا يمكـن لسـتة إنشـات بصحـة جيـدة معالجتهـا.

Twitter: @ketab_n

ينظر تود إليه بتجهم شديد. أبغض براد أنا أيضًا ولا أحب قول ذلك، ولكن أحيانًا ما يكون على صواب مطلق. كيف يمكن للعالم أن يتغيّر بحيث يصبح شخص مثل براد على صواب في أي وقت؟

لا أتفق على مبدأ «العين بالعين» مع تود في جميع المسائل. بعيدًا عن هذا. على سبيل المثال، فإن تود ينظر إلى القوّادين بشكل استعلائي للغاية. القوّادين - هؤلاء الأفراد البارزين، الذين، زيادة على ذلك، يمنحون هذا اللون إلى مشهد المدينة، مع ملابسهم وسياراتهم المعدّلة لتصبح فاخرة. كيف كان سيكون حال الفتيات البائسات لولا هؤلاء القوادين، الذين يمطرونهن بالمال ولا يطلبون منهن شيء بالمقابل؟ لا أحد مثل تود ورحماته الرقيقة. فهو لا يفعل إلا أن يتجول في المكان لوضع الأتربة على جروحهن. ثم ينسحب سريعًا، قبل أن يظهر القواد الصبور، وبضربة خفيفة يعيد الفتاة إلى حالة جسدية جيدة بقبضته المغطاة بالمجوهرات. وبينما يعمل على ذلك، يتوقف رضيع في السرير النقال المجاور للسرير عن بكاءه، ويبدأ في النوم بملائكيّة، شاعرًا بالأمان بعد أن عرف القوّاد قد حضر.

ما زالت أيرين تتصل هاتفيًا بانتظام ولكني لا يجب أن أرفع سقف آمالي. أعتقد أنها كانت تقترب ببطء إلينا. ولكنها لم تكن كذلك. فقد تحولت لتصبح ضدنا، مع رغبة في الانتقام. لماذا، لا أعرف. هل قلنا شيئًا ما؟

رغم ذلك، أصبح الأمر الآن مشجعًا بعض الشيء

Twitter: @ketab_n

خاصةً عندما يتطلع تود إلى امرأة في الشارع. حيث تتجه عينيه مباشرةً حيث أرغب أنا أن تتجه. لم تعد احتياجاتنا وأولوياتنا متوافقة بالكامل تمامًا، ولكنها تتداخل أحيانًا على الأقل. مثلاً، يفضّل كلانا نفس النوع من النساء - النوع المليء بالأنوثة. يتطلع تود أولًا إلى الوجه؛ ثم النهدين؛ ثم أسفل البطن. وإذا كان المشهد خلفيًا، يتطلع إلى الشعر؛ والخصر؛ والأرداف. ولا يبدو أن أيًا منا يهتم بالسيقان، ولكني أعتقد أنه يمكنني الحصول منها على أكثر مما أتوقع قليلًا. كذلك تضايقني اللحظات الخاطفة التي يمنحها تود لكل جزء. حيث ينتهي سريعًا من منطقة الوجه. ثم نظرة مختلسة هابطة على العينين. بينما أفضل أنا التمهل قليلًا. ربما تمنع قواعد الإتيكيت هذا. رغم ذلك، فما زلت أشعر ببعض الشجاعة. بالكاد يصيبني التأثير المعتاد للدوخة، عندما أحاول رؤية الأشياء التي لا ينظر إليها، عندما أحاول التطلع إلى الأشياء التي لا يراها.

أصبحت جلسات الجنس الأحادية التي نقوم بها، بعد أن تأثرت بكل هذه الأعمال الميدانية التي نقوم بها، أكثر حيويةً بشكل لا يمكن تصنيفه. العنصر المفقود، الجوهر الإضافي، موجود، بالطبع، في المرحاض أو في سلة القمامة.

ماذا كان سيحدث لنا أنا وتود بدون المرحاض؟ ماذا كان ليصيبنا بدون وجود سلة القمامة؟

تحضر الأمهات أطفالهن الرضّع لتود في الليل. ولا يشجع تود على هذا الأمر - ولكنه يبدي تعاطفًا كبيرًا عادةً. تدفع

Twitter: @ketab_n

لـه الأمهـات بعملـة المضـادات الحيويـة، الـتي تبـدو غالبًـا أنهـا السـبب في الألـم الـذي يصيـب الأطفـال الرضّـع. عليـك أن تكـون قاسـيًا إن أردت أن تكـون خـيّرًا. لا يصبـح الرضّـع في حـال أفضـل عنـد مغادرتهـم، بصـبر ومعانـاة يشـقون طريقهـم إلى البـاب. وتنهـار الأمهـات بالكامـل: فهـنّ يخرجـن مـن هنـا نائحـات. هـذا أمـر مفهـوم. يمكنـني تفهّـم هـذا. أعـرف كيـف يختفـي النـاس. ولكـن إلى أيـن يختفـون؟ لا تسـأل هـذا السـؤال. لا تسـأله أبـدًا. فهـذا ليـس مـن شـأنك. الأطفـال الصغـار في الشـارع، يصبحـون أصغـر فأصغـر. في نقطـة مـا يصبـح مـن الـضروري وضعهـم في عربـات الأطفـال، ثـم لاحقًـا في حقائـب الظهـر. أو حملهـم في الأذرع ومحاولـة تهدئتهـم. بالطبـع يصيبهـم الحـزن بسـبب التنقل بهـم. وفي الأشـهر الأخـيرة يزداد بكاءهـم أكـثر مـن أي وقـت مـضى. وتختفـي الابتسـامة مـن وجوههـم. تسـتمر الأمهـات في الانطـلاق إلى المستشـفى. وإن لـم يكـن إلى المستشـفى فـإلى أيـن؟ يدخـل شـخصان إلى تلـك الغرفـة، الغرفـة ذات الملاقـط الجراحيـة، والفـوط الملوثـة. يدخـل اثنـان. ويخـرج واحـد فقـط. يـا للأمهـات البائسـات، يمكنـك رؤيتهـن كيـف يتألمـن أثنـاء الـوداع الطويـل، الـوداع الطويـل لأطفالهـنّ.

يحدث هذا في الوقت المناسب أيضًا.

ولأن هـذا الأمـر بـدأ في الحـدوث أخـيرًا، بـدأ الضجـر يصيبني بشـكل كبـير. لمـاذا يضيّـع تـود حيـاتي بهـذا الشـكل؟ في ليلـةٍ وضحاهـا انفتـح العالـم وكشـف عـن عمقـه ولونـه. وتفتحـت

Twitter: @ketab_n

«النفس» أيضًا. لم نعد مجرد سطح، بل ضخامًا مع عمق بعمق البحر مع نباتاتنا الملتوية، وأسماكنا المعوّجة. أدرك الآن: بشكل مثير للشفقة - لا، ليس بشكل إيجابي - أن الجميع أصبحوا ضعفاء وسريعي التأثر. لا مكان لدينا للاختباء.

لم يفاجئني الحب تمامًا - تلقيت تحذيرًا بسيطًا بشأنه. كان الحب قادمًا تبشر به ربطة كاملة جديدة من رسائل الحب. ولكنها لم تكن رسائل حب من أيرين. كانت رسائل حب إلى أيرين. كتبها تود. بيديه القصيرة الممتلئة والثابتة. جاءت من سلة المهملات بالطبع، من أحشاء حاوية قمامة عملاقة بسعة عشرة جالونات. ذهب تود وجلس في غرفة المعيشة ووضع الرزمة ذات الشريط الأحمر على حجره. أخرج صندوقه الأسود أيضًا. لاحقًا، بعد التوقف لبرهة، تناول رسالة عشوائية من وسط الكومة؛ وحدّق فيها بعين غير ملتزمة، غير مبالية. استطعت تبيّن ما يلي:

عزيزتي أيرين،

أشكرك مرة أخرى على الوسائد. لقد أعجبتني جدًّا. فقد جعلت الغرفة أكثر بهجة و «راحة».... جزء تالف بالكامل. بالبيض المخفوق من الأفضل ترك الإناء في مكانه بماء بارد وليس ساخنًا... لا يجب أن تهتمي كثيرًا بأمر أوردتنا السطحية. لا يوجد تصبّغ جلدي ولا استسقاء. تذكري أنني أحبك كما أنتِ... أتطلع إلى رؤيتك يوم الثلاثاء بالشوق المعتاد ولكن يوم الجمعة قد يكون أكثر ملائمةً....

Twitter: @ketab_n

استدار بلا اهتمام للصندوق الخاص به. كانت الصورة التي يريدها مسحوقة ومنبعجة بالكامل ولكن استطاع معالجتها بعصرة من قبضته... أبديت اندهاشي التام. إذًا فهي الحب الوحيد. وليست امرأة عابرة. وهي امرأة عجوز ضخمة حقًا. مبتسمة، في سترة رسمية غامقة اللون. عندما ذهب إلى العمل ذلك المساء، ترك تود الرسائل على عتبة الباب الأمامية، داخل صندوق أحذية أبيض قام شخصًا ما - أيرين كما أفترض - بكتابة الكلمات لتذهب إلى الجحيم بخط رديء. لم تبد هذه إشارة جيدة جدًّا. ولكن رسالة تود، في رأيي، لم تكن واعدة جدًّا أيضًا.

مرت ليلتان واستيقظ في ساعات الصباح الأولى واستلقى هناك ببرود. غمغم قائلًا «ترهاع». استمر تود في القيام بهذا لفترة مؤخرًا - الغمغمة: ترهاع. ترهاع. اعتقدت أنها مجرد كحة، أو تجشؤ غير مكتمل، أو مجرد نزوة جديدة غير جذابة ثم تمكنت من معرفة ما يقوله الرجل. قام من الفراش وفتح النافذة. ثم بدأ الأمر. دخلت الأمواج، نفحات الرياح الرقيقة لتبدأ الغرفة بالامتلاء بالدفء وأثر كائن آخر. والأكثر مفاجأةً وجذبًا للانتباه، دخان سجائر! - التي كان تود يهتم بها كثيرًا، بسبب كل المرات المتكررة التي استنشق فيها سيجارًا فاخرًا. شيء ما يشبه الصمغ أو الحلوى. شيء حلو وقديم.

كانت هذه هي الروائح التي كانت ترسلها أيرين عبر المدينة... بتمهل شديد انسّل تود من بيجامته وارتدى

Twitter: @ketab_n

حلتـه الليفيـة. ثـم نفـضَ الفـراش وأقلقـه بأنفـاس منزعجـة. رغـم ذلـك، قـام بتحضـير السـجائر لهـا في النهايـة. مالئـا صحنًا ببعـض أعقـاب السـجائر والكثـير مـن الرمـاد. ثـم أغلـق النافـذة ونـزل إلى الخـارج وبـدأ في الانتظـار.

أظهـر ذلـك صـورة طيبـة - وكان الأمـر كذلـك فعـلًا، غامـرت وتخيّلـت أنهـا كانـت لمحـة رومانسـية بعـض الـشيء مـن تـود أن يخـرج بهـذا الشـكل ويقـف في خفّـه المـنزلي عـلى الرصيـف المبتـل. رغـم أن مزاجـه بـدا في هـذه المرحلـة، لا بـدّ أن أعترف، بـدا ذو خيبـة أمـل عميقـة. بعـد ذلـك بلحظـات سـمعنا صـوت سـيارتها قادمـة، سـمعنا اقترابهـا الزلـق ورأينـا زوجـي الأضـواء الحمـراء في نهايـة الشـارع. توقفـتْ، ثـم فتحـتْ بـاب السـيارة بضجـة كبـيرة، وانتزعـت نفسـها إلى الخـارج. تفاجئـتُ قليـلًا عندمـا سـارت إلى الأمـام وعـبرتْ الطريـق، وهـي تهـز رأسـها في حـزن أو إنـكار. امـرأة عجـوز ضخمـة حقًّـا. أيريـن. هـذا صحيـح.

قالت: «تود؟ هذه هي النهاية. هل أنت سعيد الآن؟»

سـعيدٌ أم لا، سـبقها تـود مـن خـلال البـاب الأمامـي. لـوت معطفهـا بينمـا صعـد تـود بمجهـود كبـير إلى أعـلى وجـاءت تتقافـز وراءه. أعـترف أنـني شـعرت بالإحبـاط. لقـد تأذيـت. لأنهـا كانـت أول مـرة بالنسـبة لي. قـل أني أحمـق، قـل أني حالـم - كان لـدي أمـل أن الأمـر سـيكون جميـلًا. ولكـن لا. عـليّ أن أذهـب وألحـق بهـا في يـوم سيء فعـلًا. لـم تكـن هـي أيضًـا مـا أرادت أن تكونـه. أوه، لمـاذا لا يمكننـا إنجـاح هـذا الأمـر؟ انحنينـا أنـا وتـود عـلى الفـراش الملتـوي في الوقـت الـذي تقدمـت فيـه

Twitter: @ketab_n

أيرين إلى الغرفة، ممسكةً بقوة بمنديل تفرغ فيه دموعها وداعيةً إيّانا بالخراء.

ثم بدأت في نزع ملابسها. يا للنساء!

«أيرين» حاول تود أن يكون عاقلًا. «أيرين. أيرين»

استمرت هي في نزع ملابسها بسرعة، كما لو كانت ضد الزمن؛ ولكن سرعة حركاتها لم تكن ذات علاقة برغبتها. تحدثتْ بسرعة، وبكت، وهزت رأسها. امرأة عجوز ضخمة، في سترة بيضاء كبيرة، في سروال أبيض كبير. كان صدرها على شكل منحنى هابط هائل أسفل ذقنها، المثلث بشكل حاد والمتحرك بقوة الهواء، صدرها المرفوع دائمًا، بنوع ما من حبال وبكرات حقيبة ظهر جندي أمريكي. ثم انتزعت مشدّها المهيب. ثم بدأ ذلك العاج الأبيض الكبير بالزحف نحوي. واعتقدت أن ملابسها كانت بيضاء. ما الذي كانت تقوله، أيرين، ما الذي كانت تتحدث بشأنه، بكلمات أُنقذ نصفها وغرق نصفها الآخر- في شهقات وهمسات؟ باختصار، ها هو الأمر: أن الرجال كانوا إما أغبياء جدًّا أو يعرفون ما يريدونه جدًّا بلا حلول وسط. أغبياء جدًّا أو أذكياء جدًّا. البراءة الكاملة أو الذنب الكامل.

«نكتة سخيفة» قال تود ذلك عندما استدارت وتطلعت إلينا «تعرفين أنني لم أعنِ ذلك"

بدا على أيرين أنها هدأت وتراجعت. انخفض جسمها واستقر بجانبي، بوفرةٍ مزعجة، وامتدت يداي إلى النسيج

Twitter: @ketab_n

الأبيض لذراعها. اقتراب مذهل. لم يحدث أبدًا من قبل، أبدًا... كانت أيرين تشعر بالثقل وعدم الارتياح (وكذلك أنا)؛ ولكن الجلد كان ناعمًا. لمسه. يمنح الكثير. يمنح أكثر من مجرد اللمس.

«عظيم» قال تود. «يمكنكِ إذًا أن تخرجي من هنا حالًا»

هذه الكلمات، يسعدني القول، كانت ذات تأثير مبهج عليها. ولكن صوتها بدا خائفًا عند قالت: «أعدك»

«هل تعدين بذلك؟»

قالت: «أبدًا»

«ألن تخبر ي أحدًا؟»

«ولكني لن أفشي السر أبدًا»

«هذا هراء» قال تود. «من له أن يصدقك على أي حال؟ فأنتِ لا تعرفين ما يكفي»

«أحيانًا ما أعتقد أن هذا هو السبب التي يجعلك تستمر في هذا الأمر. خوفك أن أفشي السر»

ثم كان هناك صمت. تحركت أيرين واقتربت أكثر عندما اتخذت المحادثة منحنى جديدًا.

«الحياة» قال تود.

«ماذا تقصد؟» قالت أيرين.

«يا للمسيح، ومن يهتم. الأمر كله هراء على أي حال»

Twitter: @ketab_n

«لماذا؟ فأنا حتى لا أصدر أحكامًا، أليس كذلك؟»

«هذا أمر لا ينبغي عليك التحدث عنه مطلقًا»

«هل كنت لطيفًا بهذا الشكل تجاه زوجتك وطفلك؟»

«لن نعرف شيئًا حول هذا الأمر، أليس كذلك، أيرين؟»

«إلا إذا كان من أجل أصدقائك. والعائلة. وأحباءك»

«لا يتوجب عليكِ أن تكوني بصحة جيدة»

«وقاتلة أيضًا» قالت أيرين.

«هل عليك حقًا القيام بذلك؟ إنها عادة مقززة»

بدأ تود في الكحة والتلويح بيده اليمنى الممتلئة. بعد برهة أطفأت أيرين سيجارتها وأعادتها إلى علبتها. واستدارت تجاهنا بشكل ذو مغزى. تلت ذلك عشر دقائق مما أظن أنك ستدعوه مداعبة جنسية. العناق والغمغمات والتأوهات - وأشياء أخرى من هذا القبيل. ثم تحرّك هو واستقر فوقها بهدوء. وعندما باعدت بين قدميها غمرتني أفكار ومشاعر لم أعرفها من قبل. أفكار ومشاعر لها علاقة بالقوة.

قالت: «أوه بيبي» ثم قبلت خدي. «لا يهم»

«أنا آسف» قال تود. «أنا آسف»

حسنًا. مارسا الجنس على أي حال. بعدها، كان الأمر أسهل بكثير. نعم. كان الجو رائعًا عندما ارتدينا ملابسنا

Twitter: @ketab_n

وانطلقنا إلى الدور السفلي لنتناول شيئًا ما. جلسنا هناك، على منضدة الطعام، جنبًا إلى جنب، حيث قمنا بهدوء بفك التفاف جزء بعد آخر من الباستا الشاحبة. لاحقًا - انطلاقة أخرى إلى السينما، من فضلك. ذراع في ذراع. شعرت أنني أتحرك عبر أرض غريبة، على أطراف الأصابع، مع امرأة يسمح لي بلمسها - يسمح لي بالقيام بأي شيء أريده معها، أو على الأقل بأي شيء يمكنني القيام به. ما هي حدود ذلك؟ أثناء سيرنا دوى صوت سارينة، كصفير ذئب اقتنص على اسطوانة مخدوشة... مرت السينما بخير أيضًا. أصابني القلق في البداية، عندما بدأت أيرين في البكاء مرة أخرى قبل حتى أن نأخذ مقاعدنا. أعتقد أن الفيلم كان مثيرًا للاكتئاب جدًّا. كان كل شيء عن الحب. العاشقان الظاهران على الشاشة، يتوهجان بجمال وبهجة هادئة - بدا وكأنهما خلقا لبعضهما البعض؛ ولكن بعد سوء تفاهمات ومغامرات عديدة انتهى بهما الأمر وهما يسيران في طريقين منفصلين. وفي هذه اللحظة كانت تنبعث من أيرين غرغرة مكتومة من الضحكات، حيث لم تكن تضحك أو تحرك رأسها تمامًا. كان الجميع يضحكون. ولكن ليس تود. ليس تود. ومن العدل القول أنني لم أجد ذلك باعثًا على الضحك أنا أيضًا. انتهى بنا الأمر إلى بار قريب من دار السينما. تناولت هي كوكتيل ستينجرز. وتناول تود بيرة شتاين كعادته. ورغم أن تود عاد إلى المنزل بمزاج متعكّر (كان خارج لياقته المعتادة تمامًا)، كان افتراقنا عن أيرين مميزًا بالحميميّة والدفء. أعرف أنني سأراها بشكل أكبر في الفترة القادمة. كنا قد جنينا حتى

Twitter: @ketab_n

ذلك الوقت ثمانية وعشرين دولارًا. أصبحتْ واحد وثلاثين دولارًا بعد الذرة المحمّصة. لا يبدو هذا مبلغًا كبيرًا ولكن عليك أن تكون منتبهًا هذه الأيام، حيث يصبح كل شيء أرخص سعرًا وحيث يقوم تود بعدّ نقوده بتجهّم طوال الوقت.

أما أنا، فقد كنت غارقًا في الحب. لا أعرف إن كنت قادمًا أم راحلًا. الغفران الذي تقدمه عيناها الزرقاوين الفتيّتان، والتي تطل في إحراج فانٍ من بين الانحناءات الخفيّة القديمة لوجهها، المنتفخ جدًّا، المتداخل جدًّا، الجاف جدًّا. ممم - الناس! يبدو لي أنك تحتاج إلى قدر كبير من الشجاعة، أو قدرًا كبيرًا من شيئًا ما، للدخول في الآخرين، للدخول إلى الأشخاص الآخرين. نعتقد جميعًا أن أي شخص آخر يعيش في قلاع حصينة، في حاميات عالية، خلف حوائط شفافة معززة بالرماح والزجاج المكسور. ولكننا في الحقيقة نعيش في هياكل أكثر ضعفًا وهشاشةً بكثير. ويتضح في النهاية أننا جميعًا عبارة عن بناء بنيَ بإهمال على عجل. أو أننا حتى لسنا كذلك. يمكنك إدخال رأسك تحت قماش الخيمة والزحف إلى الداخل مباشرةً، بعد أن يأتيك الرضا والقبول.

ربما يكون الهروب ممكنًا. الهرب من - الهرب من الواحد الأكبر الغامض. وبالنسبة لرحلتها داخله، حسنًا، هذا أمر أكثر صعوبةً. فهي تخبرنا بأشياء حول نفسنا. ولكن ما هو مقدار ما تعرفه حقًا؟ يتعامل تود، بالطبع، مع الأمر

Twitter: @ketab_n

بشكل طيب دائمًا. ولكني مازلتِ لا أعرف على الإطلاق إن كان سيجتاز الأمر أم لا.

إنه أمر مثير جدًّا، في رأيي. الأخبار حول زوجتي وطفلي. الزوجة والطفل اللذان سيكونان لدينا أنا وتود يومًا ما. ولكن الأطفال الرضّع يصيبونني بالقلق. نعرف، بطبيعة الحال، أن الأطفال دائمًا ما يتسببون في القلق والمخاوف. إنهم كائنات صغيرة مزعجة جدًّا.

أين يذهبون، هؤلاء الكائنات الصغيرة التي تختفي: المختفين؟ أصبحت متشائمًا جدًّا بأنني سأبدأ برؤيتهم قريبًا في أحلام تود.

في كل يوم سبت أو أحد تقريبًا، في الصباح، وبينما نقوم بالاستعداد لإخراج الأشياء المخزّنة، والمرور عبر الروتينات المذهلة لتلويث الأشياء وبعثرتها (حيث نقوم بتشويه كل حاجب بلمسة إصبع على غير العادة)، بإمكاننا أنا وتود أن نشعر أن الحلم في انتظار الحدوث، حيث يجمع طاقته من مكان ما على الجانب الآخر. نحن نؤمن بالقدر. نرقد هناك، والمصباح يحترق، بينما يتلاشى ضوء الفجر. تتكون قطرات عرق باردة، وتلتمع، ثم تتبخر فورًا. ثم يزداد معدل ضربات قلبنا، بثبات، حتى تضطرب آذاننا بالدماء الجديدة. لا نعرف الآن من نحن. يجب أن أكون مستعدًا عندما يندفع تود فجأةً نحو مفتاح الكهرباء. وفي الظلام مع صيحة يضطرب لها فكه - نصبح في الداخل. الشكل الإنساني المهول في المعطف الأبيض، حذائه الأسود طارقًا

Twitter: @ketab_n

مسافات مديدة في مكان ما هناك، بين ساقيه، يقع خط الأرواح. أتمنى فقط لو كانت لديّ تلك القوة، القوة اللازمة لتحويل نظري. رجاءً، لا تجعلني أرى الأطفال الرضّع. من أين يأتي الحلم، وتود لم يقم به بعد؟ أعرف أن الحلم يجب أن يكون حول ما سيفعله تود في النهاية.

هناك شيء في هذا الزمن يدعى الموضة. الموضة للشباب وكل حيويّته، ولكن تود وأنا نتسلى من وقت لآخر. على سبيل المثال، ذهبنا إلى متجر التوفير من زمن ليس ببعيد واخترنا زوجين من السراويل الواسعة. أردت أن أجربهم هناك مباشرةً ولكن لشهور تركها متدلية في خزانة العليّة، حيث زادت التجاعيد والجيوب الهوائية بحيث أصبحت ملائمة لشكله في النهاية، للعظام الفريدة في ساقيه. بعد ذلك، في إحدى الليالي، انسلّ بلا اهتمام داخلها. ولاحقًا، بعد انتهاء العمل، نظرت بشكل جيد إلى هذه السراويل الجديدة الخاصة بنا، بينما يقف تود أمام المرآة الكبيرة وهو يفك عقدة وندسور لربطة العنق من على لحمه الممتلئ. حسنًا، لم تكن مستفزة بالفعل. مع سراويل تود الواسعة من الأسفل لا شيء مثل تأثير الملابسة المتماثلة الذي سنبدأ في رؤيته قريبًا في الشارع. ولكني وجدتها مخزية تمامًا، كلها بنفس الحال: بشكل جمالي، كانت تمنحني تأثير يشبه العنف. هذا المواطن الأساسي، هذا الطبيب العجوز – مع ربلة ساقيه المتدلية. أين ذهبت قدمه، بحق المسيح؟ عرفت حينها، أعتقد ذلك، أن قسوة تود، وهي

Twitter: @ketab_n

سره الدائم، لها علاقة بالخطأ الرئيسي في الأجسام البشرية. أو ربما أكون قد اكتشفت شيئًا ما ذو علاقة بأسلوب أو مسار قسوته. ولكن قسوة تود ستكون تافهة، قذرة، منحرفة، شاذة: أي متّسعة... استمرت رغم ذلك موضة السراويل وأصبح الجميع يرتديها الآن. يتحركون في الشوارع مثل اليخوت: بحّارة معزولون عن المياه داخل المدينة. الشيء التالي الذي ستعرفه، أن حواف ملابس النساء ترتفع إلى ثلاثة أقدام تقريبًا. والصراحة والقوة المفاجئة للعجائز الأنثوية. تبدأ في الانخفاض مرة أخرى بالفعل، ببطء، ولكن، يا للمسيح.

ربما تكون القسوة البشرية ثابتة وأبدية. بينما تتغير الأساليب فقط. منذ سنوات قليلة خلت، فإن مشتهي الأطفال، وهم سائرين عبر المتجر الكبير أو جالسين على المناضد الهادئة في «سالاد بينج» أو «جست ديسرت»، ربما يكونوا قد قاموا بتنسيق عملياتهم - مواعداتهم العابرة للأجيال - عن طريق الهاتف المحمول. الآن لن ترى أبدًا هواتف محمولة، والأسواق التجارية والمطاعم أصبحت مختلفة، لذلك يجب على مشتهي الأطفال إدارة الأمور بطريقة أخرى، أو بأسلوب آخر ما.

الحرب قادمة. ربما تكون حرب صغيرة مبدئيًا. أثناء جلوسنا في البارات، تطلعنا مرات عديدة إلى أعلى وبجوارنا كانت بيرة «بدّ» أو «مولوسن» أو «ميللير»، حيث كنّا نرى نفس تلك اللقطة على التلفزيون المركب على الحائط:

Twitter: @ketab_n

تهجين لتحسين النسل بين السمكة السيف وسمك الراي، تدور الهيلوكبتر في دوامة صاعدة من المحيط وتزحف بتجهّم على سطح حاملة الطائرات، مستعدة للقتال.

قد تعتقد أن هذا الأمر قد يكون مريحًا تمامًا، بسبب عدم التمتع بأي إرادة (فعّالة)، أو أي جسد يمكن من خلاله ممارسة هذه الإرادة بأي طريقة. العديد من المسائل الإدارية والتنفيذية، هذا صحيح، تخرج من نطاق مسئوليتك. ورغم ذلك، هناك دائمًا الرغبة في التقدم إلى الأمام، لتتولى مسئوليتك باعتبارك استثناءًا قيّمًا. فقط عليك ألا تتقدم إلى الأمام. لا تتقدم إلى الأمام أبدًا. قد لا تكون الأشياء الصغيرة جميلة. ولكن الأشياء الكبيرة مجنونة.

لا أريد أن أبدو ملتهب العينين بشكل زائد أو أرمش ببطء بخصوص هذا الأمر - حسنًا، أعرف أنني أحمق تمامًا في مجالات عديدة - ولكني أرغب في القول أنني كنت متقدمًا عن تود بشكل كبير حول هذه المسألة الأساسية الخاصة بالفرق الإنساني. يتمتع تود بآلية استشعار ترشده في استجاباته نجو جميع الأنواع الفرعية القابلة للتحديد. تنطلق نغمة شعوره لتتفرع إلى اتجاهات واستعدادات متخصصة: واحدة لذوي الأصول اللاتينية، وواحدة للآسيويين، وواحدة للعرب، وواحدة للأمريكيين الهنود وواحدة للسود، وواحدة لليهود. ولديه أيضًا مستودع ثانوي للعداوة المتيقّظة نحو القوّادين والعاهرات والمدمنين والمجانين ومشوّهي الأقدام وذوي الشفة الأرنبية والذكور المثليين، والعجائز جدًّا (هنا،

Twitter: @ketab_n

بشكل عرضي، يظهر رأيي حول الذكور المثليين. قد يكون هذا الحديث مفيدًا بشكل أو بآخر. لا مشكلة مع الذكور المثليين - وهذه أخبار جيدة جدًّا في الحقيقة - طالما يعرف المثليّ أنه مثليّ. تظهر المشكلة، عندما لا يعتقد المثليّ أنه مثليّ: وهنا يظهر الارتباك. وهنا يظهر الخطر. بالطريقة التي ينظر بها تود إلى الرجال، وإلى النساء، وإلى الأطفال: هنا يظهر الارتباك. هنا يظهر الخطر. لا تفهمني بشكل خاطىء. لا أشير بأصابع الاتهام إلى تود على أنه ثمرة جاهزة، ليس تمامًا. أقول فقط أن الأشياء قد تكون أقل إثارة للارتباك وأقل خطورة، فقط إذا فكّر بجديّة حول فكرة كونه مثليّ. هذا ما أريد قوله.)

كل هذه الفروق كان عليّ أن أعرفها. في البداية على الأقل، لم يكني لديّ أي مشاعر محددة مسبقًا حول أي شخص، بأي طريقة كانت (باستثناء فيما يتعلق بالأطباء: من أين جاء ذلك إذًا؟). عندما أقابل الناس، انتظر الشعور بنبضة قادمة من كينونتهم الداخلية، لتخبري بأشياء مثل - ما هو مقدار الخوف، ما هو مقدار الكراهية، ما هو مقدار السلام، ما هو مقدار التسامح. أعتقد فعلًا أنني من النوع المفعم بالعاطفة. تخيّل الجسد الذي لا أمتلكه، وانظر إلى هذا: جنين متأثر عاطفيًا بابتسامة مخلصة.

هناك طالب في «الخدمات الطبية المتحدة»، ياباني الجنسية، من أوساكا في صفقة تبادل طلابي لستة أشهر، تشعر بروح العطف فيه في البداية، بالطبع، ولكنه يزداد

Twitter: @ketab_n

بالتدريج بعدًا وزهوًا. إنه محظوظ أنه لم يكن هنا منذ سنوات قليلة مضت، عندما كنا نكره اليابانيين بالفعل. اسمه ميكيو، طفل ذو منظر مرح، بحمل ثقيل من الآخريّة: شعره الخفيف، ومقلة عينيه مختفية مع سطح محدّب يوحي بالتفهم القاسي. أثناء استراحات الغداء، في مطعم «الخدمات الطبية المتحدة» يجلس ميكيو محدودبًا على كتاب. بينما أراقبه من بعيد. يقرأ بالطريقة التي أقرأ بها - أو المفترض أن أقرأ بها، إذا ما أتيحت لي الفرصة على الإطلاق. يقلّب الصفحات من اليمين إلى الشمال. يبدأ في البداية وينتهي في النهاية. ويعني هذا شيئًا عجيبًا بالنسبة لي - ولكن تود وأنا بالتأكيد من ضمن الأقلية هنا. وكيف يمكن لنا نحن الاثنين أن نكون على صواب؟ فهذا سيجعل العديد من الآخرين على خطأ. يتحرك الماء إلى أعلى. ويبحث عن أعلى مستوى ممكن. ماذا توقعت؟ يسقط الدخان. في عنف النار تُخلق الأشياء. ولكن لا مشكلة في هذا. ما دامت الجاذبية تشدنا إلى هذا الكوكب.

العديد من زملاء العمل - بما في ذلك تود - يسخرون منه حول هذا الأمر وبكل شيء آخر، ولكن ميكيو حر في القيام بهذا، في القراءة بالشكل الذي يحلو له. لاحظت أن اليهود أقوياء الملاحظة يقرءون بهذه الطريقة أيضًا. الناس أحرار إذًا، عمومًا هم أحرار، أليس كذلك؟ حسنًا، فهم لا يبدون أحرارًا. متمايلين، مترنحين، مع أصوات ناعقة أو مختنقة، متخبطين إلى الوراء على مسارات يبدو

Twitter: @ketab_n

أنهم مروا عليها بالفعل، أو طرقوها بالفعل. أوه، وتلك النظرة المشمئزة على وجوه النساء أثناء سيرهم إلى الخلف عبر فرجة الأبواب، خارجات من المطر. لا ينظرن أبدًا إلى حيث يذهبن، يتحرك الناس عبر شيء ما مرتب مسبقًا، مسلحين بالأكاذيب. يتطلعون دائمًا للذهاب إلى أماكن جاءوا منها للتوّ، أو يأسفوا على أشياء لم يفعلوها بعد. يقولون «مرحبًا» عندما يقصدون «وداعًا». سادة الأكاذيب والتفاهات - جميعهم ملوك الهراء والترهّات. العلامات تقول «ممنوع إلقاء أعقاب السجائر - ولكن لمن؟ لا نجرؤ أن نحلم بذلك. بينما تفعل الحكومة ذلك، في الليل، باستخدام الشاحنات؛ أو الرجال المرتدين الزي الموحد الذي يأتون بحزن في الصباح بعرباتهم الصغيرة، وينثرون قمامتنا، وخراء الكلاب.

لا يجب أن أكون لحوحًا حول الموضوع، ولكن لابد من القول أنه من الناحية الجسدية فإنني أنا وتود نشعر أننا على أحسن حال. ورغم ذلك، فإن الحياة الجسدية لا تأتي بدون سلبياتها الثانوية. ما زلنا نعاني كل صباح، كما هو الحال بالنسبة لكل شخص لآخر - ولكن الأمر ينتهي سريعًا هذه الأيام. تود، أحييك قائلًا: ما هي معرفة الأوعية، ماذا يمكن للمعلبات أن تفعل؟ استسلمت تقريبًا لعمر كامل من نصف ساعة مغرورقة بالدموع. ولكننا الآن خارجين من هناك بعد عشرين دقيقة مغرورقة بالدموع.

كل يوم، أمام المرآة، بينما أفحص إنسانية تود - لا

Twitter: @ketab_n

تظهر عليه أي علامة ترحيب. وكأنه، تقريبًا، لا يهتم بمسألة المقارنة بتاتًا. أريد أن أنقر بقدمي، أريد أن أضم قبضتي: نعم. لماذا لا يكون الناس أكثر سعادة حول الشعور الرائع الذي ينتابهم، نسبيًا؟ لماذا لا يحضنون بعضهم البعض طول الوقت، قائلين «ما رأيك في هذا؟»

بناءًا عليه، وبعد بدايات خاطئة عديدة، وبعد ساعات عديدة في بحر لا تشرق عليه شمس من الارتباكات والاعتذارات وعرق المجهودات، قطعنا أنا وتود علاقتنا بأيرين أخيرًا. كانت مهذبة بشكل كامل، ولم تبدِ أي ملاحظة حول هذا التغيّر الكبير.

أجادَ تود التعامل مع الأمر أيضًا: كل هذا حدث في عمل استمر يوم واحد. ولكنني شعرت بالانتشاء. وامتلأت بالكبرياء. ربما كان رد فعلي مبالغًا فيه، كالعادة. ثم أصبحت هادئًا قليلًا. والآن أنا راضٍ عن نفسي بشكل رائع. هذا هو الحب. هذه هي الحياة. الصدمة، الخدعة: يتضح أن الأمر لا يستحق كل هذا العناء. الحياة والحب معًا. يأتي الأمر بشكل طبيعي.

مع الرومانسية العالية هذه، أو هذا ما يبدو (أصبحت مهتمًا أكثر وأكثر بنظرية السبب والنتيجة)، يتوسع دوري هنا في «الخدمات الطبية المتحدة». أقول دور لأن التطبيب يدخلك في نوع من الأداء الثقافي، الإيحاءات، أغاني البهجة، تحركات القوة الراقية. لا مشكلة في هذا كله، فالمجتمع يسخر من ذلك. كنت قد قمت بإفراغ ذلك المكتب الصغير

Twitter: @ketab_n

الجميل هناك، مفسحًا المكان لرجل أكبر سنا. أصبحت الآن أكثر حضورًا إلى غرف الاستشارات. لم أعد أتعامل مع الرجال العجائز فقط. أصبحت أتعامل مع النساء والأطفال. بل وحتى الرضّع. كان الأمر كما لو كنا لا نستطيع ترك الرضّع بمفردهم. في الحقيقة يميل تود لأن يكوَن أكثر إيجابيةً معهم مقارنة بأسلوبه في المنزل (في المنزل، في الخف المنزلي، ورداء النوم، وجرّ الأقدام بمعاناة ممتدة). يتم هنا نقل الأطفال على الكراسي المتحركة أو حملهم، وهم بصحة جيدة نسبيًا، ثم تتطلع إليهم وتقول شيئًا ما مثل «هذا الرجل الصغير بصحة طيبة" ودائمًا ما تكون مخطئًا تمامًا. دائمًا. بعد يوم أو يومين. يعود الرضيع، بأذنين ذات لون قرمزي، أو وهم يصرخون صرخات متقطعة في المهد... ثم لا تفعل شيء على الإطلاق تجاههم. التحدي، في رأيي، هو الاستمرار في الأمر مع المحافظة على ما تبقى فينا من رقيّ.

وهناك الحالات التي تتضمن في الحقيقة ذلك اللقاء الغريب بين الزجاج أو المعدن المصنوع بشريًا واللحم البشري. والدم البشري. أصادف الآن عدد كبير من حالات القيء، ولكن لا يوجد شيء بشع على الإطلاق وذلك لأننا نعمل، كما يقول زملائي دائمًا، على مستوى التخييط والترقيع من الأعمال الطبية الحيوية: أي الحالات الخطيرة التي نحضرها مباشرةً، بسرعة، من مستشفيات المدينة، وبدورنا نتخلص منها بأسرع ما يمكن. يمكنك قول هذا عن

Twitter: @ketab_n

المشوهين والمفرومين. فهم يخرجون من هنا دائمًا. نعم، إنها صفقة مربحة، في «الخدمات الطبية المتحدة»، على الطريق رقم 6. لا عجب أن الناس يبدءون مباشرة بشكوى أو حتى عريضة رسمية. وبالنسبة للمكالمات المنزلية، نبدي رفضنا على الهاتف قبل حتى أن نسمع السؤال، قبل حتى أن نسمع رعب الأم، وصياح الرضيع. نقول أنها ليست سياستنا. إذا أردت أن يصيبك التدهور حقًا، عليك بالمجيء إلينا. مقدار المال معقول. ولا يستغرق الأمر وقتًا طويلًا.

تحققت المخاوف التي لدي بخصوص الرضّع، حيث بدءوا في الظهور في أحلام تود. ظهروا بالفعل. أو، على الأقل، ظهر واحد منهم. لا شيء مريع يحدث، كما أنني أتعامل مع هذه الحقيقة بشكل طيّب حتى الآن.

في العادة يرتبط الرضّع في عقولنا بالضعف والعجز عن الدفاع عن أنفسهم. ولكن الأمر لا يسير بهذا الشكل في الأحلام. فالرضيع يبدي في الأحلام قوة مذهلة. يصبح متمتعًا بالقوة، بالقوة المطلقة للحياة والموت متفوقًا على أبويه، وإخوته وأخواته الأكبر عمرًا، وجديّه، وفي الحقيقة على كل شخص آخر حاضر في الغرفة. يوجد حوالي ثلاثين منهم هنا، رغم أن الغرفة، إذا كانت غرفة فعلًا، لا يمكن أن تكون أكبر بكثير من ركن المطبخ لدينا. الغرفة غارقة في الظلام. والأكثر من هذا، سوداء. رغم القوة التي تمنحها الغرفة، فإن الرضيع ما يزال يبكي. ربما يبكي بسبب هذا الانعكاس الآثم لا غير -المسئوليات الجديدة واليائسة التي

Twitter: @ketab_n

تأتي بها القوة. بأكثر الهمسات خفوتًا يحاول الأبوين منح الراحة، يحاولون تهدئته: للحظة يبدو أن كل ما يفعلونه هو خنقه. هناك ذلك الإغراء الكاسح. لأن الصعود التراجيدي للرضيع له علاقة بصوته. وليس بقبضته الممتلئة، أو ساقيه عديمة الفائدة، ولكن بصوته، بالأصوات التي يصدرها، بقدرته على البكاء والنحيب. في العادة، يتمتع الأبوين بقوة الحياة والموت متفوقين على الرضيع، وهذا كل ما يملكه الأبوين. الآن، رغم ذلك، في هذه الظروف الخاصة وفي هذه الغرفة الخاصة، يتمتع الرضيع بالقوة عليهم. وعلى كل شخص آخر حاضر هنا. حوالي ثلاثين روحًا.

الأمر في مجمله أكثر صعوبةً على تود مقارنةً بتأثيره عليّ. فأنا دائمًا يقظ عندما تحدث الأحلام. وأنا بريء... البريق المريض للادّعاء والاتهام - لا أفهم ذلك. أعرف أنه فقط يحلم. لا أفعل حينها سوى التراجع، مع بعض من الخوف، لا بدّ أن أعترف بذلك، لأشهد العرض المتأخر الذي يظهر في رأس تود، في عقله السريّ - في مستقبله. عندما يحين وقت تجربة الأحداث التي تتنبأ بها أحلام تود (عندما نكتشف، مثلًا، كيف يتأتّى للرضيع أن يكتسب كل هذه القوة)، حينها قد أجد الأمر أكثر صعوبةً. يبكي تود نفسه كرضيع قبل حدوث الأحلام. وأحيانًا ما تزوره أيرين هذه الأيام لترفع روحه المعنوية قبل أن ينطلق إلى هناك.

على شاشة التلفزيون (انظر) - على السقف، على الرف الضيق، عاليًا، الرجل الباكي في القميص الأبيض المتسخ،

Twitter: @ketab_n

حاملًا لرضيع. بالقرب، يزحف رجل الشرطة بسرعة، متقوقعًا ومنحنيًا لهذه المقابلة أو العملية الطارئة. يقول الشرطيّ عبر البوق الذي يحمله أنه يرغب في أخذ الطفل. ولكنه، في الواقع، يرغب في نزع سلاح الرجل الباكي في القميص الأبيض المتّسخ. ولكن الرجل الباكي لا يحمل سلاحًا. الرضيع هو السلاح.

ولكن الأمور لا تجري بهذا الشكل في الغرفة السوداء، مع الكريون المتلمّس لطريقه فيها، وأشكالها البشرية الثابتة. أنا لا أعرف إلا هذا. هنا، الرضيع ليس سلاحًا. ولكن هناك، يصبح الرضيع أقوى من قنبلة.

حينها فقط استطاع تود إرساء علاقتنا مع أيرين على أرضية ثابتة، ذلك النوع من الثبات الذي يقاتل من أجله أي راجل عاقل، مع زياراتها دقيقة المواعيد ومكالماتها الهاتفية الحميمية، والأفلام التي نستمتع بها سويًا، ووجبات العشاء اللطيفة، والسلام والأمن (التسامح) الذي يحمله صوتها، إلى جانب ممارسة الجنس بكسل يثير الدهشة كل بضعة أشهر تقريبًا، ووصولًا إلى المرحلة التي تجعلني أعتقد أنه بإمكاننا أن نلوم أيرين، برفق ولكن بشدة، حول الفوضى التي تشيعها في أرجاء المنزل، لأن من الأفضل التحدث عن هذه الأمور بشكل واضح، بدلًا من جعلها تتفاقم وتثير الغضب لاحقًا، وهكذا لك أن تخمّن ما حدث لاحقًا. بدأ تود في التسكع والعربدة. نعم مع جاي نورّ.

في ظهيرة يوم أحد، قدنا السيارة بطريقة مجنونة إلى

Twitter: @ketab_n

روكسبري ونزلنا من السيارة في مكان الانتظار ثم تجوّلنا في الشوارع، وهناك كانت هي، تقف على بابها الأمامي في حلة زرقاء طاويةً ذارعيها مع نظرة عتاب مبتهجة على وجهها. صاحت قائلةً: « أيها العجوز الوغد». ولكننا تحدثنا إليها رغم ذلك. لم أعتقد أن هناك أي مشكلة إلا عندما دخلنا إلى المنزل. تود، أرغب في القول: لا تفعل هذا. صوت الضمير. يتحدث بهمس. لا أحد يسمع. أمر ما يؤدي لآخر - في الحقيقة فقد كان الأمر أشبه بالطريقة المعاكسة. بعد فترة خمول أوليّة، أصحبنا الآن نذهب إلى جاي نورّ، بانتظام كل أسبوعين.

يدعى هذا خداعًا، أو خيانة، وهذا بالضبط ما يوحي به الأمر. يحدث ضياع للإخلاص والنزاهة. ومن ناحية أخرى فهو أمر مثير من الناحية البدنية، لا بد لي أعترف، لأن صديقتنا الجديدة كانت موجودة قبل أيرين بفترة أطول قليلًا. هذه الجميلة الصغيرة عمرها أربعة وخمسين عامًا فقط. ولكنني أشعر بالضيق. لأكون صريحًا، أشعر بالفضيحة. في الأسبوع الفائت تنزهنا مع شخص آخر: إلزا. مجرد غداء، لحسن الحظ. كانت مناسبة مليئة بالجدال والخلاف للغاية ووصفتنا هي بأوصاف مريعة. اعتقدت أن الأمر كان كارثة ولكن شيئًا ما أخبرني أن تود ما زال لديه بعض الأمل. هل يُسمح بهذا؟ أشعر كما لو كنا على وشك أن يقبض علينا. ما هي الحدود الممكنة؟

فجأة، أصبح العالم بالنسبة للغدد التي يحملها تود

Twitter: @ketab_n

مجـرد امـرأة. حـتى حـدّة المدينـة، في ليلـة مبتلـة، أسـتار المطـر، الظـلام الملـوّث - أصبـح هـذا كلـه امـرأة. أشـكالهن في كل مـكان، ويرسـلن رسـائل إلى غـدده. أتسـاءل إذا كان اهتمـام تـود الجديـد بالنسـاء لـه جانـب وظيفـي، أو يتصـل بتعاملاتـه معهـنّ في «الخدمـات الطبيـة المتحـدة»: فحصـه الدقيـق للحـم الأنثـوي المضطـرب أو المشـوّش. ولكـن اهتمامـه الجديـد بالنسـاء يبـدو أكـثر اتسـاعًا وفوضويّـةً؛ فهـو اهتمـام غـير محـدد. نغـوص بثبـات في المقعـد الواسـع مـع كـوب مـن القهـوة، ونظـرة خاملـة عـبر النافـذة، ثـم نـرى شـكلًا مـا يمـر عـبر الطريـق (الآن مـاذا؟)، عـبر السـور، عـبر أوراق الشـجر، ثـم ينظـر حولـه ويدقـق النظـر بـلا جـدوى، ثـم ينحـني عـلى قدميـه.

ماذا في حال كانت امرأة؟

يتغـير شـكل حظائـر الماشـية ويهـتز. تبـدأ الصناعـة في الظهـور إلى المدينـة. الغـاز رخيص. تتحرك الأشـياء بشـكل أسرع ممـا اعتـادت عليـه. تُخـلى الشـوارع مـن المجانـين؛ ولا نسـأل إلى أيـن يختفـون. لا نسـأل أبـدًا. مـن الأفضـل ألا تسـأل أبـدًا. لـم يعـد هنـاك متشرديـن، أو سـائرين ليـلًا، بـدلًا مـن ذلـك كان هنـاك إيثـار مطلـق في الخـارج. أصبـح لـدى الناس وظائـف الآن في مصنـع الصلـب ومصنـع السـيارات. يقومـون بغسـل الريـاح تمامًـا كمـا يقومـون بتنظيـف كل القمامـة وأعقـاب السـجائر، يقومـون أيضًـا بتنظيـف الأرض والسـماء. وبشـكل يشـبه السـحر يحوّلـون السـيارات وأدوات الخراطـة وقطـع الغيـار والأسـلحة والمسـامير إلى كربـون وحديـد. أصبحـوا مسـيطرين تمامًـا عـلى

Twitter: @ketab_n

مشاكلهم البيئية، ويتعاملون معها مباشرةً، بغرض مشترك. انتهى وقت الحديث. لم يعد هناك حديث. لا شيء غير العمل. المرض المميت المطلق يُشفى بشكل كامل. أصبح المجال أقل اتساعًا للتفكير والمشاعر، حيث يبدو أن الإنهاك الجسدي القوي أمر جيد للحفاظ على استقرار الناس. أصبح العمل مانحًا للتحرر: مساءات يوم الجمعة، حيث ينطلقون إليه، كيف يضحكون ويصيحون ويحركون أكتافهم بحماس.

يحب تود الزحام. في الزحام يمكنك أن تكون قائدًا بدون أن تلفت انتباه أي شخص. كما هو الأمر مع السراويل الواسعة. استمر لفترة في ارتداء سراويله الواسعة بعض الوقت والآن يرتديها الجميع. وكذلك القمصان المشجرة والمناديل المتملقة حول الرقبة، وذلك القفطان أو «الدوتي» الذي يرتديه في عطلات الأسبوع - أبيض ومشابه في القطع لردائه الجراحي، ولكن مع تداعيات عقلية مختلفة. قد يثير ذلك الاشمئزاز في مثل هذا العمر، في رأيي، ولكن العجائز يقومون به ولا يقول الشباب أنهم لا يمكنهم ذلك. الموضة هي الزحام. يرتدي تود الشارة الحمراء أيضًا، كما يفعل الجميع. يصيبني الزحام بجنون العظمة ورهاب الأماكن المغلقة ولكن تود يحب صحبة الزحام ويبحث عنها. بشبق وارتياح يلقي بنفسه مع الوحدة الأكبر حجمًا، الجماهير المتوهجة. حيث يقوم بسفح الشيء الذي لا يستطيع تحمله كما يبدو، هويّته، كينونته، حيث تضيع في التعددية الجنسية للزحام. ووجودي لم يكن أبدا أقل

Twitter: @ketab_n

حجمًا. ولكنها نفس القصة. قم بتسليم روحك واحصل على القوة.

تحت رؤوس صواعق البرق، وأسفل غطاء السحاب الذي يشبه لسان مغطى بكشّاف الطبيب المسلط عليه، كما لو كنا في كرنفال مظلم، نقوم بالتظاهر ضد حرب فيتنام، بوجوه شامخة مليئة بالحيوية، حيث تتزاحم الأجسام وتتحرك في نفس الاتجاه، ومع ذلك الشعور بأنك ضائع وأنك على صواب في نفس الوقت، التيه والحق. مسيرة تمتد لنصف ميل تتكون من الشباب والعجائز والبيض والسود والفتيات والفتيان، نبحث عن وحش لقتله أو لخلقه. اليافطات والرايات تقول نفس الأشياء المعتادة حول السلام، حول الحرب، مع مطالب أكثر تحديدًا مثل «أنهوا الفصل العنصر» و«اطردوا مدام إنتري». يبحلق تود في يافطة «اطردوا مدام إنتري». فهو لا يرغب في طرد مدام إنتري. ربما يرغب في العثور على مدام إنتري – وممارسة الحب معها. ولا يهتم بالتأكيد بأي شكل بحرب فيتنام. كما أنه ليس هنا، لنكون منصفين، للحصول على النساء فقط. على العكس: فهو هنا للتخلص منهن، أو فقدهن، أو الانطلاق بعيدًا عنهن في حرارة وأمان الزحام.

ها هي حرب أخرى قادمة. أوه، نعم. نعرف ذلك. حرب كبيرة، حرب عالمية، تكتسح القرى تباعًا. ما يقلقني هو تخيّل التحضيرات التي ستكون ضرورية، عمليات التفكيك والتجريف، والجروح التي تنفتح بعد إغلاقها فجأة... ما زالت هناك خمسة وعشرين عامًا بالضبط قبل أن تبدأ

Twitter: @ketab_n

الحرب. وهذا سبب انتشار كل هذا الصخب والمعلومات حولها في كل مكان تنظر إليه: وحتى في كل مكان ينظر تود إليه. اعتقدت لوهلة أن المعلومات ستبدأ في التراكم والازدياد منذ الآن، ولكن شكرًا لله أنها بدأت بالفعل في التلاشي.

لأن تود حساس جدًّا تجاه هذا الموضوع. فهو يؤثر عليه كرائحة، كجرس تحذير. ولكن تود. متأخر جدًّا... حيث يظهر نفس النوع من المثيرات عندما يسمع عن ذلك بلغة أخرى، وهذا لم يعد حدثًا نادرًا الآن، خاصةً في روكسبري، حيث يتجول في أيام الآحاد؛ إنها لغة تتحدث بها الآلات حتى وإن لم يوجد كائن بشري حولها ليسمعها. شيء ثالث يثير تود: تقليم الأظافر. إنها الرائحة التي تطلقها القشور الشاحبة كما لو كانت تغلي وتقرقع في النار...

ألقيت نظرة على التواريخ مؤخرًا. واكتشفت أننا لسنا بشباب أبدًا بالنسبة للحرب الحالية، ولكن عندما تأتي الحرب العالمية - سنكون حينها بصحة جيدة للاشتراك فيها. فنحن، أي كان الأمر، ذو نوع جسدي فائق. فأرجلنا ليست مسطحة. رؤيتنا واضحة. لسنا مشوهي الأقدام أو ماركسيين أو مجانين. لا نحمل أي اعتراضات لها علاقة بالضمير أو أي شيء من هذا النوع. نحن كاملون.

يبدأ هذا الأمر مع الشئون العادية لهذه الأيام. يبدأ الأمر، في الحقيقة، مع لحظة من الرعب.

Twitter: @ketab_n

عادةً ما تكون البداية بقيادة السيارة في وقت متأخر من الليل إلى مطعم ما صغير. يكون النادل قد أحضر لتوّه حسابنا أو البقشيش الذي دفعناه أو أيًّا كان، بينما نجلس هناك بهدوء يتصاعد شخيرنا ويسيل اللعاب من أفواهنا إلى وعاء البراندي الخاص بنا، ونعيد إحياء السيجار الفاخر نفّاذ الرائحة. نصبح على وعي أن الناس يتطلعون إلينا. ونحن لا نشعر بالارتياح عندما يتطلع إلينا الناس بهذا الشكل... ثم يتوقف نظرنا بشكل ثابت وقوي على شكل أنثوي منحني يسرع خلال الباب ويتجه عبر القاعة إلينا. جميلة، سمراء، رشيقة، ممتلئة، متأنقة، ولكن ليست متأنقة جدًّا. ثم تدور حول المنضدة.

إنها لحظة قوة كبيرة عندما تدور النساء بهذا الشكل، حيث يزدهر التحدي، وتتاح لنا الفرصة لنعرف كيف يبدون. في رأيي الشخصي، أن هذا دائمًا ما يكون سببًا للتنبيه، أقصد عندما يدرن حولنا - أيا كان ما يبدون عليه. لأن هنا يظهر ذلك الأمر الغريب حول العلاقات مع النساء: حيث بإمكانك الحصول على كل شيء في أول لقاء. حسنًا، أحيانًا ما يكون في ثاني لقاء، ولكنه اللقاء الأول في العادة. الاجتياح الفوري. الاجتياح الفوري والسيادة. ساعة أو ساعتين، بحد أقصى، هي كل ما يستغرقه الأمر. أوه، الرحمة. يمكنك إيقاف أي امرأة في الشارع والبدء في الصراخ فيها وبعدها بعشر دقائق تجدها عائدة إلى بيتك لتفعل ما لا يعلمه إلا الله. في أكثر من مناسبة لا يكون الاتصال الجسدي الأول،

Twitter: @ketab_n

اللمسة الأولى، أكثر من صفعة أو دفعة حادة أو ضربة شديدة من يديها عقابًا على نظرة تود الضعيفة والخبيثة التي تدل على - ماذا؟ الشهوة؟ الازدراء؟ وكل ما يجب أن يحدث، بين هذا وذلك، هي لحظة من الرعب كما ذكرت. فهي تمنح النشاط، تمنح الصيغة القانونية. يبدو أنها شرط ضروري.

إذًا ستجلس هي على المنضدة، محمرة الوجهة، مستثارة، مستبدة، عازمة أمرها -على أي حال، متضايقة بالكامل- وأبدأ أنا في الاشتراك في الموضوع على النحو التالي،

«لا تذهبي – أرجوكي»

«الوداع، تود»

«لا تذهبي»

«لا فائدة»

«أرجوكي»

«لا مستقبل أمامنا»

وهو ما أوافق عليه، ما أعترف به بقول «نعم، نعم» صامت. يستأنف تود الحديث:

«إلزا» يقول تود، أو روزماري أو جوانيتا أو بيتي جين. « أنتِ شخص خاص جدًّا بالنسبة لي»

«كالجحيم»

Twitter: @ketab_n

«ولكني أحبك»

«لا أستطيع النظر في عينيك»

كنت لاحظت أنه في الماضي، بالطبع، فإن معظم المحادثات تكون ذو معنى أوضح إذا قرأتها بشكل عكسي. ولكن في مسائل الرجل-المرأة هذه يمكنك قرأتها بأي شكل تحبه - ومع ذلك لن تتقدم أي خطوة.

«أرجوكي. يمكنك قضاء الليلة هنا»

«هذا وداع، يا تود»

«بيث» سيقول تود. أو ترودي أو أيًا كان.

«الأمر ببساطة هو أنني لم أعد قادرة على التحمّل»

«امنحيني فرصة أخرى واحدة»

ثم يبدآن في هذا الروتين، الذي يستمر بدايةً من المكسرات حتى الحساء. لا تسيء فهمهم: تود له وجهة نظره السليمة. فهو، وهو أمر مشروع بشكل واسع، «عاطفي جدًا» (أعتقد أنني أعرف ما يعنيه هذا. ولكن كيف لهنّ أن يعرفن؟) كما أنهنّ لا يتحدثن عن عيوبه الواضحة، مثل كونه طبيب ولديه عشرات العشيقات. لا، المشكلة بوضوح هي أن تود عاجز عن الشعور، عاجز عن التواصل، لا يكشف عن دواخله أبدًا، ودائمًا ما يخفي شيئًا ما. إن ما تحاول ترودي وجوانيتا وبقية العشيقات قوله، في رأيي، هو أن تود يشعرهن بالرعب. ولكن مهما كان الأمر، مهما كان ما

Twitter: @ketab_n

يقلنه أو يحاولن قوله، فهذا لا يثني تود عن أسلوبه أبدًا.

يفضّل تود ممارسة الجنس في الساعة الأخير قبل الغسق. لا يسمح لهنّ بالمبيت - نقيصة أخرى نوقشت كثيرًا. فقط أيرين هي من باتت ليلة... على حجرها تتثاءب حقيبة يد بيث... تشعر بالبؤس أن كل هذا مآله إلى الانتهاء، بينما أشعر أنا بالبؤس أن كل هذا ما هو إلا بداية. في الوقت الذي نكون فيه في الجانب الآخر من هذا، أعرف (فأنا خبير في هذا الشأن)، في الوقت الذي أصبح به مغرمًا بهن وبأساليبهن المبهجة، سيبدأن في التراجع، بشكل لا رجعة فيه، متلاشيات من أمامي، مع أخفّ القبلات الممكنة، وأضعف مصافحات اليد، ولمسة من السيقان البضّة ذات الجوارب أسفل المنضدة وابتسامة عابرة. سيبتعدن عنّا بالأزهار والشيكولاته. نعم. كنتُ هناك. وبعدها بيوم أو يومين يتطلعن مباشرةً إليك. والشيء التالي الذي ستعرفه أنهن يغيّرن وظائفهنّ أو أماكن إقامتهن. وفجأة تمامًا يصبح لديهن أطفال يدخلون الجامعة، أو يصبحن متورّطات مع زوج عجوز محطّم.

بعد شرب الكوكتيل، تنتهي وجبتنا ونجلس عناك لنصفها بعناد للنادل، مع قوائم الطعام بين أيدينا لتساعدنا على التذكر. الصمت في السيارة في الطريق إلى بيته وفعل الحب في ساعة الغسق. تسبقها، كما قلت، لحظة الرعب. التي لا تأتي بدون جوانبها المثيرة للشفقة على أي حال، بينما يحدث مشهد هذا المساء بين الطرفين الناضجين،

Twitter: @ketab_n

بنظاراتهم، وشعرهم، وأحذيتهم الثقيلة القديمة، والثقة الزائدة أن الأنثى بشكل خاص ستكون بحاجة لإبداء المشاعر، وقد لا تفعل ذلك. وهنا يبدأ الأمر، كرنين جرس. تحديقة أنثوية عارية. ربما يكون جسدها عاريًا الآن ولكن لا شيء يحقق العرى مثل العين البشرية: فهي حتى لا تضم جلدًا فوقها. كرنين الجرس، لحظة التركيز الشديد. نفس تلك النظرة - التفهّم الكامل، التساؤل غير المرحب به - كما لو كانا قد اكتشفا كل شيء للتوّ، حتى الشكل البشري في الحلم بمعطفه الأبيض وحذاءه الأسود، وعند استيقاظه، لا يجد إلا سماء مظلمة مليئة بالأرواح. حسنًا، أيا كان ما رأوه، لا يمكن أن يضايقهم إلى هذا الحد. من يعرف، ربما يعمل الأمر كنوع من الإثارة الجنسية المريضة. بعد ذلك بثواني، يشهدا، بتنهيدة، اختراق تود الذي لا يصدّق. ثم ينهيا الأمر سريعًا. بعد ذلك لا شيء سوى مواضيع وأحاديث متكررة، أو نوع ما من الحديث الودي، مع تكرار «لا أشعر أنني أعرفك فعلًا»، و«ما الذي يحدث بالضبط هنا؟» و«أظهر لي» من «أنت» فعلًا. تود الحقيقي. بالطبع، ينتابني الفضول أنا كذلك. تود الحقيقي: أظهره لي. ولكن هل أنا متأكد من رغبتي من المراقبة حقًا؟

ربما تتعامل أيرين مع الموضوع بشكل أفضل - وغالبًا ما تفعل هذا بالفعل - عندما تخبر تود أن لا روح لديه. اعتدت على التعامل مع ذلك بشكل شخصي، وتحطمتُ بسبب ذلك في البداية. ومع ذلك تستمر هي في الوجود

Twitter: @ketab_n

حولنا. هل يمكن أن يكون تود سيء فعلًا إذا كانت مستمرة في الوجود بقربنا؟ فهي غير مضطرة لذلك. ليسنا أمّنا... ولا داعي للقول، أن تود أصبح مهملًا في مسألة إبهاج أيرين بحكايات علاقاته الجديدة، وغزواته، واقتحاماته، وارتباطاته الهادئة. ولكنها تعرف ما يبدو عليه فعلًا. فهي تتمتع بقوة الملاحظة. لقد كانت أيرين، على سبيل المثال، هي من أشارت إلى شيئًا ما لم ألاحظه من قبل أبدًا: أن تود لا يستطيع التحدث والابتسام في نفس الوقت. ولكنه ربما لا يرغب في ذلك ولا يحتاجه على الإطلاق... يتعامل مع الأمر بشكل جيد. مع كل عشيقاته وكل أجسادهن المختلفة، وبقاياهنّ المختلفة. في أثناء ذلك، كنتُ أعاني. اكتشفت أنني حساس جدًّا تجاه الارتباك والندم. لو منحت رأسًا، وهو ما لم ولن يحدث أبدًا (فلأنني عاجز، لا يمكنني التلويح بيديّ أبدًا)، كنت سأظل مخلصًا لأيرين. على الأقل حتى تظهر زوجتي. بالنسبة لي فهي مسألة مبدأ. رجل واحد، امرأة واحدة: أعتقد أننا ندين بذلك للجسد البشري. أشعر وكأنني شبح متوهج، كأنني دموع مسفوحة بصمت من الشبق، عندما ترقد أيرين بين ذراعنا. «ربما يكون تود خائنًا» أرغب في الهمس، «ولكنني مخلص لك. أنا باقٍ. أنا مخلص».

في الحلم توجد دائمًا هذه الغرفة، شيئًا ما مثل كوخ الجنانيني أو سقيفة صنع الأواني الفخارية. الأدوات غير

Twitter: @ketab_n

صحيحة. والمناخ غريب جدًّا. يتجمع الناس هناك. هي غرفة يتم فيه تقرير مصير الأشياء الفانية بشكل رتيب.

يصرّ العقل المختفي لتود، في صورة حلم، على أن تود يشعر بالألم. تخبرنا الأحلام بهذا في تكرارها البائس. ثم يأتي الخوف. حيث تود مودِع كبير في البنك الذي يُحفظ فيه الخوف.

في منتصف الليل تقريبًا، أحيانًا ما يخلق تود فرندلي الأشياء. بتوحش يصلح ويعالج الأشياء. ويقبض على القطع الخشبية والحزام القماشي، وينفخة واحدة في اتجاه الأرض، بصدمة واحدة، يخلق كرسي مطبخ. بركلة واحدة متوحشة ومتقنة من قدمه التي تؤلمه يصلح التقعّر في جانب الثلاجة. بنطحة من رأسه يعالج مرآة الحمام المتصدّعة، يعالج أيضًا الثنيّة المتدهورة في جبهته الشاحبة، ثم يقف مبحلقًا في نفسه بعينيه المرتعشتين.

تحدثت من قبل عن ثلاثة مثيرات، المحفزات التي يصدر جسم تود الأحكام بناءًا عليها. وذلك الرنين النحاسي في سلك الطوارئ المشدود في أمعاءه. وهناك مثير رابع. مثل الأظافر المحروقة. التي تنبعث من النار. وهل النار نفسها مثيرة؟ النار التي تعالج بشكل مؤلم وتخلق بشكل معقّد من أقل مقدار ممكن من الفوضى والدخان.

مرة كل سنة تولد نفس الرسالة من بين اللهب. حيث يجلس تود هناك، محدّقًا بشجاعة في حاجز المدفأة أمامه،

Twitter: @ketab_n

ومراقبًا إشاعة النار للحلوق العارية والألسنة المهتزة. تصدر حنجرته تلك القرقعة المعقدة من الغثيان. لا يمكنني بالطبع أن أرى ما بداخل عقل تود. لا يمكنني رؤية ذلك. فأنا لست سوى المشارك السرّي لجسده. ما الذي يحدث له؟ هذا ما يحدث له: العذاب، التعفّن التام بسبب أقل خوف. والارتياح - الارتياح المنحطّ. ثم تنفتح الرسالة، متحولة من الأسود إلى البياض السويّ في الحرارة وتقدم نفسها إلى يدنا الممتدة.

دائمًا ما تقول الرسالة نفس الشيء. نعم، إنها تقريبًا نوع المراسلات الذي يتوقع المرء أن يتبادله تود فرندلي: متواصل ومفتقد لحس الفكاهة، ومن طرف واحد، تمامًا كالبريد المزعج. كانت الرسالة كالتالي:

عزيزي تود فرندلي:

أتمنى أن تكون بخير، كما هو الحال معنا. يسعدني إبلاغك أن الطقس هنا مستمر في الاعتدال!

المخلص

ثم يظهر التوقيع الهستيري، المكتوب في أسفله هذا الاسم واللقب بشكل قنوع، القس نيكولاس كريدتور «هنا» (حيث الطقس معتدل للأبد) تشير إلى نيويورك، وفقًا لرأس الرسالة - وبشكل أكثر تحديدًا فندق إمبريال، في برودواي.

هذا هو الأمر ببساطة. كل الخطابات التي أرسلها ليس إلا نفحة سنوية من اللاشيء. ولكن تود يتعامل مع الأمر

Twitter: @ketab_n

كما لو أن نيويورك تقع في البيت المجاور، كما لو الطقس المعتدل يعني أمطار الفئران والرياح الشيطانية والصواعق المجنونة لبرق فينوس.

يجلس هنا بدوار المدفأة لوقت طويل، مع زجاجة سكوتش، وكيمياء متوثبة. في الصباح، يترك الرسالة أمام البيت مع القمامة الأخرى، حيث تختفي بعيدًا، تمامًا كخوف تود.

ومن المهم، في رأيي، أن أذكر أن كل علاقتنا العاطفية تقريبًا عرفت نهايتها في غرف الاستشارات في «الخدمات الطبية المتحدة». حيث تسود شكليّات مهنية بينما نقف هناك مع واحدة أو أخرى من عشيقاتنا، أمام خلفية من رسومات الطول والوزن، وجداول التغذية، وإرشادات المسح والتلطيخ، وعلامات تقول أشياء مثل «هل تعانين من مشاكل في بطانة الرحم؟ لا تفزعي». لا يحدث الكثير هنا، من الناحية الجسدية، سوى لمس الجبهة وقياس النبض. أوه، نعم: يعاني تود من بعض العنف الثانوي تجاه الدبابيس: «هل تشعر بالخدر؟» ويبدو أن عشيقاتنا تجدن متعة في هذه المسرحية الهزلية، يظهر هذا الأقل في ميلهن للغزل والتآمر. أعتقد أن أسئلة تود هي ما تصدّهن وتبعدهن في النهاية. «منذ متى وأنتِ متزوجة؟» «هل زوجك رجل نشط؟» «هل تعيشين... هل تعيشين حياة كاملة؟» ولكن عشيقاتنا لا يعشن أبدًا حياة كاملة. يدّعين جميعًا، بشكل مؤلم، بعض الشيء، أنهن يعشن حياة فارغة. على

Twitter: @ketab_n

أي حـال، فـإن هـذه الأسـئلة لا تحقـق إلا فشـلًا ذريعًـا.

وربمـا تكـون الحقيقـة أبسـط مـن ذلـك، ولهـا علاقـة برؤيتهن تـود في بيئتـه الطبيعيـة، الطبيـب، حـارس البوابـة، بمعطفـه الأبيـض وحقيبتـه السـوداء. تخـرج صديقاتنـا مـن هنـا للأبـد، بوجـوه معـاد كتابتهـا، حيـث يتوقفـن لبرهـة وراء البـاب المغلق ويطرقنـه بنعومـة، طـرق بنعومـة عـلى كفـن الحـب.

رغـم ذلـك، مـا زال هنـاك المزيـد منهـن في المـكان الـذي أتـين منـه. يمكنـك العثـور عليهـم في كل مـكان. في «هـاوس أوف ذي بيـج ون» في «أولرايـت باركنـج»، في البـارات، في مداخـل البيـوت في الليـالي المطـيرة، أحيانًـا ملتفـات وغائبـات في معاطفهـن هروبًـا مـن الريـح والـبرد، عاريـات أحيانًـا أخـرى في الشـقق الغريبـة.

لذلـك فـإن هـذا الأمـر يحـدث بشـكل كامـل، هـذا الانغماس والتـلاشي في أجسـاد الآخريـن. لا مشـكلة مـع الأجسـاد، أليـس كذلـك؟ هـل هـذا مـا عـليّ أن أعتقده؟ نعم، حسـنًا – لا مشـكلة مـع الأجسـاد. فهـي تتسـامح مـع كل أشـياء. وعندمـا تشـيخ، لا يمكنهـا إصـدار أحـكام. وأيريـن، الـتي يتسـامح جسـدها البديـن مـع كل شيء، تقـول نفـس الـشيء.

«لا تريديـن حقًـا أن تعـرفي» يهمـس تـود في الظـلام، قبـل غرقـه في الأحـلام.

«أيًا كان الأمر، يمكنني التسامح معه»

« لا تريدين حقًا أن تعرفي» يهمس تود.

Twitter: @ketab_n

لا تريد هي أن تعرف. ولا أريد أنا أن أعرف. لا أحد يرغب في أن يعرف.

ثم هناك جسمنا الخاص بنا، أداتنا الجسدية، التي نفتخر بها بشكل فظيع الآن. الخشونة المتقافزة لخطواتنا، يا إلهي، وضوح وهجوم حركاتنا المعوية. كم تعمل وظائفنا بإتقان... أعتقد أنه أمر مفاجئ بالكاد أن تنجذب النساء إلينا بهذه الطريقة وبهذه السرعة، بوجهنا المستطيل الخامل، بأيدينا القوية والنظيفة. إذا كنت تفضل هذا النوع، ورغم أنني أقول ذلك لنفسي، فإن تود وسيم بشكل لا يصدق... هذا الجسد: فخره به، أتوقع جدًّا، ما هو إلا نتيجة الخوف أن شخصًا ما قد يؤذيه - قد يشوهه أو يحطمه. بهذا المنطق لماذا قد يرغب أي شخص في القيام بشيء كهذا؟ قد يرغب الأطباء في ذلك؛ ولكن تود لا يستخدم الأطباء؛ فهو لا يقترب من الأطباء. يقول لأيرين: «لا أنصحك بالاستماع إلى الأطباء»، مقتربًا بأكبر شكل ممكن من التحدث والابتسام في نفس الوقت. «سيحاولون إدخال مشارطهم فيكِ. لا تسمحي لهم أبدًا بإدخال مشارطهم فيكِ». أملسًا ونابضًا بالحيوية أمام المرآة في الحمام، يشعر تود بالفخر أنه يتمتع بالإجفال والإحجام تجاه هذا الأمر. استمر. أرغب في القول. قم بالتمثيل. انحنِ وتذلل بيديك على عانتك. استر قلبك السفلي.

في أثناء ذلك، أجلس في مطعم البار الفسيح، في هذا الردهة المخصصة لسيلان اللعاب. في هذه المقيأة المذهلة. تأتي

Twitter: @ketab_n

المرأة، ويدور الأمر حول اللحم والدموع، مع تصاعد سخونة الطعام في أطباقنا. انتظر! هذه المرأة نباتية. فهي تقول أنها تحب جميع الحيوانات - ولكنها لا ترغب في وضع أموالها في فمها. قريبًا... يا للمسيح، يتحول الروتين بأكمله إلى فعل شهوة صرف. في البداية يكون الحزن والارتباك، ثم التسامي الزائل؛ ثم ترتدي الأجساد ملابسها مرة أخرى، وتظهر قافلة عابرة من الكلمات والإيماءات قبل أن ينطلقا كلٌّ في طريقه.

يتميز تود بنوع آخر من الأحلام يكون فيه امرأة. وأكون أنا امرأة أيضًا: في هذا الحلم أصبحُ مشاركًا ومراقبًا في نفس الوقت. يقترب رجلٌ منّا بوجه معكوس، وظهره الذي يشبه اللوح مستدير نصف استدارة. يمكنه إيذاءنا. ولكنه يستطيع حمايتنا في نفس الوقت، إذا أراد ذلك. نعتمد على حمايته بحذر شديد. لا خيار أمامنا إلا أن نعشقه، بشكل عصبي. كذلك فلا شعر لدينا، وهو أمر غير معتاد بالنسبة لامرأة. يسعدني القول أننا لا نرى أي أطفال رضّع في هذا الحلم. لا نرى أي أطفال قنابل، أطفال بقوة القنابل. هذا الحلم بلا أطفال. ينطلق الزمن إلى الأمام نحو شيئًا ما. ليسكب الماضي بشكل لا يمكن منعه، مثل الانعكاس على النوافذ الأمامية للسيارات المسرعة عبر المدن أو الغابات.

التوائم المتماثلة، والأقزام، والأشباح، وقصص الغرام كاليجولا وكاثرين الطاغية وفلاد المخوزق، وسحب الجليد الشمالية، وقارة أتلانتيس وطائر الدودو.

مهلًا. فجأةً تمامًا، يبدأ تود في قراءة كتيبات السفر

Twitter: @ketab_n

الدعائيـة الـتي تمتـدح المناطـق شـبه النائيـة في كنـدا. نعـم، يجدهـا في سـلة القمامـة. أصبحـت كنـدا الآن هـي المـكان الـذي يتسـكع فيـه الشـباب في الوقـت الـذي يتوجـب عليهـم أن يكونـوا في فيتنـام. ربمـا يفكـر تـود في كنـدا. ربمـا يفكـر في فيتنـام. قـد تكـون فيتنـام مفيـدة بالنسـبة لـه. الهيبـيز الثرثاريـن والبدنـاء المذهولـين، يذهبـون إلى هنـاك، ويعـودون بمنظـر جيـد وعاقـل ونظيـف جـدًّا، بعـد تعرضهـم للسـحر في الحـرب، في «نـام»، أو في مـا يدعونـه المعمعمـة.

تكشـف الرسـالة الأخـيرة مـن نيكـولاس كريدتـور عـن موهبـة خفيّـة في التفاصيـل وسـعة معرفـة. الطقـس في نيويورك "رغـم عـدم اسـتقراره مؤخـرًا»، يكتـب كريدتـور، «أصبـح معتـدلًا مـرة أخـرى!» أعتقـد أنـه مخطـئ. أعتقـد أن الطقـس يتغـيّر. أعتقـد أنـه في طريقـه ليصبـح عاصفًـا جـدًّا.

عرفـت أن أمـرًا مـا قـد طـرأ في اللحظـة الـتي بـدأ فيـه تـود في بيـع كل الأثـاث. وخـلال العمليـة بأكملهـا، تطلعـت إليـه في صمـت المظلومـين، تمامًـا كزوجـة. في البدايـة تـم تحميـل كل عصـا مـن الأثـاث، ثـم كل أجهـزة توفـير المجهـود الخاصـة بي، ثـم السـجاد والسـتائر، مـن فضلـك. لمـاذا كان تـود يعاقبـني بهـذه الطريقـة؟ اسـتمتع تـود بالأمـر تمامًـا، باحثًـا عـن طـرق جديـدة دائمًـا لإضفـاء القبـح عـلى المـنزل. سـيأتي العمـال في أرديـة الدانغـري لاحقًـا في نهايـة الأسـبوع. طـاف تـود في أرجـاء المـنزل في جـوع القـرود، باحثًـا عـن شيء لطرطشـته أو تشـويهه.

شـنّ تـود هجومًـا خاطفًـا حقيقيًـا عـلى التوصيـلات الكهربائية.

Twitter: @ketab_n

أخـذني للأسـفل مـرات عديـدة مريعـة، لنصـف سـاعة كل مـرة، أسـفل الألـواح الأرضيـة، أسـفل العـوارض الخشـبية الداعمـة، مـع سـلك أو كبـل في يـده السـاعية في هـذا الظـلام المثـالي لهـذا العالـم السـفلي الـذي أصبـح تمثيـلًا لحياتنـا الليليـة، العالـم المضـاء بالشـموع، المخـترق بضـوء المشـاعل؛ وبـدأت أنـا في تصـوّر وجودنـا القديـم ككاتدرائيـة لا محـدودة مـن الضـوء. قـام تـود بعمـل مشـابه مـع توصيـلات السـباكة. عمـل إلهـي بشـع، السـباكة. حيـث يعـود كل شيء مـن كل شيء آخـر؛ مـا أنـت إلا وصـلات والتـواءات مـع سـحق خـدودك في الأحشـاء النحاسـية. عـلى أي حـال، لقـد نجـح الأمـر، نحـن الآن بـلا مـاء. فقـط صنبـور الحديقـة. أصبـح الذهـاب إلى المرحـاض هـذه الأيـام رحلـة ثقيلـة جـدًّا. اسـتخدمنا العلـب الصفيـح لتدفئـة المـاء، واضطـر تـود إلى الانتعـاش بالدلـو الخـاص بـه. امتـلأت الحيـاة بضجيـج المعـادن والتمايـلات والخربشـات مـع كل هـذه الـدلاء والأواني. حـتى أصبحنـا نعيـش عـلى الألـواح الفارغـة في الأسـفل مـع الشـموع والغـاز المعبـأ ومأكـولات «ديـلي» الجاهـزة البـاردة عـلى أطبـاق ورقيـة. هـذا مـا جنـاه عـليّ تـود. أعـني، عندمـا بـدأت الأمـر معـه لـم أكـن أتخيّـل... في الخـارج، الحديقـة الخلفيـة، أجمتهـا الجـرداء، عشـبها الحزيـن، أرضهـا المحترقـة.

لـم يكـن التقتـير وشـد الحـزام هـو مـا أصابـني بالكآبـة، ولا كانـت بهجـة تـود المسـتعصية والمشـئومة، حيـث في هـذا الحالـة لـم يكـن ليسـتمر الوضـع طويـلًا. أيّـا كان الأمـر، أنـا

Twitter: @ketab_n

متورط مع ذلك الوغد العجوز، أي كان نمط الحياة. لقد كانت العزلة المتنامية من حولي، المتنامية من أسفل مني: هذا ما لم أستطع تحمّله. بريق اللامبالاة الكهنوتي على وجوه عامل المتجر والبارمان. في أعين الجيران يظهر النسيان العابر. يحدث الأمر في العمل الآن أيضًا: يمكنني الشعور به. وبالنسبة للنساء – حسنًا، شكرًا، أيتها السيدات. واحدة وراء الأخرى تخلت عني. فقط أيرين هي من استمرت في علاقتها بي. لم تكن لتصبح أكثر ذوقًا ورقيّا بشأن الظروف، رغم أن مزاجها كان حزينًا ومتحفظًا، بشكل يمكن تفهمه. شيء ما أخبرني أنني لن أراها لفترة طويلة هي أيضًا. يا للمسيح، حتى كلبة الجيران تخلت عني، والآن تكرهني. اعتادت على حشر نفسها من خلال السور وإحضار عظامها لي. اعتادت على التقافز والعربدة. والآن لا أجد إلا الزمجرة المتوترة وتحديقة اشمئزاز كالمالاريا. عاهرة.... كما تقول الأغنية تمامًا – إنها الحقيقة مجرّدة. عندما تنحدر إلى الأسفل، عندما تتحرك إلى القاع عبر المجتمع، لن يعرفك حينها أي أحد. لن يعرفك أي شخص.

ثم جاء يوم الشرّ. انتقلنا إلى شقة «استوديو» في روكسبري. لن أصف الغرفة. لأنني بالكاد يمكنني رؤيتها عبر ضباب الأذى الذي أشعر به. حسنًا، أتمنى السعادة لتود... لأنه لم يعد سعيدًا في الحقيقة. يقضي معظم وقت فراغه، هذه الأيام، في صلاة السكارى. ولا يخرج من حالة الحزن هذه إلا عندما نعود إلى منزلنا القديم للاجتماع مع السمسار

Twitter: @ketab_n

العقاري. يتحرك كلانا من غرفة لأخرى، ونقف هناك نومئ برضا واضح عن أعمال تود اليدوية. المنزل القديم - أنجز تود بالفعل عملًا عظيمًا فيه. لا أشعر بالحسد تجاه المستأجرين الجدد. فهم إما من الهيبيز أو الغجر أو واضعي اليد أو أي كان، وقد بدءوا بالفعل في التخييم هناك بأفضل شكل ممكن. معذرةً يا رفاق. ما هي القاعدة الصغيرة بخوص مغادرة المرحاض دائمًا عندما تتوقع العثور عليه؟ حسنًا، لقد أدينا دورنا، بطريقة أو بأخرى. لا يمكنك إنكار أن المكان ما هو إلا مرحاض حقيقي.

لإكمال الصورة، نمر هذه الأيام بسلسلة من الانحدارات الوظيفية المريرة في «الخدمات الطبية المتحدة». في ظهر أحد أيام الجمعة أقوم بتسليم سترتي الشفافة ذات اللون الكريمي وأنزلق في شيء يشبه مريلة الجزارين، ملطّخة بلا هويّة وبشكل ملحمي. يمكنك قول نفس الشيء عن المنصب الجديد: فهو يأخذنا بعيدًا عن الشقّ والإدخال الجراحي. يأخذنا بدلًا من ذلك إلى المخازن، وأفران القمامة، والشاحنة الصغيرة، ومقلب نفايات المدينة. هذه المنشأة الخاصة في مقلب نفايات المدينة: فمن هناك يأتي كل شيء. حيث أعود إلى غرفة الغلايات بأكياس سوداء سعة عشرة جالونات وأقوم بالتشمير عن أكمامي وأنقّب في أكوام من الضمادات الدامية والجبس، والمحاقن والأمبولات المتشققة، والمزارع البكتيرية المسحوقة. يمكنك أيضًا الحصول على بعض المواد من المحرقة التي أتولى

Twitter: @ketab_n

مسئوليتها. ثم أقوم بتوزيع هذه النفايات على أماكنها الصحيحة في سلال القمامة الصغيرة التي تفتح بالدواسة، حيث أجرّها على العربة في أرجاء المبنى حيث لا يعرفني أحد. هذا ما أنا عليه، صاحب الجسد المتصلب الملطخ في القفازات الصناعية. تبدو رائحتي وكأنها عملية جراحية كبيرة. تتمزق كينونتي وتتشقق بالكامل بسبب الزجاج المكسور، ولكن لا مشكله في هذا، لأنه حتى لو كان في استطاعة الآخرين ملاحظة رائحتي، فلا أحد يراني ولا أحد يعرفني.

يسري الأمر بشكل جيد، طالما كنا غير مرئيين. ربما يكون هذا هو المغزى من هذه العملية: البحث عن تحقيق الاختفاء. وبمجرد عثورك عليه، الاختفاء، لفترة، في الزحام، أو خلف الأبواب المغلقة للمراحيض (حيث يستطيع أي شخص أني يختفي، بموافقة جمعيّة، خلال تلك العملية الثقيلة)، أو أثناء فعل الحب، أو يمكن العثور عليه هنا، حيث تصبح مجهولًا، وبالنسبة لجو، مساعدي في التخلص من النفايات (عجوز، بدين، أسود، ثابت في مكانه، وملتصق بحرارة الفرن: «مرحبًا» «هاي أنت!» «جو!» «هاي!»)، فإنه يعرفني جيدًا. بينما ينظر د. ماجرودر بتألق قوي في اتجاهي أثناء قيامي بالجولات. فرندلي الذي لا أصدقاء له. نتحرك بدون احتكاك. رأسنا منحنية، مبحلقين في الأرضية. نحن في طريقنا إلى الخارج بالتأكيد.

هل الأمر أن الكائن البشري يصبح لا شيء بشكل سريّ بدون الآخرين؟ أي يختفي. حتى جو بدأ في النظر إلي بشكل غريب، كما لو كنت غير موجود هناك على الإطلاق. الجسد

Twitter: @ketab_n

الوحيد الذي نعرفه هو جسدنا الخاص. ولو كنا أشرارًا ولا ينبغي أن يرانا أحد، فلماذا إذًا نزداد جمالًا مع الوقت؟

أنا في القطار الآن، متوجهًا نحو الجنوب في المساء. يمر الأطلنطي الأمريكي مسرعًا بجواري. انتهينا من كل الأعمال. لا أعرف إلى أين نتجه: تذكرتنا، المصروفة بخطفة مزدرية من سلة قمامة المحطة، تحمل اسم نقطة البدء ولكنها لا تحمل اسم الوجهة. أشعر أن شيئًا متشابهًا يؤثر عليه أنا وتود، على هويتنا. «تود فرندلي». يستمر تود فرندلي في الغمغمة بدون فتح فمه، كما لو كان يحاول تذكر شيئًا ما، تعلّم شيئًا ما. عوائقنا المثيرة للشفقة: حقيبة ثقيلة واحدة لا يمكن حملها ممتلئة بالملامس والأموال وبقايانا البشرية، وجسد واحد متجمد في الأدرينالين العفن. ينكمش قلب تود كالمحار عند أي حركة سريعة من الأجساد الأخرى في عربة القطار. تقلبات القلوب والقطارات... للعنة، هنا تظهر الكتيفة الصوفية للحارس الذي ينحني بعنقه لإصدار الأحكام. يقوم بالخربشة في تذكرتي ويتحرك بعيدًا بتحديقة استفهامية. أوه، لا نشعر حقًا أننا بخير بهذا الشكل. ربما يتحسن الأمر لو جلسنا في الناحية الأخرى المواجهة؟ يقول القطار تود فرندلي تود فرندلي تود فرندلي.

أوقفه. أوقف القطار! بشكل اعتقد أنني في حالة من الاستعداد الكامل لحدوث كارثة. مستعد للانحدار المستمر – ولكن بمعدل متواضع. يا للمسيح، تفزعني برجوازيتي الفقيرة، مسكن آخر غير مرغوب فيه، ربما، شركة أكثر

Twitter: @ketab_n

تدنيًا (إن وجدت)، أو (وقد فكرّت في هذا، مع النفسية الشهيدة) حياة في الطريق المفتوح. ولكن بربّك. إن غدد تود في وضع الأحلام الآن، تصهل في الكوابيس. لذلك ربنا تكون هناك أشياء ما نتجه نحوها: المعطف الأبيض والحذاء الأسود، والرضيع القابل للاشتعال، الصدرية الملطخة على مشبكه، وأمطار الأرواح الثلجية. الغرفة الخشبية حيث يتقرر مصير شيئًا ما قاتل بشكل حدادي. الجميع يحلم بالتعرض للأذى. إنه أمر سهل. الأكثر صعوبة هو التعافي من حلم التعرض للأذى... تنطلق أمريكا عبر النافذة، الماشية، الأشجار العالية، القمح العروض المقدمة من العالم الأكثر شبابًا. ومع حمّى الاندفاع أتطلع إلى الهدوء - إلى المحيط، لا، ليس إلى سطحه العصبي وحوافه المنهكة، ولكن إلى عمقه الخفي الذي تعود إليه كل الأشياء في نهاية المطاف.

لا بدّ أنها نيويورك. هذا ما نتجه إليه: إلى نيويورك وطقسها العاصف.

إنه يسافر نحو سرّه. أسافر أنا أيضًا معه، ككائن طفيلي أو مسافر حقيقي. سيكون الأمر سيئًا. سيكون الأمر سيئًا، وغير مفهوم. ولكني سأعرف شيئًا واحدًا في هذا الخصوص (فعلى الأقل سأجد الارتياح مع اليقين): سأعرف إلى أي حد سيكون هذا السر سيئًا. سأعرف طبيعة الجريمة. بالفعل أعرف هذا. أعرف أن الأمر له علاقة بالقمامة والخراء، وأنه يتعامل مع الزمن بشكل خاطىء.

Twitter: @ketab_n

3

أنا الشافي، أي شيء ألمسه ينعم بالشفاء

التعامل مع سيارات الأجرة الصفراء،

يبدو حتمًا كصفقة مربحة لا مزيد عليها ..

دائمًا ما تكون هناك عندما تحتاج إلى واحدة منها،

حتى مع هطول المطر أو عندما تغلق المسارح أبوابها .

يدفع لك السائقون مقدمًا، بدون طرح أيّ أسئلة. يعرفون دائمًا إلى أين أنت ذاهب. إنهم رائعون. لا عجب أننا نقف هناك، بالساعات في نهاية الخط، ملوّحين بالوداع، أو محيّين - محيّين هذه الخدمة الممتازة. الشوارع مكتظة بالناس الذي يرفعون أذرعهم، مبتلين وقلقين، ويشكرون سيارات الأجرة الصفراء. توجد مشكلة واحدة فقط: دائمًا ما يأخذونني إلى الأماكن التي لا أرغب في الذهاب إليها.

كانت أول ستة وثلاثين ساعة لنا في نيويورك فوضوية ولكنها ليست مرعبة. يبدو أنها كانت ذات صلة بهويّتنا. الحصول على هويّة جديدة. أو التخلص من واحدة قديمة. اضطررنا أيضًا إلى الاستقرار في شقة جديدة تركت فيّ انطباعًا جيدًا (أتمنى فقط أن تكون مؤجرة لمدة طويلة على الأقل، ولكني مشتت الذهن حول هذه الأمور فتركتها لتود ليعالجها). أو من الأفضل أن نقول "تود". فتود لن يستمر

Twitter: @ketab_n

تـود لفـترة طويلـة. سـيعقد صفقـة عـلى اسـمه ليحصـل عـلى اسـم أفضـل. الـوداع يـا تـود... تعارفنـا كذلـك عـلى مـن يدعـى نيكـولاس كريدتـور. لا أزعـم معرفـة كيـف وصلنـا إلى هـذه المرحلـة عـلى أي حالـة، فهأنـا أكتبـه، وهأنـا أفـسّره. شـعرت بالخـوف أحيانًـا في البدايـة، عـلى نفـسي، ولكـن ليـس عـلى الآخريـن. هـذا مـا حـدث لنـا عنـد قدومنـا إلى نيويـورك.

مضينـا في طريقنـا أسـفل المدينـة: محطـة "جرانـد سـنترال"، حيـث يتنهّـد القطـار ويتنّهـد المسـافرون، واحـدًا بعـد الآخـر. يندفـع أول المغادريـن بسرعـة مـن داخـل القطـار، بينمـا يتهـادى الآخـرون، متأهبـين للسـير بهـدوء نحـو الشـارع .يبقـى تـود برأسـه منخفضـة لبضعـة دقائـق، ثـم يغـادر بعيـدًا متسـللًا. واسـتمر في إدارة عنقـه، بـين ظـلال المحطـة، في جميـع الاتجاهـات - للمـرة الأولى في حياتـه بـدا أنـه يحـاول تحديـد المـكان الـذي سـيذهب إليـه .واسـتمر، نتيجـةً لذلـك، في الاصطـدام بالجميـع، مـع انحناءاتـه، وزخرفاتـه، وحواشـيه الاعتذاريـة. تجـاوزَ الصـف عـلى شـباك التذاكـر - حقـق كعـب تذكرتـه ثمانيـة عـشر دولارًا - ولكنـه اسـتمر في الوقـوف في صـف المنتظريـن، حيـث بـدأت رأسـه في الـدوران بنفـاد صـبر طفولي، قبـل أن ينسـحب إلى الأنفـاق المحاطـة بالمتاجـر مـن كل جانب. في الخـارج توقفـت سـيارة الأجـرة بـذكاء، كعـادة سـائقيها. ثـم أصبحنـا مسـافرين مـرة أخـرى، عـبر الـوادي، أسـفل الطوطـم. لمـاذا لا نبـدأ، فكـرت بعصبيـة، بزيـارة إلى مبـنى" الإمبايـر سـتيت" أو تمثـال الحريـة؟ ولكـن هـذا سـيكون أسـلوبًا قديمًـا

Twitter: @ketab_n

جـدًّا. إنـه نوفمـبر، والنـاس ترتـدي معاطفهـا الشـتوية، والمبـاني الشـاهقة ترتعـش في القبضـة القاسـية لمعـادلات الجهـد الـتي تحكمهـا.

كانـت الشـقة الجديـدة تتكـون مـن غرفـة واحـدة بحجـم مخـزن صغـير: مكتـب ومنضـدة مـن الخشـب الصلـب، ومقاعد منخفضـة مـن الجلـد الأسـود، وخزائـن للملفـات، وقفـص للعـب الأطفـال عـلى السريـر .بخـلاف المسـاكن الأخـرى، كانـت هـذه الشـقة تتمتـع بشـخصية. كانـت مسـترجلة، غـير مبتسـمة وصحيّـة ومسـترجلة. أعتقـد أن الرجـل الـذي عـاش هنـا كانـت لديـه نظريـات جوهريـة محـددة حـول علـب الزبـادي الخاصـة بـه، وانحنـاءات ركبتـه، وعطلاتـه الـتي يقضيهـا في تجمعـات العـراة. حسـنًا - أيّـا كان الأمـر - فقـد حـان الوقـت، في رأيي، لـكي نلقـي أنـا وتـود أحذيتنـا ونبـدأ في استكشـاف المكان. ولكـن هـذا لـن يتـم. فمـا زالـت لدينـا قضيـة الشـخصية الـتي يتوجب علينـا حلهـا. في سـيارة الأجـرة الثانيـة، المتوجهـة شرقًـا، وعندمـا رأيـت الأفـراد عديمـي الوجـوه، والأفـراد الذيـن لا يظهـر منهـم غـير الوجـه والشـعر والإيمـاءات، تسـاءلت إذا احتـاج أيـا منهم لهويّـة جديـدة عنـد قدومـه إلى نيويـورك. أم أن هـذا الأمـر ينطبـق علينـا نحـن فقـط. ينطبـق عليـه هـو فقـط. ليـس "تود"، لـم يعـد كذلـك بعـد الآن. الاسـم عـلى الجـرس، الاسـم عـلى البـاب، الاسـم عـلى الأظـرف أسـفل مصبـاح المنضـدة: كانـت تقـول كلهـا جـون يونـج، جـون يونـج، جـون يونـج. قصاصـات مـن الـورق صـادرة مـن المدينـة، تـأتي في دوّامـات عـبر نافـذة

Twitter: @ketab_n

سيّارة الأجرة. استطعنا معالجتها من خلال يدي الطبيب التي نتمتع بها وجعلناها تدور حول شخصنا .الخطابات، وبطاقات العضوية، والفواتير، والإيصالات. كلها تحمل اسم جون يونج. ماذا أيضًا لم أذكره؟ السيّارات، بالطبع. بالطبع السيّارات. سيّارات، سيّارات، سيّارات، على مدّ البصر يمكنك رؤيتها .

محطة التوقف التالية كانت ردهة استقبال بطاقات الهوية، قبو الهويّات، منحدر جدًّا، ويؤثر على الحواس بشكل قاسٍ، مع حرارة المنظف الجاف الحادة، وفي الخلف، نقاط التبديل المحشورة، وضغط وتحرير الآلات المستعبَدة. تعاملنا مع شاب صغير تبدو عليه الحكمة، متخصص، معتوه موهوب من القوم المتحضرين، يرتدي نظارة أحادية تشبه العروة .في لحظة ما سابقة، كان هذا الشاب يقوم بعدّ الأموال ويقول شيئًا ما مثل، لا خيار لديك في هذا الأمر وإذا لم يعجبك يمكنك التسوق في مكان آخر، وهذا عندما قلنا، بصوت لم أسمعه من قبل أبدًا، بصوت لم يعد يتظاهر باللطف، بصوت يعبر عن المجهود الكبير الذي بذل لزمن طويل للتظاهر باللطف، "تود فرندلي؟ أي اسم ملعون هذا؟ "

قال الشاب الصغير: "سليم"

اضطررنا إلى الاستمرار في الابتعاد والاقتراب مرة تلو الأخرى .وازدادت صعوبة الخروج من صالة القبو هذه. حاولنا تناول بعض الطعام. فاصطدنا بعض الطعام

Twitter: @ketab_n

مـن سـلال القمامـة في حديقـة واشـنطون سـكوير، سـندوتش، وتفاحـة سـليمة باسـتثناء قضمـة واحـدة، ثـم توجهنـا إلى المتجـر الصغـير للحصـول عـلى بعـض القطـع المعدنيـة مـن فئـة الخمـس سـنتات والعـشر سـنتات. يمـر الوقـت. الوقـت، البعـد البـشري، الـذي يجعـل منّـا كل شيء نحـن عليـه. حـتى يحـين وقـت الاسـتبدال النهـائي.

"حسـنًا إذًا"، قلنـا بمـرارة غـير ملائمـة ربمـا، بينمـا قـام الشـاب الصغـير بتسـليم أوراقنـا الجديـدة، بالإضافـة إلى مقـدار هائـل مـن المـال. "أنـا تحـت رحمتـك"

قال الشاب: "الضِّعف".

"أخبرني أنت".

"أتمـنى أن يكـون قـد أخـبرك كيـف سـينتهي الأمـر في هـراء نفـس اليـوم هـذا. في عطلـة أسـبوعية"

"جيد".

"نعم. من طرف القسّ".

"أنت في انتظاري. اسمي جون يونج".

وهكذا كان الأمر. اسمي جون يونج.

اليـوم الأطـول، كان بحـق أطـول يـوم مـن بـين الأيـام جميعًـا. بـدت ركوبـة القطـار الآن عـلى بعـد سـنوات بالفعـل، كمـا هـو الحـال مـع ويلبـورت، ومـع مرحلـة الشـيخوخة. ولكـن جـون يونـج لـم يتمكـن مـن النـوم. بـدأ الفجـر في التـلاشي مـع

Twitter: @ketab_n

أصوات العديد من السيارات والقليل من الطيور. واستلقى جون يونج هناك، راغبًا في انتهاء الخوف. انتهاء اللعبة... فكرت في لاعبي الشطرنج في الحديقة، حيث جلسنا لساعات طويلة جدًّا، لاعبي الشطرنج، الأكثر تنوعًا بشكل كبير مقارنةً بالقطع التي يمسكون بها)لا يجلس اللاعبون بشكل مستقيم، أو منتظم، ولكنهم يغرقون في الغمغمة والحركة الثقيلة وانحناءات الجسد). كل دور، هذا صحيح، يبدأ بترتيب عشوائي ويمر في حلقات من والالتواءات والتناقضات. ولكن الأمور تنجح في النهاية .مع كل هذا التقطيب وتوتر وضع الجلوس، مع كل هذا الألم -ينجح الأمر في النهاية. شدة واحدة أخيرة بالبيدق الأبيض تستعيد النظام المتقن القديم؛ ثم يتطلع اللاعبون إلى أعلى أخيرًا، مبتسمين وفاركين أيديهم ببعضها .سيخبرني الوقت بحقيقته لأني أضع ثقتي في الوقت، ثقتي المطلقة. تمامًا كما يثق فيه لاعبو الشطرنج، بالطبع، مع كل نقلة تكتسب شرعيتها من الساعة المصفوعة.

شكرًا لله. أصبح في الخارج. كطفل رضيع .رغم أنه من الطبيعي أن أبقى أنا هنا: حتى في الظلام أستمر في مراقبة العالم. أحيانًا - الآن، على سبيل المثال - أنظر إلى تود، إلى جون، كقدرة هائلة للأم (ليلة الأم)، وأحاول العثور على الأمل في براءة وحيادية نومه .

إذًا، أصبحنا نستيقظ الآن كرجل جديد. جون يونج. جون يونج. أو ما رأيك في جاك: يونج؟ يعجبني هذا الاسم نوعًا

Twitter: @ketab_n

ما .يا للملل .فجأة، لم أعد أشعر بأي ألم. أمد يديّ (مع صيحات) لتنظيف جرعات قليلة من... يا للمسيح. الديك الرومي الشرس.

تأتي إلينا ملابسنا من جميع زوايا الغرفة. الحذاء كرصاصة عجوز ثقيلة تنطلق من الظل ونقتنصه بمهارة بلا توازن وبيد واحدة؛ السروال يدور كالطاحونة ونمسك به في منطقة القدم ثم نركله لإدخاله في الساق؛ ثم ربطة العنق الثعبانية تلك. راودني شعور سيء جدًّا عندما دخلنا فجأةً إلى المرحاض وبحثنا بتخبط عن غسول الفم. ثم ركعنا أمام مذبح الوعاء -وسحبنا المقبض. التجويف ممتلئ بمفاجآته المروّعة. أوه، يا صديقي. لقد فعلنا هذا مرة أو مرتين من قبل، أتذكر هذا جيدًا .يبدو لي أن الأمر يدور حول أقصى ما يمكن أن تطالب به الجسد البشري .قدمنا التعزية لجبهتنا على البروسلين، وأطلقنا بضع نفحات مريرة من الامتعاض .ثم نزلنا إليه. من المفهوم بديهيًّا أن الفرض الأساسي للإفراط في الكحول هو أن الوعي، أو الذاتية، أو الجسديّة، أمور لا تسامح فيها .ولكن هذا هو ما لا يسمح به .بالتأكيد تختنق بالغرغرينا. هنا يتكرر الأمر، الوعي، والقلق والأشكال المتعددة، أمور غير مسموح بها.

ذهبنا إلى نيويورك سيتي وسرنا مترنّحين هنا وهناك عبر القرية وأسلنا لعابنا في بار بعد الآخر. رفضوا تقديم الخدمة لنا في أول بضع بارات حاولنا الدخول إليها، ولكن هذا لم يفاجئنا لأننا كنا ندخل عبر الباب صارخين أو محاولين

Twitter: @ketab_n

الـصراخ بهـذا الصـوت الجديـد المعيـب الـذي اكتسـبناه مؤخـرًا .كان هنـاك، كمـا أتذكـر، فواصـل للراحـة التامـة في حـارة أو مـا شـابه ذلـك، حيـث كنّـا نميـل أثنـاءهـا منقطعـي الأنفـاس عـلى كومـة مـن الصناديـق الكرتونيـة؛ ثـم ينضـم إلينـا شـابين مبتهجـين ويصطحبونـا للعـودة وإكمـال الإثـارة. الـشيء التـالي الـذي ذهبنـا لرؤيتـه هـو معرفـة مـا يجـري بحـق الجحيـم في مجموعـة مـن الأماكـن الأكـثر بعـدًا في الضاحيـة. يمكنـني فهـم سر الإثـارة الزائـدة الـتي شـعر بهـا جـون حـول نيويـورك، حيـث تتلخـص الحيـاة الليليـة مـع كل ألوانهـا وانعكاسـها في الشـوارع، ولا تنحـصر أو تتراجـع، وراء وهـج النوافـذ. عـلى أي حـال بحلـول السـاعة السادسـة أصبـح جـون في حالـة جيـدة. خـارج البـار الأخـير كانـت سـيّارة الأجـرة تنتظـر بـلا أي شـعور بتأنيـب الضمـير، سـائقها مشـيحًا بوجهـه، وفي انتظـار أن يأخذنـا إلى مـكان آخـر لا أرغـب في الذهـاب إليـه.

كمـا هـو الحـال مـع السـائق أعـرف أنـا أيضًـا المـكان الـذي نذهـب إليـه دون أن يخـبرني أحـد بذلـك. سـلّم الحريـق في الشـارع السـابع، صاعـدًا عـلى درجـات الشـوارع المتقاطعـة، الضواحـي السـكنية، ثـم الحبـل المتأرجـح لـبرودواي. لا بـدّ أنـه نيكـولاس كريدتـور، رجـل الطقـس الـذي اعتـاد مراسـلتنا، وفنـدق إمبريـال.

كان الرجـل، القـسّ، ضخـم الجثـة ووسـيمًا، تبـدو عليـه ملامـح الحـزن والقـوة. كان لـه ذلـك الوجـه الـذي يمـلأ شاشـات التلفزيـون للسياسـيين .وليـس الأمـر أنـه مـضى في هـذا الطريـق

Twitter: @ketab_n

بـأي شـكل في الولايـات المتحـدة، ليـس في هـذه الأيـام عـلى الأقـل. كان نظـام الألـوان خاطئًـا، وكذلـك شـارب معلّـم التانجـو الـذي كان يحملـه .اعتقـدت عـلى الفـور أن هنـاك شيء مـا داعـر ومثـير للشـفقة في نفـس الوقـت حـول سـترته الخمريـة المكتـنزة، الـتي تجعلـك تتسـاءل عن أنـواع البـذلات أو الملابس الـتي قـد يرغـب في ارتداءهـا .كانـت ربطـة عنقـه السـوداء مثبتـة بدبـوس مـن الذهـب عـلى شـكل صليـب .وانتـشرت في أرجـاء المـكان بعـض الأدوات المسـاعدة الدينيـة، وعـلى الحوائـط، صـور متقنـة مـن مشـاهد العهـد القديـم .جلسـنا في مواجهتـه حيـث يجلـس العمـلاء عـلى المكتـب المغطـى بالجلـد. بشـكل يوحـي بالخطيئـة، كان هنـاك سريريـن في الغرفـة الداخليـة، سريريـن تـوأم، مـع أغطيـة وترتيبـات وسـائد متماثلـة.

تحدثنـا لفـترة حـول تفاصيـل وعناويـن بـدا بعضهـا مألوفًـا لنـا وبعضهـا غريبًـا علينـا. ثـم قـال: "أريـد فقـط أن أوضـح أنـني أدفـع لـك نظـير كل سـلوك طيـب تورطـت بـه هنـاك"

ثـم قـال جـون بامتنـان: "كل مـا أردت فعلـه هـو مسـاعدة النـاس".

"سـتكون قـادرًا عـلى الاسـتمرار في عملـك الطيـب. أضمـن لك ذلك".

وظهـر ضمانـه هـذا فعـلًا. عندمـا هـزّ كتفيـه بشـكل ضعيف. كان فنـدق الإمبريـال مليئًـا بالعجائـز. في الحقيقـة، كان فندقًـا للعجائـز. رأيناهـم وشـعرنا بهـم في طريقنـا إلى الغرفـة، أوضـاع جلوسـهم المتغـيّرة دومًـا، والـتردد الـذي يسـودهم جميعًـا.

Twitter: @ketab_n

بالنظر إلى مجموعة أدواته المكتبية، والكاريزما المحلية جدًّا الذي تظهر عليه، يمكنني الافتراض أن العجائز كانوا في رعاية كريدتور بشكل ما. أضمن لك ذلك... يمكنك تخيّله يقدم ضمانات لأشياء كثير، أو على الأقل قوله المتكرر كثيرًا أنه يضمن شيئًا ما.

قال جون: "أرغب في الاستمرار في مساعدة الناس".

"لتكن هناك فترة توقف نظيفة ثم استأنف العمل في مكان آخر. كونك بلا عائلة يعتبر ميزة إضافية لك"

"هل هذا ضروري؟ "

"من الأفضل" قال كريدتور، "أن تغادر نيويورك. أنا تغادر الولاية كلها. لا نتحدث عن سان كريستوبال. نتحدث عن نيوجرسي مثلًا. لا نتحدث حتى عن كندا"

"لا أحتاج لهذا".

"قد يكون دعمنا على شكل تمويل مصاريف الدفاع والمصاريف القانونية".

"بماذا تنصحني؟"

"خدمة الهجرة والتجنس. بغرض نزع جنسيتك".

"ماذا تقصد؟ "

"أسوأ الاحتمالات: أن تقدم وزارة العدل طلبًا إلى خ. ه. ت."

Twitter: @ketab_n

توقف القس لبرهة. قال: "لا قدّر الله"، ولامس دبوس ربطة عنقه الذي كان على شكل صلب بطرف إصبعه الغليظ .للحظة، مرة أخرى، بدا حزينًا وقويًا. الحزن، ربما للوسيط الروحاني أو "الشامان "الذي غالبًا، رغم كونه على اتصال وثيق ومستمر بعالم الروحاني للملائكة والشياطين، ما يشعر بالقمع بسبب فكرة أنه معدوم المواهب -عند المقارنة بفضائلهم وتعاويذهم وأعينهم الشريرة.

"الخطر الوحيد الحاضر" استأنف كريدتور، "هو احتمال تصاعد الضغط على الموضوع كما فعلوا مع تلك البائسة، السيدة البائسة في كوينز".

انتظر جون قليلًا. كان يحدق في السريرين التوأم. ثم، بسرعة وفجأة، استدار إلى القس - الذي كان يمسك بصورة أمامه، سمح لنا برؤية لمحة خاطفة منها فقط. شكرًا للمسيح. هذه الصورة، هذه النظرة القصيرة، التي اقتنصناها بشكل خاطف: يمكنني القول أنها احتوت على معلومات مذهلة. كانت صورة بالأسود والأبيض. كانت حول القوة. تصوّر اثني عشر رجلًا، في تكوين لا تخطئة عين. اثني عشر رجلًا، ولكن من نوعين بشريين متمايزين، ممثلين بالتساوي، ستة رجال من نوع وستة من النوع الآخر، النوع الأول يتمتع بالقوة، وبشعور الأمان بين الجموع. النوع الثاني بلا قوة -يتمتع بالجموع ولكن ليس بشعور الأمان: لا تمنحهم الجموع إلا الحزن والضعف .يقول النوع الأول شيئًا ما بخفوت للنوع الثاني. ستة رجال يتحدثون إلى الستة

Twitter: @ketab_n

الآخرين: مهما كان ما يفرّق بيننا، مهما كان ما يقف بيننا، شيء واحد فقط يهمّنا. ننتمي نحن إلى الأحياء، بينما تنتمون أنتم إلى الأموات .نحن الأحياء وأنتم الأموات. الأموات.

"إذًا، كل ما لديهم هو هذا، وهو ما يرجع إلى ثلاثين سنة، وشاهديّ عيان"

قال جون: "لا شيء".

"ماذا، لا شيء؟ "

"ليس لديّ سجل إجرامي".

"المشكلة المعتادة: هل كذبت بخصوص سجلك الإجرامي؟ "

"آها".

"يتخذ الأمر شكل استعلامات حول اكتسابك الجنسية الأمريكية".

"استمر".

قال كريدتور: "قد يشتعل الوضع وتظهر بعض المخاطر ".

وتساءلت أنا إذا كان يقصد مخاطر السخونة المنتشرة في جسد جون. تطلع جون الآن بعيدًا بخجل وقال: "أمي.."

بدا كريدتور مهتمًا: "هذه ميزة إضافية لنا"

"لغتي الأولى."

Twitter: @ketab_n

"هـذا صحيـح، أتذكـر ذلـك. أنـت الشـخص الـذي لا يحمـل حسـابًا".

وقـف الاثنـان وتصافحـا. قـال جـون: "سـأخبرك بالحقيقـة. الأمـس كان أفضـل".

"سيدي، كيف حالك اليوم؟ "

"مرحبًا سيدي القس".

"مرحبًا سيدي الطبيب".

عدنـا أنـا وجـون إلى منزلنـا الجديـد، ولكننـا وجدنـا صعوبـة في البدايـة بالشـعور بـأيّ متعـة في هـذا المـكان (كـوة السـقف الفسـيحة عـلى سـبيل المثـال)، بالنظـر إلى الحالـة الـتي كان عليهـا جـون. فمـن الأفضـل أن يبقـى المـرء بعيـدًا عـن طريقـه. فامـرأة مثـلًا، امـرأة كأيريـن، أعـرف ذلـك، سـتجد أن جـون أصبـح شـخصًا لا يطـاق. لذلـك يمكنـك تخيّـل مـا كان عليـه في داخلـه. ثـم اتصـل بنـا القـس، بأخبـار حـول تحـوّل الطقـس إلى طقـس عاصـف، وفكّـرت أنـه آخـر شـخص في العالـم قـد نرغـب في سـماع أخبـار منـه. ولكـن بعـد ذلـك، حسـنًا، كان الطقـس كنسـيم البحـر. انقـضى النهـار في الشـعور السـعيد بالوحـدة، ومشـاهدة التلفـاز، وقـراءة الصحـف، وفحـص الأمـور المربكـة الصغـيرة المتعـددة: اللغـز المحـيّر للمخلفـات، أظافـر القـدم، زر القميـص، مصبـاح الإضـاءة. الوعـي أمـر غـير مسـموح بـه. إنـه أمـر رائـع: الخلـق والتحلـل الأبـدي للصـور الذهنيـة. ثـم الهـدوء... مـع اقـتراب الظهـيرة بـدأ جـون في تبـنى نمـط سـلوك

Twitter: @ketab_n

أعرفه جيدًا: التمدد، الحكّ، التنهّد باستسلام .يعني هذا أنه على وشك الذهاب للعمل.

لا يمكنني سوى مراقبته وهو يتغيّر مع الوقت. السترة ذات الأكمام القصيرة، الرداء الأبيض. بحثت عن الحذاء الأسود. ولكن لا. لا شيء سوى قبقاب أبيض. أي أمل يرجى منه؟ أصبح جون متطهرًا الآن، وواعيًا بالعالم من حوله بشكل كامل.

لم يحاول أي شخص إيقافه أثناء سيره عبر الضواحي السكنية الخمسة. لم تبك السماء على رأسه، ولم تتخذ السحب هيئة الساخرة من الأقدار. وهكذا كان الحال مع الأرض، والخرسانة، التي لم تنشق لتبتلعه أو تدفنه حيًا. والأمر نفسه مع الريح التي مرّت بسلاسة في صورة نسيم عليل، لا أعاصير، لا أنفاس شيطانية. ولا يمكنني سوى الاستشهاد بالبكاء اليائس لطفل، بنظرة فزع على وجه متشرد أسود في الشارع السابع أو الثالث عشر، ومستخدمي المدينة، وفناني التراجيديا المنتشرين في الشوارع -الطريقة التي ينساب بها الجميع، والطريقة التي يقول بها هؤلاء الذين يرتدون البذلات الرسمية (المتحملين للمسئولية غالبًا)، لا تهتم بنا. لا نقوم إلا بهدم المباني أو لا نقوم إلا بإشعال الحرائق أو لا نقوم إلا بإتلاف الطرق السريعة أو لا نقوم إلا ببعثرة القمامة .هذا المبنى مثلًا، يضمّ البوابين، والحمالين، وموظفي الاستقبال، ومتعهدي الكراسي المتحركة، وحاملي المحفّات المسرعين، الذين يعرفون من

Twitter: @ketab_n

نحـن. د .يونـج. لأننـا! - نحطّـم الجسـد البـشري .

في أوقـات كهـذه، لي أن أسـتنتج، لا يمكـن للـروح إلا أن تبقـى هائمـة في الظـلام، كخفـاش أبيـض، ولنـدع الظـلام يسـود النهـار. في الأسـفل، يفعـل الجسـم مـا يفعلـه، في الإفـرازات الميكانيكيـة لـلإرادة والأعصـاب، بينمـا تنتظـر الـروح. لنـا أن نفـترض -ويقـرّ الإلـه بذلـك -أن هـذه هـي النهايـة .هـذا هـو حفـار القبـور لأحـلام تـود فرينـدلي، لأحـلام جون يونـج، حيث يقـف أنصـاف الأمـوات في الطابـور بينمـا يتصبـب عرقًـا شـكل بـشري يرتـدي معطفًـا أبيضًـا، عـرق القـوة والقسـوة والجمـال وكل مـا لا يمكـن السـيطرة عليـه. ولكـن الأحلام تكـذب. اعتقدت حينهـا (كنـت عـلى يقـين) أن الإثـم الـذي سـنرتكبه قريبًـا لـن يكـون سـوى نوعًـا مـا مـن الرحيـل. اعتقـدت أنـه سـيكون إلى خـارج الأرض، خـارج المجتمـع، ليشـكّل كونـه الجديـد الخـاص. لـم أتخيّـل أبـدًا تود/جـون في حيـاة الإجـرام. ثـم يتضـح في النهايـة أنهـا نفـس الأمـور القديمـة ولكـن بشـكل أسـوأ، وأكـثر تكـرارًا، وأبعـد حـدودًا. أعـني، أيـن يقـع الحـدّ النهـائي؟ أخـبرني: مـا هـي المحفّـزات الكـبرى للخطيئـة؟ مـا الـذي لا يمكنـك فعله بتاتًـا في جسـد شـخص آخـر؟ لا أدّعـي الجهـل. بشـكل كبـير كان نفـس الهـراء يتكـرر في "الخدمـات الطبيـة المتحـدة"، كمـا لـو كنّـا قـد ذهبنـا إلى هنـاك بحثًـا عنـه، وبالطبـع كان يحـدث في جميـع أرجـاء المدينـة في أماكـن معروفـة جيـدًا: مستشـفى سـان مـاري، ومستشـفى سـان أنـدرو، ومستشـفى سـان آن. إنـه أمـر عـام. إنهـا مستشـفى عموميـة .لا يمكـن لأحـد أن يتظاهـر

Twitter: @ketab_n

للحظة أنه لا يعرف ما يحدث .تخرج سيارة الإسعاف صارخةً ليسمعها الجميع، أضواءها تلتف في دوائر، محاولةً اصطياد الفريسة البعيدة: راقبنا ونحن نوثق بالحبال رعب الليلة بأكمله. وراء حدود الشريط البرتقالي لمسرح الجريمة، في الشارع، شكل الجسم البشري المرسوم بالطباشير. نأتي إلى هنا، حاملين بين أيدينا الدمار. ارجعوا إلى الوراء! أيها الناس -لا تتدخلوا. دعونا نفعل ما يتوجب علينا فعله.

الهواء في المستشفى فاتر وبلا معنى، مع طنين دائم، ومذاق يذكّرك بأعضاء الجسم البشري التي تُفنى بغموض أو يُحتفظ بها بدون قصد .نتحرك نحن معشر الأطباء بين السقف والأرض، بين المصباح الهائل و نعيق الأرضية الزلقة .في هذه الممرات يوجد إحساس بمخدر النوفوكايين الضروري؛ من الناحية المعنوية، يذكرني وضعنا بلسان مجمدّ من أثر المخدر على كرسي طبيب الأسنان، الفم مفتوح بأقصى ما يستطيع لاستقبال أدوات الألم، ولكنه لا يتكلم .وفي غرفة العمليات لن ترى إلا عينيّ.

هنا يغطي الرجال شعرهم بقبعات ورقية، وترتدي النساء الأوشحة. على قدمي قبقاب خشبي. قبقاب. لماذا قبقاب؟ أرتدي ثوبي الجراحي، قفازي المطاطي المشدود على الجلد. أرتدي قناع الخارجين عن القانون. عصابة مصباح الرأس الخاصة بي متصلة بمحوّل في الأرضية، نصف غارق في الدم. يهبط السلك من ظهري، تحت ثوبي الجراحي، ويهتز ورائي، مثل ذيل القرود، ذيل الشياطين.

Twitter: @ketab_n

لا نـرى بأعيننـا إلا أعـين الآخريـن هنـا. المريـض الضحيـة غـير مـرئي، مكفّـن بالكامـل: باسـتثناء الجـزء الصغـير الـذي نعمـل عليـه. عندمـا ينتهـي الأمـر، نغسـل أيدينـا كالمصابـين بمـرض عصـبي. التنبيـه المطبـوع عـلى المـرآة يقـرر: يجـب فـرك كل أظفـر مـن أظافـر الأصابـع خمسـين مـرة. يجـب إبقـاء أطـراف الأصابـع أعـلى مـن الكـوع .كل فركـة تتطلـب حركتـين. كل إصبـع لـه أربـع جوانـب. ثـم المصبـاح المتألـق في غرفـة الخزانـة، مـع سـجادتها الحبليـة ورفوفهـا الصلبـة، براميـل تنظيـف الملابـس وأكـبر سـلال قمامـة يمكـن أن تراهـا في حياتـك، منهـا نصطـاد أدواتنـا الملطخـة مسـبقًا. في الخـارج في قسـم الإصابـات، دائمًـا مـا تكـون الليلـة ليلـة سـبت. كل شيء ممكـن.

هـل ترغـب في معرفـة مـا أقـوم بـه؟ حسـنًا. يدخـل شـخصًا مـا بضمـادة حـول رأسـه. لا نضيّـع وقتًـا. نـنزع تلـك الضمـادة فـورًا. هـذا الشـخص مصـاب بثقـب في رأسـه. إذًا مـاذا علينـا أن نفعـل؟ نـدق مسـمارًا في هـذا الثقـب. نحصـل عـلى المسـمار – مسـمار صـدئ صلـب – مـن سـلة القمامـة أو مـن أي مـكان آخـر. ثـم نقـوده إلى غرفـة الانتظـار حيـث يُسـمح لـه بالتسـكع والصيـاح بالشـكوى لبعـض الوقـت قبـل أن ننقلـه خارجـين بـه إلى الليـل مـرةً أخـرى. نحـن الآن مشـغولون بهـذه المـرأة المتشـردة الـتي أصبحـت بـين أيدينـا، لاحمـين الجـورب والحـذاء البلاسـتيكي إلى باطـن قدميهـا القـذرة. عندمـا ننتهـي مـن الحـالات المتدهـورة، لا نسـتطع الانتظـار حـتى نخرجهـم مـن هنـا. لا يهـم. كالسـلالم الهابطـة مـن السـفينة. دائمًـا هنـا

Twitter: @ketab_n

المزيد.

كنت أعتقد دائمًا أنني أعرفهم. يحدث هذا عشر مرات يوميًا .أستمر في الاعتقاد أنني أعرفهم، هؤلاء الداخلين على الكراسي المتحركة أو العربات أو المحمولين على المحفات. مهلًا! أليست تلك هي سينثيا، التي كانت تعمل في متجر "ديلي"؟ ربما تكون تلك المرأة هي جاي نورّ، التي عرفتها بفعل الحب؟ ولكن ذلك الرجل هو هاري بالتأكيد، البواب الذي يعمل في المتروبوليتان. يحدث كل شيء بسرعة كبيرة. لا يمكنني السماع، مع كل هذه الصرخات وتحطّم الأضلاع. طفل من هذا؟ أليس هو الطفل الذي اعتاد الاندفاع عبر الطريق، هناك في ويلبورت؟ سنوات كثير جدًّا. الرجاء التحرك ببطء يا أطفال.

ورغم كل هذا، أصبح عالمنا بشكل مفاجئ ممتلئًا جدًّا، مرة أخرى، إنسانيًّا، ممتلئًا بالوجوه والأصوات. الكل يعرف من أنا. لا أقصد الضحايا، بالطبع، الذين لا يعرفون من أنا والذين لا يمكن اعتبارهم، لأسباب عملية بحتة، من بين البشر، فهم لا يأتون إلا بأجزاء من الاهتمامات المشتركة، وحتى ابتساماتهم وتثاؤبهم وتقطيباتهم لا توحي بعكس ذلك. (هذه العادة التي تجعلني أعتقد دائمًا أنني أعرفهم - كبشر - هي عادة خاطئة وغير مقصودة. أنا لا أعرفهم) ومع ذلك أعرف كل شخص آخر. للمرة الأولى في حياتي يصبح لدي أصدقاء، واهتمامات مشتركة، مثل البيسبول والأوبرا والاحتفالات، أصبحت متألقًا ومبتهجًا بالامتيازات.

Twitter: @ketab_n

كل هؤلاء الغرباء يعرفون من أنا. من البداية كان الفريق كله في المستشفى مبتهجًا ومتمتعًا بروح الجماعة غريزيًا. روح الجماعة في أعلى مستوياتها، بل وإنها مثالية. الشيء الذي يسمى المجتمع - أصبح وراءنا. نحن وسطاء بين الإنسان والطبيعة. نحن جنود البيولوجيا المقدسة. لأنني الشافي، كل شيء ألمسه ينعم بالشفاء، بشكل ما. أعتقد أن ذلك الشيء الذي يسمع المجتمع مجنون تمامًا. في غرفة الخزانة تلتصق الشبكة الحديدية بخطابات تقول مثلًا: شكرًا على كرمك لجعل الأوقات الصعبة أسهل كثيرًا علينا، لولا وجودك في المستشفى لم أكن لأعرف كيف سأنجو بحياتي. يقرأ الأطباء مذكرات "أشكرك" هذه بالدموع في مآقيهم، خاصة عندما يُعبّر على هذا الامتنان بخط طفولي. ليس جوني يونج، رغم ذلك. ربما يعرف هو كذلك، كم أعرف أنا، أن هذه الخطابات ما هي إلا خطابات استرضائية أو تكفيريّة. الطفل ("سبع سنوات") غير موجود هنا بعد. ولن يكونوا ممتنين جدًّا عندما ننتهي من عملنا.

لدينا العديد من الهوايات (أصبحت الحياة ممتلئة ومتّسعة)، ولكن اهتمامنا الرئيسي خارج نطاق العمل، كان أجساد النساء، بالطبع. أجساد النساء التي يجدها جوني مثيرة للاهتمام أكثر وأكثر مع مرور الوقت، بشكل كبير جدًّا، أكبر من كل الأشياء الأخرى مجتمعة. ولا يسعى جوني وراء أجساد النساء لهدف واحد فقط، ليس جوني. فهو يسعى وراء أجساد النساء لجميع الأسباب الممكنة الأخرى

Twitter: @ketab_n

أيضًا: الحب، والاتحاد الروحي، وفقدان الذات، والانتشاء النفسي .تتسبب أجساد النساء في كل هذه المشاعر داخله. وحقيقة أن جسد المرأة يحتوي على رأس في قمته لا تتعدى كونها تفصيلة صغيرة. لا تسيء بي الظن: فهو يحتاج إلى الرأس، لأن الرأس يحمل الوجه، ويوفّر الشعر. ويحتاج إلى الفم؛ يحتاج إلى الفمّ جدًّا. أما بالنسبة لمحتويات الرأس، حسنًا، يحتاج جوني فقط لبعض الأشياء التي تحيا هناك: الإرادة، الرغبة، الانحراف الأخلاقي. يحتاج جوني إلى الرأس إلى الحدّ الذي يوجد به الجنس في الرأس.

في البداية كانت نيّتي أن أتّخذ نغمة نائية وانهزامية. شيئًا ما من قبيل: فيما يتعلق بحياة جون الجنسية خلال السنوات التي قضيناها في هذه المدينة، يكفي أن أقول أنه يواعد الكثير من الممرضات. ولكن هذا لا يكفي في الحقيقة .قول شيء مثل هذا لا يكفي أبدًا. ينطبق هذا على الممرضات بالمناسبة. أو أنه ينطبق على الممرضات التي يواعدهن جون، ويبدو أنهن مجموعة نساء تقليديات جدًّا. يبدو العمل كالجَحيم بالنسبة لي، يبدو كموت العورة عندما أنظر إليه من مكاني، ولكن المستشفيات تثير الشهوة -هذا ما يقوله الجميع. دائمًا ما يمازحون بعضهم البعض حول هذا الأمر. الدماء والأجساد والموت والقوة. أعتقد أن في إمكانك رؤية الصلة بينها. يصالحون أنفسهم مع فناءهم. يفعلون ما نفعله جميعًا هنا على الأرض: يستعدون للموت. وهذا بالضبط ما يمثل لدكتور

Twitter: @ketab_n

يونـج الاهتمـام القاتـل، الفـاني، المحـدِّد للحيـاة، بأجسـاد النسـاء. مـاذا يمكـن أن نقـول أيضًـا عـن أجسـاد النسـاء بعيـدًا عـن كونهـا مثـيرة للاهتمـام بشـكل لا يصـدق؟

توجـد لمحـة عنـف نـاري ترتبـط بهـذا الأمـر في نيويـورك، كمـا هـو الحـال مـع كل شيء آخـر في هـذه المدينـة، الـتي لا تتباطـأ أبـدًا كمـا فعلـت المدينـة الأخـرى لتصبـح أكـثر بـراءةً وأقـل جنونًـا وأقـل قـذارةً وتنوعًـا في الألـوان. وبالمقارنـة، فـإن غرامياتنـا السـابقة - الـتي كان الحـب يزدهـر فيهـا بحـزن في سـاحات انتظـار السـيارات أو بكلمـات مريـرة أمـام نوافـذ المتاجـر الـتي تتقاطـر منهـا ميـاه المطـر - تبـدو الآن راقيـة ومتحـضرة تمامًـا. عـلى سـبيل المثـال، يسـتيقظ جـون في الثانيـة صباحًـا ويغامـر بالخـروج للتمشـية قليـلًا. نحـن في الشـارع السـادس، نستنشـق رمـاد السـيجار الفاخـر ونهتـم بشـأننا فقط - ثـم ينعطـف جـون إلى الشـارع الثـاني والعشريـن وينطلـق في الجـري، ويبـدأ في فـكّ سروالـه... الآن مـاذا؟ كان سروالـه حـول ركبتيـه عندمـا اندفـع بسرعـة خـلال الأبـواب المزدوجـة لمبـنى مـن الأحجـار البنيّـة، ثـم حـول كاحليـه عندمـا تعـثر بسرعتـه عنـد البسـطة الأولى مـن الـدرج. قفزنـا مبـاشرةً إلى هـذه الشـقة، مبـاشرةً إلى غرفـة النـوم البرّاقـة - ثـم اسـتدار بجسـمه. يتوجـب عـليّ أن أقـول أن الموقـف لـم يكـن واعـدًا جـدًّا. كانـت هنـاك امـرأة مسـتلقية بارتيـاح عـلى السريـر. وكان هنـاك رجـل أيضًـا مرتديًـا ملابسـه بالكامـل، متضخمًـا في حلتـه الصوفيـة الزرقـاء الليليـة وقبعتـه البـارزة، حيـث انحـنى عليهـا، صافعًـا وجههـا

Twitter: @ketab_n

بإيقاعية بأداء بندولي بيده ذات القفازات الثقيلة. لا يبدو هذا كأسلوبنا على الإطلاق، بحذر انسلّ جون من جواربه وقميصه .عليك أن تبدي إعجابك بجون .فهو يحافظ على برودة ويعمل على كل الاحتمالات. تحرّك الآن الرجلان بشكل غريب أمام بعضهما البعض؛ ومع بعض الخجل والاستحياء صعد جون إلى السرير. وحدّق الرجل الآخر فينا، بوجه مرتفع ومضطرب .ثم قام ببعض الصياح وانسحب من هناك -رغم أنه توقف قليلًا، وأغلق المصابيح بشكل متأنٍ، بينما كان يغادر الغرفة. سمعنا صوت حذاءه على الدرج. تشبثت السيدة بي.

"زوجي!" فسّرتْ الأمر.

ولكن من يهتم؟ اخترقها جون فورًا. بلا أي مداعبات جنسية تمهيدية. بلا أي تربيت على الشعر أو تنهّد أو تحديق بحزن في السقف، ليس مع هذه المرأة. لا شخير مرتفع إضافي أو أي شيء آخر، ليس مع هذه الجميلة... بعد وقت قليل اتخذتْ هذه المرأة وظيفة في المستشفى. أصبحت الممرضة دِيفيس. ما زلنا نتواعد. يعمل زوجها، دينيس، كحارس ليلي. تقول باستمرار أنها سعيدة أن دينيس لا يعلم شيئًا حولنا وتتمنى ألا يعرف أبدًا. ماذا يمثل هذا الأمر بالنسبة لهم، أقصد الكائنات البشرية؟ أعتقد أنهم يتذكّرون ما يريدون تذكّره .وأعتقد، في حالتنا هذه، أنه علينا أنا وجون أن نقدم شكرًا جديرًا بالازدراء لموهبة النسيان البشرية هذه :النسيان، ليس كعملية تآكل

Twitter: @ketab_n

وضياع، ولكن كنشاط. جون ينسى. الممرضة ديفيس تنسى. الزوج، دينيس، مرتجفًا من البرد في طريقه إلى العمل، في طريقه إلى المراقبة الليلية، ينسى أيضًا.

بسبب إحساسي بالواجب والمسئولية بشكل كبير، بدأت في البحث عن الصلات التي تربط بين الاهتمامين، بين نوعي الجسد الأنثوي. أحد الجسدين يتمرغ على سفينة من الوسائد، مع نظرة دافئة وعابثة، تنبعث منه رائحة الخبز الطازج (لن أجادلك في هذه النقطة: النساء مخلوقات عظيمة)؛ بينما يرقد الجسد الآخر مستويًا وباردًا على منضدة يسيل الدم من حوافها كغروب الشمس. يقف جون أمام كلٍّ منهما بأجزائه الحيوانية متضخمة. ها هي واحدة أخرى، يبدو أنه يفكر. وجه آخر بتيار شعره المصفف. فخذ آخر ذو قدرة مذهلة. بطن أنثوية أخرى.

وبالنسبة للأطفال، ففي المستشفى، في قسم طب الأطفال، حيث لا تنطفئ المصابيح أبدًا، يرقد الضحايا الصغار، الذين نقوم بتشويههم بصبر وبطء، مخدّرين وضائعين وشاعرين بالحكّة -ومع الأطفال يكون جون في أعنف حالاته. يندفع عبر العنابر خاطفًا ألعاب الأطفال وقطع الحلوى المتدلية من أفواههم، ومرتديًا ابتسامة كابتسامة الجماجم. بدون أي نغمة شعور. فقط الرجال هم من ينالون منه. بشكل يثير السخرية. يقابل أعينهم بنظرة اعترافية تقريبًا. تعترف بأن لهم حق ينتهكه هو بهذه الأفعال. ما هو هذا الحق؟ إنه الحق في الحياة

Twitter: @ketab_n

والحب.

الأداء الثقافي للطبيب مع الرجال في أكثر حالاته ضعفًا. يصبح هذا الأداء معرضًا فجأةً للتساؤل، هذه الفكرة التي يحافظ الأطباء على سرّيتها، أنهم ملتزمون بإنتاج القوة الخاصة، لأنه إذا بقيت القوة غير مستخدمة، فإنها تخرج عن نطاق السيطرة، وترتد ضد حياتهم نفسها.

كان كارتر استثناءًا، في هذا الأمر وفي كل شيء آخر، ولكني اعتدت على الشعور أنني في نفس عمر الرئيس الأمريكي الحالي تقريبًا. يقول الناس أنني أشبه جيري فورد، رغم أنني بالطبع أكثر وسامةً الآن. كنت أصغر من ليندون بي جونسون، وأكبر سنًا بالتأكيد من جون إف كنيدي، الذي يتمتع بوسامة تفوقني بكثير. جون إف كينيدي: الذي أحضر بالطائرة من واشنطن وطرح أرضًا بمشارط الأطباء ورصاصات القناص، ثم جيء به إلى شوارع دالاس ليتمتع باستقبال الأبطال.

والآن، ورغم سنوات نزع السلاح المضطردة ما زالوا يتحدثون عن الحرب النووية مرةً أخرى وبشكل أقوى من أي وقت سابق. أتمنى لو استطعت إراحة عقولهم. لن يحدث هذا. بربّك: تخيّل التحضيرات التي سيتوجب اتخاذها. لم يبدأ أي شخص. لا أحد مستعد.

هل تتذكر الشواذ الفوضويين؟ كانوا مستعدين. تجارب إماتة الجسد التي أجروها على وجوههم نفسها - الثقوب،

Twitter: @ketab_n

شحوب الوجه .كانت لديهم بداية. كانوا مستعدين. ولكنهم تلاشوا منذ عقود مضت.

ها هي لحظة أخرى أودّ مشاركتها معك .

أنا في حجرة انتظار عنبر بيتر بان، أطلق النسيم العليل مع الممرضة جَدج .توجد امرأة أخرى هناك، امرأة تدعى السيدة/جولدمان. لأنها امرأة، كان جون يرسل إليها نظرات خاطفة من وقت لآخر: لأنها امرأة .ولكنها أم أيضًا: لديها طفل رضيع عند قدميها، وطفل آخر، فتاة تبلغ من العمر ثلاث سنوات، كنا قد قررنا إتلاف فخذيها .الفتاة الصغيرة مستلقية في عنبر بيتر بان ونصفها السفلي مغطى بالجبس. أقامت هناك لشهور - فهو مشروع طويل الأمد... السيدة/ جولدمان تقرأ في مجلة، مع الرضيع عند قدميها. رأينا هذا التزاوج من قبل. الرضيع ينكمش بسرعة كبيرة، ولكنه لا يستطيع الزحف الآن رغم كفاحه الواضح للعيان. ولكن مهلًا. الرضيع يزحف بالفعل، فقط لبوصة أو بوصتين من اللهاث في كل مرة - ولكنه يزحف إلى الأمام. والمرأة التي تقرأ المجلة: الصفحات المصقولة اللامعة تمر مسرعة أمام وجهها: إنها تقرأ، أو تتصفح بشكل عابر، إلى الأمام. يا للمسيح، منذ متى وأنا...؟ على أي حال، سينتهي الأمر سريعًا، أعني هذا الفاصل الزمني المنطقي. تعود الأم للقراءة بالعكس مرة أخرى، بينما لا يفعل الرضيع غير البكاء. يرغب في تغيير حفّاظته، أو أنه جائع فحسب. يرغب في ملء حفّاظته بخراء جديد من القمامة. أنا في طريقي لأن

Twitter: @ketab_n

أصبح إنسانًا غير ناضج. عليّ أن أتجاوز الأمر. لا أتوقف عن انتظار أن يصبح العالم ذو مغزى. ولكنه لا يفعل. ولن يفعل أبدًا .

عليكَ أن تبدأ في تقسية قلبك لحمايته من الألم والمعاناة، سريعًا. في نفس اللحظة على الأكثر.

لم نتمكن من تحمّل نصف ساعة من هذا الأمر بدون توفّر الظروف الإنسانية الضرورية. أصابنا الذهول والارتباك بحق بسبب هذا، وسط المعدن البارد وبلاط غرفة الخزانة، أو منطرحي الوجوه على الأكواب الورقية وبراميل القهوة في مطعم المستشفى - جوني هناك، مع آثار زلقة لا توصف تملأ ردائه بالكامل. نسمي ضحايانا بالأجساد المتخشبة أو الكتل الجامدة أو المترنحين -أو المدمَّرين بالكامل، أو المتبرعين بالأعضاء.

"ليست كالفقاعة. هل ترى فقاعة؟"

"أوه، ليست في حالة سيئة جدًّا بدونها".

"هل ترى هذه اللطخة؟"

ليس الأمر بخطير جدًّا، ولكني سأخبر دكتور جون يونج بهذا الموضوع. فهو لا يجد متعة في عمله. الذات هي ذات مكتومة: ترتدي رداءًا من الألبسة الواقية. هذا رغم وقت العمل الإضافي الذي يقدمه طوعًا. تتنوع الآراء حوله: إنه "مخلص بشكل لا يصدق"؛ إنه "شره جدًّا لتوقيع العقاب"؛ إنه "قديس"؛ إنه "مجنون تمامًا". "حسنًا"، يقول جون

Twitter: @ketab_n

ويهز كتفيه بخفة: "افعل ما تستطيع فعله بأفضل شكل".

جون أقوى من باقي الأطباء والممرضين والممرضات. إنهم يتلعثمون دائمًا وهم مستندين على منصاتهم. لا يحتاج جوني إلى تشجيع - فهو يمنحه. ها هو بايرون، الذي يشبه شخصية بلوتو الكرتونية، بلحيته السوداء العريضة، وشعر جسده المنبثق برفاهية من حمّالات كتفيه.

"تحدث إليّ يا بايرون".

"جوني، تطلع إليّ، أنا على وشك خسارته".

"من أخبرك أن الأمر سيكون سهلًا؟"

"لستُ مستعدًا لهذا الهراء".

وهكذا يستمر الحديث ولكنه لا يساعد على تحسّن الأمور أبدًا. يصبحون في وضع أسوأ بكثير، كما هو الحال دائمًا، عندما ينتهي جون. يبتعد بايرون بصخب، كثيف الشعر جدًّا، نظيف جدًّا، عاصرًا يديه، كعنكبوت معصوم من الخطأ وسط أعباءه الخضراء.

والجسد في الأسفل متعب دائمًا. لا ينتهي الأمر أبدًا. أعمل كثيرًا مع ويتني. ويتني؟ في الثانية والثلاثين من عمره، طويل القائمة، ذو شفتين متدليتين تجعله يتهته أحيانًا، جاحظ العينين، ذكي جدًّا ولكنه بلا ثقافة لذلك فهو يتمتع ببعض الحكمة فقط: هذا هو ويتني. يعتقد أنه شخص ظريف؛ يتحدث عن كوريا، وكيف أن هذا، مقارنةً بذلك،

Twitter: @ketab_n

لا يعتبر شيئًا. أيا كان الأمر، تعرض ويتني لحادثة عندما، لا أعرف تمامًا -أوه، نعم. كنا قد انتهينا من تدمير مجموعة من الفتيان المراهقين. كانت أمهاتهم قد أحضرنهم وخرجن بهم مسرعات بعد أن بدأنا العمل بوقت قليلًا، حيث وقفن ليشهدن الطريقة المميزة لإعادة الضمادات الغارقة في الدماء إلى لفائفها .نزعنا غرز الخياطة ثم لطّخنا الفتيان بالدماء. أتذكر عملية الإدخال التي قام بها ويتني بمهارة لمسمار حادّ بينما كنت أنا أقوم بحشر شظايا من الزجاج البني في رأس الفتى الآخر. ثم انفجر كلانا، كما يقولون، في الضحك: تبادلنا الضحكات التي ملئت وجهينا، مظهرين بالأسنان واللسان والخياشيم المرح الصاخب الفاني الذي يتخفّى وراء كل شيء نفعله هنا. امتزجت ضحكاتنا ببكاء وأنين الفتيان. أوع، نعم. ثم ينتقل ويتني إلى الفتى الذي كان تحت يديّ "هل تتوقع اقتحام يا فتى؟ تبدو كجدار حديقة"، أو شيئًا ما من هذا القبيل، شيء يبدو أنه يمنحنا الهدوء، كما تفعل النكات مثلًا. ورغم ذلك، فإن هذه الدعابات تمنحك الاستقرار والثبات، حتى وإن كان الهراء يتساقط بلا نهاية. لم يكن مرحنا الصاخب هذا خاليًا من الرعب بالطبع. الرعب من هشاشتنا وضعفنا نحن .الخوف مما قد نتعرض له من تشويه. من يمكنه أن يفعل ذلك بنا؟ كيف يمكن لنا تجنّبه. بعد ذلك بقليل أصبحنا أنا وتود مشغولين في مكان آخر مع منشار معادن وإزميل متوسط الحجم، لكي نربط ساق مشوّهة، بشكل هزلي، بجسم مغلف بدا غير معروف على الفخذ، وسط ما يشبه أمطار

Twitter: @ketab_n

مـن الدمـاء، وجليـد مـن العظـام .

المدينــة - هــي مــن عليهــا أن تشــفيهم، بشــفرة ســكين، أو ســيارة عابــرة، أو عصــا شرطــي غليظــة، أو طلقــة بندقيــة. الانفعــالات المحليّــة للحــب والكراهيــة. الكابــلات المرتخيــة وأحجـار البنـاء المارقـة للمدينـة الـتي تتحـرك عـن بعـد.

يضـمّ الطابـق الثـاني غرفـة لغسـل الملابـس، وهـي مـسرح للمواعيـد الغراميـة والمضاجعـات السريعـة ومـا يدعـوه فريـق الأطبـاء هنـا بمرعشـات الركبـة، وهـو مـا تفعلـه أثنـاء وقوفـك عـل قدميـك. كنـت هنـاك مـع الممرضـة ديفيـس. أذهـب إلى هنـاك الآن مـع الممرضـة تريمليـت.

توجـد غرفتـين للإصـلاح في الطابـق الرابـع حيـث الأمـور تسـير بشـكل جيـد عـادةً. اعتـدت عـلى الذهـاب إلى هنـاك مـع الممرضـة كوبريـتي. أتمـنى الذهـاب إلى هنـاك قريبًـا مـع الممرضـة سـاموت أو الممرضـة بوكـر. أحيانًـا لا أهتـم حـتى بـنزع حلّـتي الـتي تعلوهـا الملوّثـة تمامًـا بآثـار الإطـارات. لا أفعـل سـوى حـذف القبقـاب الـذي أرتديـه بعيـدًا.

توجـد ممرضـة اسـمها إليـوت دائمًـا مـا تبتسـم لي بسـخرية دون أن تتقابـل أنظارنـا. في المصعـد بالأمـس، دعتـني بالأحمـق بصـوت خافـت جـدًّا. أعـرف العلامـات جيـدًا - عندمـا تقـودني امـرأة إلى الأمـام. تنسـل هـي إلى حجـرة تنظيـف الملابـس. ثـم ألحـق بهـا عـبر البـاب بعـد دقيقـة أو اثنتـين. حيـث أجدهـا واقفـة بجـوار النافـذة، تتفحـص وجههـا في انعـكاس الأدوات

Twitter: @ketab_n

الفضيـة. أسـير في اتجاههـا وركبتـاي ترتعشـان .

سـيزور جـون هـؤلاء الممرضـات بعـد سـاعات في الحجـرات والردهـات للشـقق الصغـيرة والفنـادق البسـيطة الـتي يقمـن فيهـا، ولكـن الممرضـات اللـواتي يتمتعـن بخصوصيـة عاليـة هـنّ فقـط مـن يتأثـرن بحديثـه الجـذاب. حيـث يتخـذ جـون مـع الممرضـات اللـواتي يتمتعـن بخصوصيـة عاليـة جـدًّا أسـلوبًا غراميًـا مختلفًـا. وأفضـل أن أسـمّي هـذا الأسـلوب بالمتعمّـق تمامًـا. يمكنـك القـول أنـه عـودة إلى أسـلوبه القديـم، ولكنـه تشـعّب الآن بسـبب قدرتـه المتزايـدة عـلى الاحتمـال. حيـث توجـد قائمـة بمسـئوليات جسـيمة عليـه إتمامهـا. كل مـا يمكـن إتمامـه سـيتمّ إنجـازه – فـورًا بشـكل عـام. ولكنـه يبـدو أنـه يبحـث عـن أجسـادهن. يبـدو أنـه يبحـث في أجسـادهن عـن الفتحـات الـتي لـم يكشـف سرّهـا بعـد، عـن الشـقوق الجديدة.

ولـكَ أن تخمّـن مـن بـدأ في الظهـور مؤخـرًا، بشـكل متقطـع ولكنـه لا يزيـد عـن مرتـين في الشـهر : أيريـن. اسـتقبل تـود الأمر بهـدوء شـديد، ولكـن بالنسـبة لي فقـد كان أعـذب ألـم ممكـن، في البدايـة بالـذات. ولكـن مـا أثـار دهشـتي فعـلًا: هـو أنـني اعتقـدت أنـني نسـيت أمـر أيريـن تقريبًـا. فلـم أكـن أفكـر فيهـا كثـيرًا، فقـط مـرات قليلـة كل يـوم، ونـادرًا مـا كنـت أتخيّـل أنني لمحتهـا هنـا أو هنـاك في الشـارع، أو في الأتوبيـس، أو في المتجر الصغـير، أو في مستشـفى، أو عـلى طائـرة عابـرة عـلى ارتفـاع أميـال. هـل نسـينا أيريـن فعـلًا؟ احتمـال. ربمـا تكـون منكـوب القلـب، كمـا يقولـون، وبالتـالي لـن تنـسى حبـك الأول أبـدًا. ثـم

Twitter: @ketab_n

يأتي هذا التعقيد الكابوسي: لا أستطيع تحمّل الطريقة التي يعاملها بها. بالنسبة إليه - كيف يمكن قول هذا؟ فهي تذوب بسرعة. تذوب فورًا، أكثر النظرات إرهاقًا، وأكثر الابتسامات برودًا تذيبها تمامًا .إنه موقف مستحيل. جون ليس متعمقًا مع أيرين. يجب أن تنال حظها بما يكفي. إنه واحد من تلك المواقف ثلاثية الأطراف. أحبها ولكنها تحبه وهو لا يحب أحدًا. في إحدى الليالي ترقد أيرين تومض بعينيها شاعرةً بالإهمال، ويستلقى جون في الجانب الأخر. إنني أحترق من أجلها .

كانت السنوات كريمة مع أيرين، رغم أنها ما زالت متعبة ومنهكة بشكل أكبر من أي ممرضة فظّة لدينا في المستشفى. ألاحظ هذا في أيرين، وأربّت على نواقصها، كميكانيزم دفاعية. نعم، دائمًا ما أحاول بلا جدوى أن أملأ قلبي بالكراهية تجاهها. في استطاعتها أن تكون أكثر نظامًا حول أرجاء الشقة، التي عادةً ما تكون في غاية الترتيب والنظافة عندما تصل إلى الشقة .أتفق مع جون في هذا الرأي. فكلانا يمقت بشدة الغبار والأتربة، والبقع على أحواض الاستحمام، وأي نوع من القاذورات.

يمر الوقت مسرعًا. تزداد السيارات حجمًا وتقل عددًا وتبدأ في تقليد الحيوانات بزعانفها وأجنحتها.

لم تعد الإبر الطبية تتميز بالاستخدام لمرة واحدة. في المستشفى يوجد تأكيد عام متزايد على ارتجال الأشياء كيفما اتفق واستخدام البدائل المؤقتة الرديئة. بل وأصبحنا

Twitter: @ketab_n

نستخدم أنابيب الامتصاص الصغيرة: شيء غير صحي على الإطلاق. توقفوا كذلك عن استخدام القطن الطبي، وهو أمر ممل جدًّا.

الوضع الاجتماعي للأطباء في المجتمع أصبح أعلى من أي وقت سابق. نسير باستقامتنا، غير خائفين من البلاغات القضائية ضدنا.

لم يعد بإمكانك رؤية راكبي الدراجات، وهم يرتدون أقنعة الأطباء. لم تعد هناك تنبيهات، في الأيام الممتلئة بالغبار، لحماية المصابين بالربو أو الذين يعانوا من الحمى القرمزية .

يدخن الجميع ويشربون ويصنعون الفوضى في كل مكان. لم يعد أحد يهتم بما يفعله.

في الأسبوع الفائت حضر بعض الأشخاص وانتزعوا جهاز التلفزيون الملون ووضعوا بدلًا منه واحدً بالأبيض والأسود. وافقت على الصفقة ولكني عندما قمت بتشغيله كان أول ما فكرت به :أوه. ها هو الرأي العالمي.

لكن الوقت العالمي، كقوة، ظهر منذ وقت طويل في الحقيقة. لا يمكنك تحديد متى حدث هذا. بعد طلقة القمر، أتذكر، انطفأ ضوء صغير في رأس كل شخص؛ وبدا العالم فجأة أكثر راحة، وأكثر محلية، وأكثر ازدحامًا، بينما اختفى الرأي العالمي، من الناحية الأخرى، ببطء، مثل الوعي الذاتي للأسنان. يمكنك رؤية الابتسامات الهائلة

Twitter: @ketab_n

البشعة في كل مكان هذه الأيام، ولا أحد يهتم. لا يهتم الناس كثيرًا بما يبدو عليه الآخرين. لذلك يستطيع الناس أن يكونوا كما يريدون، غير مهتمين باهتمام الآخرين من عدمه.

أصبحت الملابس في كل مكان أكثر براءة. أصبح الجميع أكثر براءة، ودائمي النسيان. أصبحت "سنترال بارك" أكثر نظافة ولكن ليس أكثر أمانًا. أصبحنا أقل عددًا.

يمكنك تخيّلي الآن في غرفة العمليات، على الأرضية السوداء، أسفل المصابيح التي تشبه الغلايات، مع صداع خفيف ونصف انتصاب، حاشرًا ورمًا داخل الجسم البشري. أستريح لدقيقة، أجلس على مقعد دراجة جلدي بقوائم من الكروم القاسي. تأتي الممرضة المساعدة، الممرضة ديل بوابلو، ترسل لي نظرات لعوب. هذا كل ما يمكنها فعله، في قناعها الجراحي. مارست الجنس معها من قبل. وكذلك فعل بايرون وويتني. الممرضة ديل بوابلو مشهورة عن حق بالاستخدام الماهر ليديها، وبأفخاذها الساخنة، وشفتيها الناعمة، وبطنها الجميلة، ومؤخرتها القبيحة، ونهودها الجميلة حقًا.

أريد أن أدخل هذا الورم بشكل جميل وثابت. فأقول: "ملقاط كبير.... ملقاط صغير.... ماصّة... ماسك"

في الليل تنوء المستشفى بأصوات الصرير والطقطقة الناتجة عن عمليات الانتقاء والفرز الجراحية.

Twitter: @ketab_n

في آخر موعد بينهما، ذهب جون والممرضة ديل بوابلو إلى متحف المتروبوليتان .لا يهتم جون عادةً باللوحات الفنية، كما لا يوجد أي حافز مادي، ولكنه شعر أنه هذا ما تتوقع الممرضات منه أن تفعله، وما يتوقعه تجمّع الأحجار والمعادن الذي يسمّى المجتمع. كما هو الحال مع الكتابة، تبدو اللوحات الفنية كأنها وتشير إلى عالم مشوّش مقلوب يتحرك فيه السهم الزمني في الاتجاه المعاكس، حيث توحي خطوط السرعة غير المرئية بارتباط مختلف بين التتابعات والعمليات. تلك الفكرة مرة أخرى. دائمًا ما تصيبني بالتوتر بشكل غريب. أتساءل: هل هذا هو الحال مع جميع الفنون؟ حسنًا، ليس هذا هو الوضع مع الموسيقى. ليس هذا هو الحال مع الأوبرا، حيث يسير كل شخص باتجاه عكسي ويتحدث بصوت بشع للغاية.

نتلقّى كل كريسماس نتلقى بطاقة معايدة من القسّ، يخبرنا فيها أن الطقس معتدل. حسنًا، أحيانًا ما يكون كذلك فعلًا .ولكني أعرف ما يقصده .

تشبه المستشفى نوفمبر دائم. يسير المرء عبر الشمس والأمطار، يمرّ المرء بجميع أنواع الطقس للوصول إلى هناك، ولكن بمجرد أن تمتصه الأبواب المزعج للداخل، يصبح كل شيء رماديًا بشكل يائس وجوهري.

عبر هذه النوافذ، في المساء، تبدو السحب كضمادات وقطع من القطن الطبي.

Twitter: @ketab_n

كل الألم الواضح للضحايا، كل الأحلام التي لا يسمعها أحد، كل العيون المتراجعة :يختفي كل هذا تمامًا في الإيقاع الشرس للمستشفى.

يخبرني الجميع هنا: "تقوم بعمل جيد يا دكتور" ولكني أنكر هذا. أغرق نفسي في الإنكار، لو أصبحت أنا ميتًا، هل سيتوقف؟ إذا كنت أنا روحه ثم حدث فقدان للروح أو موت للروح، هل سيوقفه هذا؟ أم سيجعله أكثر حريّة؟

على أي حال، لستُ مغرمًا بهذا التناقضات، إن كانت تناقضات فعلًا؛ ولا أتوقع من الجميع - أو من أي شخص في الحقيقة - أن يرى الأمر كما أراه. لكنك لا تستطيع إنهاء نفسك، ليس هنا. أنا على دراية بفكرة الانتحار. بمجرد أن تبدأ الحياة في الجريان، رغم ذلك، لا يمكنك إنهاءها. لا تتمتع بحرية القيام ذلك. نحن جميعًا هنا لقضاء المدة المحددة. الحياة ستنتهي. أعرف بالتحديد ما هي المدة التي ما زالت أمامي. يبدو الأمر وكأنه للأبد. أشعر أنني فريد وخالد. الخلود يستهلكني -يستهلكني أنا فقط.

من النيران تولد بطاقة معايدة الكريسماس المرسلة من القس. في مدفأة الطبيب.

عند تقاطع الشارع الثامن والشارع السادس، في كل صباح، تظهر بركة مستديرة من المخلفات الغذائية، تشبه بيتزا مهولة من الخبز، ككارثة جسدية، تنتظر تنظيفها على يد سكران ما طوله واحد وعشرين قدمًا أو كلب مشوّه

Twitter: @ketab_n

مصاب بالمرض بسبب حجمه الغريب ليس إلّا. ولكن لا. تهبط سيدة من الفروع السوداء لسلّم الحريق كل صباح وتجمعه بإرهاق ثم تصعد إلى منزلها بإرهاق مع الأكياس الورقية: الغذاء الذي تركته لها الطيور.

كل صباح يوم الاثنين، في حجرات د .هوتشكس في الطابق التاسع، نعقد مؤتمر عن معدّل الوفيات. تنتقل الأعضاء البشرية المريضة من طبيب إلى طبيب على أواني الطعام البلاستيكية.

أصبح جون أكثر تقديرًا لأيرين. بعد العديد من المحاولات العبثية، أعقبها اغتراب قصير (مزدحم بالممرضات) ثم مشاجرة كبيرة واحدة، أعاد جون تثبيت العلاقة بينهما على أرضية جنسية. ولكني اكتشفت أن هذا لم يسعدني بالشكل الذي كنت أتوقعه. الغيرة شعور جديد عليّ، شعور مفزع جدًّا.

هل يعني هذا حدوث الأمر غير المحتمل بأن قلب جون قد ذاب بحب امرأة كريمة القلب؟ امرأة بدينة، وذات عمر محدد أيضًا، امرأة تتسامح مع كل شيء وتهتم بنا أثناء نومنا – امرأة، لنواجه الحقيقة، بمثابة أمّ لنا أكثر من كونها عشيقة؟ ظهرت نقطة التحوّل أو اللحظة الكاشفة مع إفشاء "سر" أيرين. بعد أن أذابت كلاماتها صمتًا طويلًا.

"كانت فتاة" قالت أيرين. "هي الآن مع أبوين بالتبني في بنسلفانيا. لم أستطع الاعتناء بها. لقد كان الأمر انتحارًا"

Twitter: @ketab_n

غمغم جون وقال: «هذا يجعلنا اثنين»

«هناك أمر لما أخبرك به أبدًا من قبل. لديّ طفل»

كانا في السرير معًا في تلك اللحظة، محدّقين بحزن إلى السقف. ثم أدّى أمر إلى آخر.

إنها مسألة تثير التناقض، لأن جون لا يحب النساء اللواتي لديهنّ أطفال. فهذا يعني أن لديهنّ أزواج. ليكن لديهنّ عشيقات بأي عدد يردن. ولكن لا أطفال. عندما يتحدث عرضًا إلى السيدات ذوات الأطفال، يصبح ذلك بشكل عملي أول سؤال يطرحه عليهنّ - أول اختبار يواجههن. ثم لا يحدث شيء بعد ذلك على الإطلاق. الكثير من الممرضات، الكثير من المساعدات. العديد من العاملات. ولكن لا أمّهات.

يعلم ثلاثتنا أن جون يحمل سرًا ما. فقط واحد منّا يعلم ما هو هذا السر. ولكنه لا يفشيه أبدًا، وقد يكون هذا أفضل شيء يمكن فعله مع الأسرار.

أغلب حياتنا نعمل كأطباء لأنفسنا. ليس عندما تصيبنا الشيخوخة، ويصبح كل شيء مرتخيًا ومخدّرًا، ويمنع الحياء والامتعاض من إبداء الأسئلة. وليس في أيام الشباب، عندما يكون الجسم نشوة غير مكتشفة. ولكن تمامًا بينهما. يمكنك التعرّف عليهم في المقاهي، في الأتوبيسات، المجفلين، المتسائلين، الأطباء المهتمين بأنفسهم فقط، رجال الطب والمعالجين بالاعتقاد، متخصصي التشخيص

Twitter: @ketab_n

والتخديـر، الاستشـاريين الصامتـين لأنفسـهم.

عليـك بتطبيـب نفسـك. ولكـن لا تطبـب الآخريـن. دعهـم بمفردهـم. دعهـم في شـأنهم.

إذا منحت حياة جون المعنوية سأقول:

تعـاني الأسـنان مـن سـوء الإطبـاق ويعـاني البـصر مـن الازدواج. النبـض خيطي. يكشـف الفحـص بالسماعة عـن ضيـق في التنفـس، ووفـرة في الشـخير، وكذلـك عـن تسرّع في النفـس، ممـا يوحـي بانقبـاض في الأمعـاء المنصفيـة. العينـان مصابـة بالحـول والتذبـذب الـلاإرادي، الشرايـين الوريديـة متخـصّرة وسـميكة الجـدران. المخـاط الفمـوي متـضرر، والبلعـوم الفمـوي ملتهـب. القلـب: يرتعـش، ويرتفـع، ويضطـرب، ويحتـك بدمدمـة انقباضيـة قاذفـة عـلى كلا حـدّي القـصّ. الحالـة العقليـة: متيقـظ، متكيّـف؛ الذاكـرة، إصـدار الأحـكام، المـزاج – طبيعـي.

في أثنـاء ذلـك، عـلى أسرّتهـم وعرباتهـم، يتطلـع الضحايـا بنظـرات ملهوفـة.

يمكنـك رؤيـة النجـوم في المدينـة الآن، كمـا يمكـن لـكل شـخص آخـر، ليـس فقـط النجـوم القليلـة المتناثـرة هنـا وهنـاك بشـكل جـذّاب. لا: بـل وأيضًـا الأكـوان اللانهائيـة المنتظمـة. يتـصرف معظـم النـاس كمـا لو كانـت النجـوم مرئية دائمًـا. بالنسـبة لهـم لا يمثـل الأمـر أهميـة كبـيرة. ولكـن جـون يحـب النجـوم، بشـكل يثـير الدهشـة. حيـث تتجـول عينـاه

Twitter: @ketab_n

في السماوات، يبدوان كتوأمين وأنماط النجوم وتجمعاتها. يختار البقع الليلية المحتفى بها ويشير بها للممرضة المتراخية على ذراعيه، ويسترسل في الحديث عن بعدها النسبي عن الأرض - وعن بعضها البعض. إنه أمر مثير للاهتمام. هذا النجمان تفصل بينهما نصف بوصة فقط: قد يكونا في الحقيقة مشطورين بشكل يثير الغثيان بعمق سنوات ضوئية طويلة، ولم يتحدّا إلا بالزاوية التي ننظر بها إليهما. نجم قزم، نجم عملاق... تبتسم الممرضات وتنصتن نصف إنصات، أفكارهم أقل خيالًا بعض الشيء، ولكنها أكثر محليّة. أما أنا: أنا كليّ آذان. لأن النجوم بالنسبة لي ما هي إلا غبار، حفنات ملتوية من الأتربة. ومع ذلك أشعر بنارها. كم تحرق النجوم بصري.

أصبحت بعض العلاقات العاطفية تبدأ الآن بإجراء طبي. يبدأ جون بإحضار عمله إلى المنزل. لا مكان هنا للاختباء. لا مكان هنا للتدلي في الظلام.

تصل هؤلاء الصديقات المحتملات بهدوء. يستقبلهنّ جون بعد أن يستعد. يشعرن بالبرد، يرتحن قليلًا ثم يبكين لبرهة ويصعدن إلى المنضدة المطهرّة. يتخذن النصف الخاص بهن في الوضع الجنسي التبشيري، رغم أن جون مشغول بالطبع في مكان آخر، بالحوض الحديدي الممتلئ. وبمساعدة جفت ومنظار طبي يقوم جون بزرع مشيمة مستطيلة الشكل وطفل طوله نصف بوصة له قلب وليس له وجه. يستمر في تهدئة المرأة. يجب أن تتحلينّ بالهدوء.

Twitter: @ketab_n

ينزف الحوض الممتلئ. ثمّ الفحص الرقمي ومسح الجلد. في استطاعتهنّ النزول الآن وشرب شيئًا ما، ثم التحدث في همس. يقلن وداعًا. سيراهنّ قريبًا. خلال ثمانية أسابيع تقريبًا في المتوسط.

لي أن أستنتج مبدئيًا أن هؤلاء هم الرضّع القنابل الذين يظهرون في أحلام تود فرندلي. أصبح الأمر مفهومًا الآن. الرضع أقوياء بشكل عاجز. هذه هي القوة التي يتمتعون بها: الأهمية الفانية لأن لا يعرف مخلوق بوجودهم هنا. من الناحية الطبيعية، توجد بعض التناقضات: في واقع اليقظة فإن الأم هي من يجب أن يتحلى بالصمت، وليس الرضيع. وهؤلاء الرضّع ليسوا قادرين على الصراخ: لديهم قلوب ولكن لا وجوه لديهم، لا حلوق، لا أفواه للبكاء. ولكن الأحلام تمضي هكذا عادةً، أليس كذلك؟ تتمتع الأحلام بانحرافها الخاص.

على أي حال، أصبح جون يونج، الذي يصارع يوميًا عاصفة من الأرواح تتناثر في الريح كأوراق الشجر، يرتدي معطفه الأبيض - بدون حذائه الأسود. يرتدي حذائه الرياضي، أو حذائه المسطّح، أو بالطبع ذلك القبقاب الخشبي الذي اعتاد ارتداءه.

بالقرب، تدوي سارية الإسعاف كرضيع مجنون، يرتفع صوتها بينما تمرّ بنا وتتخذ طريقها مبتعدةً عبر الطريق.

ببساطة، فإن المستشفيات ما هي إلا مكان لإنتاج

Twitter: @ketab_n

الفظاعـات. الفظاعـة تتلـو الفظاعـة، بشـكل لا يمكـن إيقافـه. كمـا لـو كانـت كل فظاعـة جديـدة ضروريـة لإضفـاء الشرعيـة عـلى الفظاعـة السـابقة. كمـا لـو كمـا لـو كانـت كل فظاعـة سـابقة ضروريـة لإضفـاء الشرعيـة عـلى الفظاعـة التاليـة. توقـف الآن و... ولكنـك لا تتوقـف أبـدًا.

الفظاعـة تلـو الفظاعـة، ثـم فظاعـة أخـرى، ثـم مزيـد مـن الفظاعـات.

ولكنـني سـعيد أن مـا يلامـس أجسـادهم فعـلًا ليـس جسـدي أنـا. سـعيد لأني أمتلـك جسـده، كوسـيط بيـني وبينهـم. ولكنـني الآن أتمـنى لـو كان لـديّ جسـدي الخـاص، جسـد يسـتطيع تنفيـذ أوامـري. أتمـنى فقـط لـو كان لـديّ جسـد، لـو كانـت لـديّ أداة للتعبـير عـن الإرهـاق، أو أكتـاف تنحـني، أو رأس يرتـد للخلـف لمواجهـة الشـمس، أو قـدم تجـرّ نفسـها، أو صـوت يتألـم أو يتنهـد أو يطلـب العفـو بنغمـة مبحوحـة.

لا أفهـم الأمـر تمامًـا في الحقيقـة. مـا زالـت أيريـن تـأتي إلى الشـقة ولكننـا لـم نعـد نراهـا أبـدًا إلا صدفـة. انتهـى الأمـر. تبـدو مبتهجـة: يبـدو عليهـا عـلى الارتيـاح. تـأتي إلى هنـا مرتـين أسـبوعيًا في زيـارات قصـيرة انتقاميـة لنـشر الغبـار في المـكان، وتلطيـخ كل الأطبـاق، وبعـثرة الفـراش. ثـم تـترك أربعـة دولارات عـلى منضـدة المطبـخ - رغـم أن المبلـغ انخفـض بعـد ذلـك إلى ثلاثـة دولارات وخمسـين سـنتًا.

لا أفهـم الأمـر. في المستشـفى تكافـأ ضحايانـا بالمـال. بينمـا

Twitter: @ketab_n

أدفع أنا للمستشفى. وتدفع أيرين لي. لا أفهم هذا. هل نحن عبيد جميعًا؟ هل نحن أقل من العبيد بشكل ما؟

لن يصدقوني، حتى لو أخبرتهم بالحقيقة. سيبتعدون عني، في امتعاض وازدراء.

أبدو كالطفل المأخوذ من المرحاض. لديّ قلب ولكن لا وجه لديّ: ليس لديّ عينين أبكي بهما. لا أحد يعرف أنني هنا.

هل هذه هي الحرب التي نخوضها، حرب ضد الصحة، ضد الحياة والحب؟ أصبح وضعي ممزقًا. أشهد عملية التخلص من الوجود يوميًا. أرى وجه المعاناة. وجهها الهائج والنائي والقديم.

هل يوجد تفسير مباشر لهذا الإنهاك المستحيل الذي أشعر به؟ تفسير مباشر وبسيط جدًا؟ إنه إنهاك فانٍ. ربما أكون متعبًا بسبب الكائن البشري، هذا إن كنت أنا بشرًا. أشعر بالتعب من الكائن البشري.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

4

افعل ما يمكنك فعله بأفضل شكل، وليس ما يتوجب عليك فعله

أبحرنا إلى أوروبا في صيف

عام *1948* – إلى أوروبا، وإلى الحرب.

حسنًا، كنت أودّ أن أقول نحن، ولكن جون

يونج أصبح الآن وحيدًا جدًّا هناك.

في عام 1959 تقريبًا، أو ربما قبل ذلك، حدث نوع ما من الافتراق والتشعّب. كنت ما زلت أعيش بهدوء في الداخل مع أفكاري الخاصة. أفكاري التي كانت تتجول بحرية عبر الزمن.

تصطخب السفينة التي نحن عليها بجميع اللغات والألسنة الأوروبية، تحت السماء الفسيحة وسحبها الركامية التي تشبه حديقة حيوانات – نمورها الجليدية ودببها القطبية. على السطح السفلي للسفينة، حيث يستقر جميع الركاب، ينتشر شعور بالسعادة الصافية والصارخة. يبحث الوجه البشري، عندما يكون سعيدًا، عن زاوية معيّنة: ربما يمكنك تحديدها – ثلاث عشرة درجة مثلًا، على المستوى الأفقي. تتسم السعادة كذلك بوحشيّتها المميّزة: الحق في الحياة والحب، الحق الذي تتمسك به بشراسة.

Twitter: @ketab_n

دائمًا ما يكون جون يونج ذكيًا ووسيمًا بشكل خاص عندما يزور السطح السفلي من السفينة لقضاء جولاته الهادئة، صباحًا ومساءً، بعكاز مغطّى بالعاج، وحذاء أسود لامع وسيجار وجيه. حيث يتهادى، بشكل موحش تقريبًا، على طول الساحة السفلية، مارًا بتجمعات العائلات، والأمهات الصغيرة، وأصوات الرضّع البكائية. بكاء الرضع: كلنا يعرف ما يعنيه هذا البكاء، مهما كانت لغته. بدا الجميع فجأةً وكأن كل منهم يحمل رضيع واحد على الأقل. كما لو كان بغرض إخفاءهم بأمان، قبل التجدد العنيف للحرب.

في بداية الأمر، بدت الرحلة وكأنها هروب، أو معركة. تطلّع إلينا البحر حينها بمليون عين، ومليون شاهد على طريقنا. بعيدًا عن رغبتي في إيقافه على يد ممثلي القانون أو أي شيء آخر (وهو ما لم يحدث)، لم أعر انتباها كبيرًا، أو اهتمامًا، بتحضيرات جون السريّة والمتقنة للسفر - سلسلة المقابلات مع القس كريدتور، على سبيل المثال. لم أستيقظ في الحقيقة حتى اجتزنا الرحلة القصيرة بالقارب إلى إليس آيلاند. بالطبع، قبل ذلك بشهور، كنت قد استغرقت بكآبة في التفكير في احتمالية حدوث انقلاب كبير في أوضاعنا، بسبب ما كان يحدث لجلد جون. في البداية كان متوهجًا وشاحبًا؛ ثم تغيّر لونه بشدّة أثناء الربيع البارد، من مسطردة الهوت دوج إلى زبدة الفول السوداني. يا للمسيح، فكرّت. مرض الصفراء ربما!

ولكني أدركت الأمر فجأة: لقد كان مجرد اكتساب للون

Twitter: @ketab_n

البرونـزي للبشرة. جمعـت اثنـين إلى اثنـين. غالبًا ما يتبنّى الناس هـذا الأسـلوب قبـل العطـلات الراقيـة في الأماكـن المحليـة الغريبـة، فكـرة مـرض جـون، فكـرة إصابـة جـون بمـرض مـا: هـذه أخبار جيّـدة. ولكـن نشـاطه، هـذه الأيـام، يتّسـم بـشيء مـا وحـشي وعديـم اللياقـة. أصبـح لسـانه ورديًـا. أصبـح بهيميًـا - لا يمكـن تشـخصيه طبيًـا. بيـاض عينيـه لاذعًـا كجليـد طـازج. جـذع جـون يشـبه الآن بشـكل كبـير واحدًا مـن تلـك الانتصابات الإعجازيـة. في أي لحظـة وبـدون أي تنبيـه يلقي نفسـه إلى الأرض ويقـوم بمائـة ضغطـة. «تسـعة وتسـعين»، تسـمعه يغمغـم مـن بـين أسـنانه، بشـكل متقـن تمامًـا. «ثمانيـة وتسـعين. سـبعة وتسـعين. سـتة وتسـعين». حـتى أثنـاء الوجبـات، عـلى منضـدة قبطـان السـفينة، يقـوم دائمًـا بشـدّ عضلاتـه وأوتـاره. وفي أسـفل المنضـدة ترتفـع قدميـه وتهبـط بسرعـة مسـتندةً عـلى باطنهـا. أصبـح جسـد جـون يرتعـش بشـكل أعمـق مـن السـفينة نفسـها. سـتبدأ الحـرب في وقـت محـدد سـلفًا، كمبـاراة كـرة. عمر جـون الآن واحـد وثلاثـين عامًـا.

لدينـا الكابينـة الخاصـة بنـا، وهـي مـسرح لارتـدادات متعددة للصـدر وثـني متكـرر للركبـة، وتقـع في مسـتوى السـفينة (أ). توجـد أيضًـا تدريبـات جماعيـة عـلى مسـتوى السـفينة (ب)، حيـث يقـوم جـون بالتدريـب مـع صرّاف داكـن البـشرة اسـمه توليـاتي. نقـوم بارتفاعـات قافـزة، وبعـض مـن تدريبـات قفـز الحبـل الارتجاليـة. في المقابـل، يفضـل الـركاب، مسـاءًا وصباحًـا، وأثنـاء أوقـات التريّـض (البدلـة، العصـا)، التجمّـع

Twitter: @ketab_n

في النهاية الحادة من السفينة، متطلعين إلى المكان الذي جاءوا منه، كما يفعل الناس عادةً. فقط جون هو من يظهر دائمًا على مؤخرة السفينة، متطلعًا إلى المكان الذي نرحل إليه. مسار السفينة مرسوم بوضوح على سطح الماء ويستهلكه تقدمّنا بعنف. لذلك فنحن لا نترك أي أثر على المحيط، كما لو كنّا نغطي آثارنا بنجاح.

ويبدو أننا ننجو من عواقب هذا الأمر أيضًا، نغمة شعور جون مبتهجة: يبدو عليه الارتياح بشكل رائع. ولكن إذا وضعتني على المنضدة أو العربة في غرفة العناية المركزة - نقطة الضوء على رادار عاكس الذبذبات في الغواصة (كشفرة مفقودة)، جهاز التنفس كثير التنهد - فستجد أنني أتحرك، أنني أستمر في الدوران بلا نهاية. لم أنجو من عواقب هذا الأمر. كنتُ على وشك النجاة، قضيت وقتًا طويلًا مع المعاناة وأنفاسها الكيمائية ذات الرائحة الكريهة؛ وجهها وحشي، ونائي، وقديم. المستشفى، التي تطنّ بفتور - ما زلت أتذكر كل هذا. تذكّر يومًا ما يستغرق يوم مثله. تذكّر سنة يستغرق سنة مثلها.

شيئًا ما يئنّ في محركات السفينة. تسعل وتختنق وتتقيأ، والأدخنة التي تغذي مداخن السفينة كثيفة وقاتمة جدًّا. يأتي قبطان السفينة في زيارة وديّة أثناء العشاء ويعتذر بإنجليزيّته المثيرة للسخرية. لأيام ممتدة لا نفعل سوى التقدّم بتخبّط ويأس، أو صنع دوائر هائلة في اتجاه عقارب الساعة. طيور النورس القبيحة ترفرف بشكل عكسي، لتحمي

Twitter: @ketab_n

نفسها من السقوط عبر السماء. يدخّن جون، كالسفينة تمامًا، ولا يبدو أن الركاب معترضين على ذلك. وهذا يعجبني جدًّا، إحساس التوقف والتعلّق، بعيدًا عن اليابسة ووسائل إيقاع الأذى. في المساء، ينام جسد جون نافذ الصبر. أستمع إلى الأمواج وهي تتفكك ضاربة جانب السفينة الساكنة.

البحر الضارب في جانب السفينة يبدو لطيف ولكنه غير مخلص، أشعر أنه يميل للخداع كثيرًا.

مع برنامج اللياقة الجديد لجون، وهواء الأطلنطي الترحيبي وكل الأمور الأخرى، توقعت بيني وبين نفسي نوعًا من التجديد الفاتر. وهو ما لم يحدث في الحقيقة. رغم ذلك، لم أتمكن من منع نفسي من الاستجابة، روحيًا على الأقل، للفرحة العامة عندما رسينا في لشبونة؛ وحتى جون أسلم نفسه بشكل جاف إلى الأحضان العطرة المتكررة. ثم تهادت السفينة هناك لساعات، في بحر ضبابها الخاص من نفاذ الصبر والترقب. بكسل حدّقتُ في السطح الزيتي المهلك للماء، الذي لا يستطيع أي كائن أن يعيش فيه، وإلى الجماهير المرحّبة على رصيف الميناء، حيث بدت وكأنها تطفو وتسبح كسمكة استوائية. أيًا كان الأمر، غابت الإرادة والحيوية مرةً أخرى. في الحقيقة، اختفتا تمامًا لمدة أسبوع على الأقل، بينما قام جون بتسجيل الدخول إلى الفندق ثم تجوّل في المدينة يبعثر الأوراق والرخص والرشاوي وكل الهراء الآخر التي تتعامل معه أثناء خلق هويّة جديدة. انتهينا من الموضوع بشخصية سائق مؤقت، وربح طيب، واسم

Twitter: @ketab_n

جديد من الدرجة الأولى حقًا: هاميلتون دي سوزا. أفترض أن موضوع الهويّات هذا هو نقطة الضعف الأكبر لدى جون، وتود، وهاملتون فقط، وليس لدى الجميع. ورغم ذلك، انظر إلى الخارج، إلى التلال الخالية من الشوارع، إلى المتنزهات البريّة القائمة خلف قضبانها، وإلى الناس كلهم. لا بدّ أن هذه الجماهير تتعامل في حياتها اليومية بأسماء مستعارة، بأسماء حركية. الجماهير التي ستستغرقها الحرب قريبًا. استخدمنا ثلاثة أسماء بالفعل حتى الآن. يبدو أننا قادرون على التعامل مع الأمر بشكل جيد. بعض الناس رغم ذلك - يمكنك رؤية هذا في وجوههم -لا يحمل اسم على الإطلاق.

أصبحنا أنا وهاميلتون مستقرّين بشكل كامل الآن، في فيلتنا معقولة الحال، مع خادماتنا الثلاثة، بالإضافة إلى الجنايني تولو، والكلب بوستوس. الذي يستلقي في وادي غير عميق على بعد بضعة كيلومترات شمال ريدوندو. استمع: هنا ترعى الماعز، الاضطراب الخافت للأجراس المعلقة على رقبتها، يقودها فلاح في رداء أبيض. الماعز أبيض اللون أيضًا، قطيع صغير من الأرواح. صيحات الراعي العابرة مليئة بالحزن البرتغالي، بالإنسانيّة البرتغالية. يحضر المحامي البدين، الذي أعتقد أنه وكيل، مرتين في الشهر للتحادث معنا بإنجليزية رسمية ومحدودة. تشعر الطيور بالإثارة في حديقتنا وبمشهد الأزهار التي تلتمع حولنا في أحواضها.

Twitter: @ketab_n

يقول الوكيل: «رائعة جدًا».

يقول هاملتون: «نسميها بتّ القافزة».

«فاتنة».

يشير هاملتون بإصبعه: «سوزان بنيّة العين».

«جذابة جدًا».

«جون-يذهب-إلى-الفراش-ظهرًا».

عند أقدامنا، من العشب الأخضر، ينطلق طائر أسود ضخم مصطدمًا بالهواء.

وحولنا على مسافة متوسطة، في نقطة ليست أقرب أو أبعد من أي مكان آخر يمكن الوصول إليه، تستوي ملاجئ أخرى من الجصّ والنباتات. يعجبني الوضع هنا. حيث تشرق الفيلات باللون الوردي والأصفر على الأرض القاحلة، كمتاجر للحلوى على المريخ. كان الضوء بلون الذهب الزائف.

لدينا ثلاثة خادمات، آنّا ولورديس وروزا، الفتاة الغجرية، التي سأتحمل التزام بالعودة تجاهها مستقبلًا. أنا على دراية بموضوع الخادمات هذا، لأنه كان لديّ واحدة من قبل: أيرين. أوه، أيرين!... المسألة مع الخادمات هو أنك دائمًا ما تضطر إلى التنظيف ورائهن، ولكن ليس بشكل مكثّف، هذا صحيح، كما أنهن مهذبات بشكل مفزع. الخادمات فقيرات، يمكنني القول أنهن مفلسات - أعني معدمات.

Twitter: @ketab_n

يعطين ما لديهنّ من مال إلى الوكيل؛ رغم أنهن يجدن مبالغ إضافية صغيرة دائمًا لإعطائها لي. روزا، الفتاة، تتمتع بإصرار من نوع خاص. نقبل هذه المستحقات بالتماعة عينين تشير إلى السيادة. لا أحد يقول أن ذلك كان عدلًا، ولكنه مفهوم على الأقل. ما طبيعة هذه الخدعة التي يقدمها المال؟ المال، الذي قد ينمو على الأشجار أيضًا؟ يصبح جميعه بجودة القمامة الخاصة بك. فعلتها الحكومة في نيويورك. بينما نفعل هنا نفس الشيء بأسلوبنا. تولو الجنايني، مع بوستوس الكلب المتوازن بتوتر بجواره، على العربة التي يجرها البغل: يذهبون إلى مدفن نفايات القرية. أو نعتمد على النار بدلًا من ذلك. الجودة ليست هي الكمية. القمامة الخاصة بنا هي قمامة من نوع فاخر. روزا، الأفقر من بين كل الخادمات، تعيش في مخيّم للغجر على المنحدر عند الطرف البعيد من القرية. أحيانًا ما نسير في ذلك الاتجاه، في الأمسيات، وننتظر قليلًا، ثم نسبقها بحذر عندما تبدأ في تسير إلى الفيلا؛ لا تدير وجهها أبدًا، ولكنها تعرف أننا هناك. المخيّم مصنوع من القمامة ولكن أي منها غير صالح. القمامة. أنا سيّدها. بينما هي سجينتها أو جاريتها.

هل كانت لنا أي هوايات؟

حسنًا، التمشية. اكتشفت أنها تصبح ممتعة مع الأردية القطنية والصوفية وقبعة الصيد، بينما يتقافز بوستوس عند أقدامنا. تروق لي فكرة أن الحيوانات قد تضمّ بين

Twitter: @ketab_n

جنباتها أرواح الآله. يمكنك تصديق هذا في القطط. أو في البغال. ولكن يصعب تصديق ذلك بوستوس مثلًا، بهيجانه وجلده المتراخي، وعينيه ذات النظرة المتضرّعة. الفلاحون بوجوههم الكالحة، والنساء المثقلات بالأحمال المرتديات السواد، يقدمون التحية الخاطفة بصوت أجش، ويردّ عليها هاملتون دي سوزا بحيوية. حيث تمكّن من إجادة اللهجة المحلية سريعًا، بينما لم أعرف أنا منها سوى كلمة لنا البرتغالية. هناك لعبة أخرى نمارسها أنا وبوستوس، باستخدام كرة التنس الغارقة في اللعاب الخاص به؛ حيث يحبّ بعثرة هذه المضارب كثيرًا. بينما يقف المخيّم غارقًا في القذارة عبر الوادي، وحتى المنحدر.

وبالنسبة لأعمال التشجير أيضًا، فلا نقوم بشيء بنفسنا تقريبًا، كما كان الحال في ويلبورت. وإنما نقف أمام هيئة تولو المنحنية ونشير بعكازنا. الزهور ممتعة ولكنها فظّة بشكل مرعب. مع كل هذه الانفجارات الوردية والقرمزية.

هوايتنا الأخرى هي الذهب. نجمعه. نكدّسه. ومرة كل شهر تقريبًا، بمساعدة الوكيل، نقود السيارة إلى لشبونة لنزور عجوز أسباني عجوز في مكتبه في فندق دي لوكس. لدينا المال اللازم الذي استلمناه من الوكيل. نقوم بعدّ أوراق البنكنوت المزخرفة ونسلمها عبر المنضدة. لاحقًا، بعد إتمام الرجل العجوز للفحص، والوزن، واللفّ في فوطة تركوازية اللون، نحصل على الذهب الخاص بنا، في سبائك صغيرة بحجم أزرار القميص. عادةً ما تغرق هذه

Twitter: @ketab_n

المعاملات في بحور من الإعياء والعار والامتعاض الحالم. نجلس هناك، متعبين تمامًا. الأثاث البني الثقيل، والسيد مينيني: عدساته العينية، واللحام على أسنانه، وموازينه المتربة. أزداد أنا وهاملتون غنىً بالذهب.

هل يمكن أن تُعتبر روزا هواية؟ هل تصلح لذلك؟ نظرة واحدة إلى روزا، بينما تسير إلى البئر في ثوبها المهلهل الوردي، بينما يتباطأ دم هاملتون في عروقه ويتجمّد، ويمتلئ شعره بالطنين. يبدو أنه يودي بنفسه مباشرةً إلى ذلك الموضوع: الحب من أول نظرة.

في نفس اليوم الذي حضرنا فيه إلى هنا حاصرها في حجرة غسل الأطباق واحتضنها بالدموع في مآقيه، قائلًا بالبرتغالية: أعبدك، أعبدك. كانت روزا ورديّة وملوثة؛ قاتمة البشرة ومع ذلك متورّدة. أحد مهامها كان ملء جرّة البول في غرفة هاملتون كل صباح. عادةً ما يكون مرتديًا الجزء السفلي من بيجامته فقط، ومنغمس في حلاقة ذقنه، عندما تمرّ هي عبر الباب. ببطء يستدير نحوها. بينما تنحني هي بإحراج لتضع الجرّة الثقيلة أسفل السرير. تغادر وعينيها في اتجاه الأرض قائلةً بالبرتغالية: يوم سعيد. بصراحة، لقد افتقد هاملتون رحلات القارب مع روزا. إنها صغيرة جدًّا بالنسبة لهاملتون – وبالنسبة لأي شخص آخر في الحقيقة، ربما باستثناء أشقاءها ووالدها وأعمامها وما إلى ذلك، أو هكذا يفكّر هاملتون (أعرف هذا) عندما يدور حول المخيّم عند الغسق. في الأسبوع الماضي احتفلت بعيد

Twitter: @ketab_n

ميلادها الثالث عشر، لذلك فهي الآن في الثانية عشر فقط. يراقبها في الفناء مع رداءها ودلوها، وهي تركع للتعامل مع الأطباق النظيفة. انحناءة ظهرها، الطريقة التي تمسح بها جبينها. تبدو، في ملابسها الرثة النورانيّة، ورديّة ومسحوقة، تمامًا كتجويف فمها، الأسنان ما زالت بيضاء وصغيرة. قريبًا، لملء هذه التجاويف، ستنمو لها بعض الأسنان اللبنية، بعد شراءها من جنيّة الأسنان... عن ماذا يبحث هاملتون في النساء؟ الأم، البنت، الأخت، الزوجة؟ أين زوجته؟ من الأفضل أن تظهر قريبًا بينما ما يزال هناك متسع من الوقت. تمنح روزا هاملتون العديد من الهدايا، ولكنه يذهب ويسترد ثمنها بغرام أثناء جولاته في لشبونة.

رغم ذلك، فإن الجسد الذي يهتم به هاميلتون هذه الأيام هو جسده الخاص. أصبح جسده هوايته الخاصة. جسده هو عشيق جسده. أيّ حب هذا، بين الطرف العلوي والقلب الخارجي. يا للمسيح، ليس الوضع كأيام ويلبورت على الإطلاق: حينها لم يكن هناك سوى تود العجوز المسكين وساعات انتظاره لنفسه، وإخفاقاته الفردية. الأمر ببساطة أن هاملتون لا يستطيع نسيانه، لا يستطيع نسيان جسده. يدفعك هذا إلى الاعتقاد أنه لم يتمتع بأي جسد في حياته من قبل. أثناء سيره عبر المنزل، تراقبه المرايا. تراقب جسده، جسده هذا: هذا الجسد الذي يعتني به ويميته ويفحصه بدهاء في كل ألعاب المرايا المتموّجة في البرتغال.

Twitter: @ketab_n

توجد قصائد موجّهة إلى روزا، يتناولها هاميلتون من سلة القمامة. بعد إحضارها في سلة مخلفات الأوراق القبيحة على يد لورديس المنحنية. لا تزيد أي قصيدة عن سطرين أو ثلاثة.

روح الأميرة في أسمالها الغجرية،

مكتوب في القدر أن تتآكل في كوخها المتواضع...

و كذلك:

روزا، التي تنشد براءتها النجاة!

أين هو الفارس الذي سينقذها؟

نعم، أين هذا الفارس؟ هذه الأسطر التي ينشدها ثم يمسحها بعد ذلك مستخدمًا قلمه، بكآبة أحيانًا وبالدموع أحيانًا أخرى - صورة جيّدة، ربما، لخجله المزمن من نفسه.

أصبح جسده الآن يطلق تلك الإفرازات الوردية اللون التي يقوم بتعبئتها لاحقًا ومنحها للوكيل مع حزمة من أدوات التنظيف الشخصية الأخرى.

عندما يخرج من المنزل لانتظارها في الأمسيات، أحيانًا ما أفكّر: إنه لا يحب روزا فعلًا. إنه لا يحب إلا المخيّم. الموسيقى الشاعرية والهائجة والألوان العبثية، الجمال والمرض تحت ضوء الذهب الزائف، السلّ والزهري، الحرائق التي تظهر عبر الفروع كأدمغة مضيئة، الحشرات الأكّالة المتوهجة في العيون والأفواه، السلوك الصبياني وكل تلك

Twitter: @ketab_n

القمامة عديمة القيمة. يرغب في فعل شيء ما في المخيّم. ما هو؟ هنا في البرتغال لا يتظاهر أنه طبيب، ربما كان ذلك من الحكمة، حيث يمضي في طريقه بدون الالتفات إلى أي شخص مريض أو مصاب، لورديس مثلًا بحالات الحمى الدراماتيكية التي تصيبها أو ركبة تولو المصابة بالتهاب المفاصل، وحتى روزا بسحجاتها والتواءاتها. يترك كل هذا للرجل المحلي: الرجل المحلي باعتماده المرتعش على بضعة أدوية قانونية يسخر منها هاملتون بصمت. ولكنه يرغب في القيام بشيء ما للمخيّم. يرغب في تطبيبه.

العقل والجسد يستعدان للحرب. الجسد أثناء ساعات المشي، بعربداته الذاتيّة وقوانينه الخاصة. والعقل في الليل. شيئًا ما يفترسه أثناء النوم. تأخذه المفاجأة بالعودة إلى الوعي، وحيدًا في نصف الكرة الأسود، فيبكي حتى الضحك؛ ثم يستخدم جرّة البول التي أعدتها روزا، ثم يعود للنوم سريعًا رغم الألم. عند خطوة ما من خطوات الرقصة المتصلّبة لنومه القلق يمكنني الشعور ببدايات إعادة ترتيب جذرية، كما لو أن كل شيء سيء سيصبح جيدًا قريبًا، كما لو أن كل شيء خاطىء سيصبح صحيحًا قريبًا. لابد أن أعترف أن حلمه المتكررة الجديد، ببساطة شديدة، لا يبدو مشجعًا بشكل خاص، ولكني أعتقد أنه متناقض ويمكن تفسيره بطريقتين. يحلم أنه يتغوّط العظام البشرية... بينما أتطلع أنا، أحيانًا عندما تختفي النجوم من السماء، إلى أعلى وأبحث عن الشك المبهج بأن العالم قد يكتسب

Twitter: @ketab_n

بعـض المنطـق قريبًـا.

في ظهـيرة أحـد الأيـام الحـارّة نزلـتُ مـن غرفـة نومـي بعـد قيلولـة قصـيرة ومرهقـة، لأرى الوكيـل يتوقـف بسـيارته البـاكارد العجيبـة. أخبرنـا بتجهّـم، أثنـاء تناولنـا لـكأس مـن الكونيـاك، باستسـلام اليابـان. لاحظـت أن لورديـس وآنّـا قـد دمعـت مآقيهمـا ورسـما علامـة الصليـب عـدة مـرات. أخـبرني الوكيـل بشـكل اعتـذاري بالمخـاوف الـتي لا أسـاس لهـا الـتي يبديهـا هـؤلاء البسـطاء. نهايـة العالـم. (*A bomba atómica*) القنبلـة النوويـة... أصابـني الذهـول إذًا! لقـد فعلوهـا. اضطـروا للمـضي قدمًـا وإنجـاز الأمـر. في اللحظـة الـتي بـدا فيهـا القضـاء عـلى العالـم ممكنًـا. لـم يتمكنـوا مـن المقاومـة. حـرب نوويـة محـدودة... بشـكل فـظّ بعـض الـشيء، ربمـا، قـرر هاملتـون اصطحـاب بوسـتوس لبعـض اللهـو وتركهـم جميعًـا يتعاملـون مـع الأمـر بمفردهـم. عنـد عودتنـا كانـت الوكيـل قـد رحـل والنسـاء قـد هـدأن، بخـلاف بوسـتوس، ذلـك الجـرو الأحمـق، الـذي يـدور حـول قدميّ ويسـمّرني في مكاني بعينيـه الحزينـة.

وهنـاك الـبرودة المتزايـدة في أرجـاء المـنزل. المشـاعر تنسـحب مـن جنباتـه. هـذا مـا ينبغـي أن تكـون الأمـور عليـه. روزا، الـتي مـا زالـت تعمـل لدينـا، هربـت بأمـان إلى مرحلـة الطفولـة. لـم تعـد التحديقـة الـتي يرسـلها هاملتـون تجاههـا تتحـرك بنعومـة بـين وجههـا، وأسـمالها الورديـة. أصبـح هـذا ملائمًـا. سـنكون قادريـن الآن عـلى وداعهـا بإيمـاءة سريعـة، بانحنـاءة ضئيلـة في الاتجـاه الـرأسي. لـن أفتقـد بوسـتوس، فقـد

Twitter: @ketab_n

أخـذه الوكيـل بعيـدًا منـذ شـهور.

لـم تكـن الحـرب قادمـة نحونـا. لـم تكـن الحـرب قادمـة لالتهـام قريتنـا. كان مقـدرًا لنـا أن ندخـل فيهـا نحـن عنـوةً - باسـتخدام مـا يسـمّى بالشـق الجراحـي. بعنايـة بطيئـة.

لـم نأسـف كثـيرًا عـلى وداع البرتغـال وإيقاعهـا الثابـت مـن المـآسي والمهرجانـات، وأرصفـة موانيهـا، وتحديقـة الوكيـل الخاليـة مـن المعـنى. فعلنـا مـا يمكـن فعلـه بالنظـر إلى الظـروف المتوفّـرة عـلى الباخـرة البائسـة. في الحقيقـة فـإن هاملتـون نفسـه، الـذي عـادةً مـا يكـون ذكي جـدًّا ووسـيم جـدًّا عندمـا يسـافر، بـدا متجهمًـا وقدريًـا كالجميـع. كان هنـاك حـوالي عـشرون مسـافرًا (لـم تكـن هـذه سـفينة ركاب) ونمنـا في مطعـم الباخـرة، عـلى المصاطـب وكـراسي السـطح، يزدرينـا طاقـم الباخـرة بشـكل كبـير، كلٌ منـا مـع متعلقاتـه، أو مـع سرّه، مسـحوق كعشـيق بـين ذارعيـه يهمـس لـه بـكل لغـات أوروبـا... اللغـة الأخـرى، مختنقـة في حلـق هاملتـون. تصعـد إلى السـطح. ترتعـش داخلـه... لا نتحـدث مـع أحـد بالطبـع: لا شيء سـوى التنهـدات والإيمـاءات والتقطيبـات، والتنـازلات عـن الحـق في الـكلام. يلعبـون الـورق طـوال اليـوم. إنهم أشـخاص تافهـون مـن طبقـات اجتماعيـة متدنيـة، مـا الـذي تريـده الحـرب منهـم؟ يبـدو عليهـم الخـزي الكامـل. أمـا نحـن، فلدينا الذهـب، مخـزّن عـلى حـزام ثـانٍ أسـفل قميصنـا، ضاغطًـا بقـوة عـلى عالمنـا السـفلي.

طالمـا فكّـرت في إيطاليـا كموطـن روحـي ومعنـوي بالنسـبة

Twitter: @ketab_n

لي. ثم جاءت خيبة الأمل الأولى في ساليرنو. أقمنا في نُزل رخيص رأى صاحبه أنه من المناسب أن يطردنا طوال ساعات ساعات النهار؛ بالتنزّه خارجه، خصصنا وقتنا للذهاب إلى الكنيسة والدخول في مشاجرات غير منطقية مع الشرطة الإيطالية. واكتشفت أن هاملتون، رغم الالتزام الذي أظهره في الوقت الذي قضيناه في ويلبورت، لا يحب الكنائس بشكل كبير. فهو يجلس في أول مقعد يقابله ثم ينظر بشبق إلى الباب كل عشرين ثانية مع أكثر التنهدات عبوسًا. اقترب من المذبح ذات مرة وأطفأ شمعة على الصندوق القائم هناك، ثم وضع في جيبه بعض العملات غير الملحوظة: نظرة خاطفة واحدة إلى المسيح المصلوب، الجثمان المعبود: شكل إنساني منحني كفرع شجرة تغيّر شكله بعد خضوعه لآلام الجحيم الممتدة. فوق رأسه، يقع مرصد ضوئي مهمل. ثم الخروج مرةً أخرى إلى الهواء المفتوح حيث تنتظر الشرطة الإيطالية و العروض الرديئة لفرق باباتشيري وبابيري

مخاطر العبثية تهيمن على رحلتنا إلى روما، المركبات السوداء المتحركة والخيالية، والمحطة الرئيسية التي تشبه ما هو ضد الكاتدرائية مع زجاجها الملطّخ بالسناج وبرودتها التي تشبه القبو، ورائحة قشور الطين والعوارض الخشبية للورثة. بشجاعة اتخذنا طريقنا خلال الفوضى التي لا تصدق في الشوارع: الرجال بأحذية مصنوعة من لحاء البتولا الفضي، النساء ترتدين الأجولة والسجاد، الأطفال

Twitter: @ketab_n

في أردية أعياد ميلادهم المتربّة: بالنظر إلى وجوههم: يبدون كأشخاص في طريقهم إلى المستشفى، كما لو كانت الحياة غريبة بشكل يثير القلق والإغراء في نفس الوقت. هذا التوحّد في الذهول والارتباك. لا مشكلة في الأمر، أرغب في القول لهم جميعًا. سننجح جميعًا في تجاوز الأمر. لن يختفي أي شيء. بل وستظهر أشياء. ترحيب من القلب - ووجبة غداء خفيفة - في انتظارنا في الدير (الفرنسيسكان) في طريق سيسيليا. بعد ذلك انطلقنا إلى الخارج مرة أخرى. إلى أين؟ مكان آخر. الفاتيكان مثلًا.

انتظم وجودنا هناك بشكل كبير، بعد أن أقمنا لتسعة صباحات متتالية، ضمّت يومي أحد، فيما وراء أبراج الرماية، عبر الحدائق، ثم حتى نهاية الممرات المزدحمة بالغنائم، مع الصناديق الزجاجية المملوءة بالحلي التافهة وقطع الزينة، ومستطيلات اللوحات الزيّتية والنسيج المزركش والخرائط المزخرفة التي تمرّ أمام أنظارنا - حتى الوصول إلى غرفة الانتظار. في الحقيقة، فإن الأب دوريا، وسيط الاتصال الخاص بنا، رجلنا، دائمًا ما يكون في انتظارنا فور وصولنا، ولكن هذا لم يمنع هاملتون من التجوّل لساعات بعد ذلك في حجرة الانتظار. متوتّرًا، وصموت، على الكرسي المجاور للمنضدة ذات حوض الأزهار وطبق التفاح المشقوق. كان الأب دوريا أيرلنديًا. حرارة وجهه المتفشية مستقرّة في أنفه؛ التي انطلقت منه، فيما يبدو، عروق لولبية من الدماء إلى عينيه الرمادية الغارقة في شعور

Twitter: @ketab_n

النـدم. فمـه أيضًـا كان مسرحًـا للألـم. فمـه المسـكين. حيّـاه هاملتـون بكلمـات شـكر غارقـة في العاطفيـة وقمنـا عـلى الفـور بتسـليم أوراقنـا؛ جـواز سـفر نانسـن[1]* الصغـير الخـاص بنـا، وتأشـيرتنا إلى البرتغـال، وحـتى قسـيمة التذكـرة الـتي صـدرت لنـا في مينـاء سـاليرنو. يظهـر أن الأب دوريـا مفعـم بالأمـل. ولكـن هـذه الأمـور تسـتغرق بعـض الوقـت. الوقـت في حجـرة الانتظـار، محدّقـين في التفـاح الجريـح ولحمـه المكشـوف.

قضينـا بعـض الوقـت في الديـر الواقـع في طريـق سيسـيليا – حيـث بـدا أن هاملتـون قـد أخـذ عـلى نفسـه عهـدًا بالصمـت. الغـداء الـذي ملئـت الطبـق يعكـس شـخصية هـذه المؤسسـة: هـي مؤسسـة بسـيطة، ولكنهـا متيقظـة تمامًـا. لدينـا حجرتنـا الصغـيرة الخاصـة بنـا. الديـر ممتـلئ بالعابريـن أمثـالي، والأشـباح الذيـن لا يحملـون سـوى نصـف اسـم (أشـعر أنـني وسـط اسـمين في هـذه اللحظـة). يعـجّ الفاتيـكان بالمتضرعـين أمثـالي، الـذي يصيحـون: «أبتـاه. أبتـاه». ربمـا تكـون أوروبـا نفسـها ممتلئـة بأشـخاص عـلى شـاكلتي، حيـث نهيـأ أنفسـنا للانخـراط في الحـرب. لذلـك فأنـا وحيـد ولسـت بمفـردي، كمـا هـو الحـال مـع الجميـع هنـا. حـرارة العـار تحـرق غرفتنـا، وتحـرق تمارين الضغـط والصلـوات. نعـم، الصلـوات. تبـدو صلواتـه كالضوضـاء الـتي تصدرهـا فكـرة غـير معقولـة. قـد أكـون تأثّـرت وأعجبـت بهـذه الموهبـة المفاجئـة للمعانـاة، لـولا تكرارهـا المميـت: الخـوف، فقـط الخـوف، لا شيء غـير الخوف.

1* جواز سفر أصدرته عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى للاجئين عديمي الجنسية. فريتيوف نانسن: دبلوماسي نرويجي (المترجم)

Twitter: @ketab_n

لماذا؟ سننجح جميعًا في تجاوز الأمر. ومع ذلك بيديه المضمومتين يتأوه ويتلعثم برائحة اليأس من أجل نجاته، منحنيًا على ركبته. لإظهار الإيمان السليم، أو لإظهار شيء ما آخر، بل وحاولَ أن يجرب شيئًا باستخدام... حسنًا، أنت تعرف، المقعد، الحزام المتدلي من العارضة الخشبية. لا داعي للقول بأن الأمر لم ينجح. وكما قلت وأكدت من قبل، لا يمكنك فعل هذا. لا يمكنك فعل هذا، ليس بمجرد أن تصبح هنا.

بالأمس وجدنا صورة تحت الأجمّة وراء أشجار الصفصاف. في قصاصات صغيرة - صنعنا منها قطعة واحدة. وجه امرأة شابّة: داكنة البشرة، مبهجة، ذات ملامح واضحة، يملأ الزغب وجهها. لا يبدو أنها متسامحة بشكل خاص. أخشى أن تكون صورة لزوجتنا.

أصابنا الملل والإرهاق بالجلوس في غرفة الانتظار، على الكرسي، بجوار المنضدة، مع السيجار التائب لنراقب التفاح المتقرّح أثناء شفاءه.

في زيارتنا الأخير قال الأب دوريا: «نقدم المساعدة لمن يحتاجها، وليس لمن يستحقها».

قال هاملتون: «افعل ما يمكنك فعله بأفضل شكل، وليس ما ينبغي فعله».

«سأفعل ما يمكنني فعله».

«لا يمكنني تفسير ما فعلتُه. لا يمكنني طلب مساعدتك».

Twitter: @ketab_n

«أوه، الآن!»

«أنا لا شيء. أنا ميّت. لستُ سوى... لستُ حتى...»

نهض الأب دوريا. وكذلك فعلت أنا. استمر هاملتون في الحديث، بصوت عميق قادم من بعيد: «لقد فقدت فكرتي حول رقّة اللحم البشري».

قال الأب دوريا: «ماذا تقصد؟»

«لقد فقدنا شعورنا بالجسد البشري. حتى الأطفال. حتى الرضّع المتناهي الصغر».

إذًا. لنفكّر قليلًا. هنا تبدأ المسألة. هنا يظهر الأمر بالكامل. لقد كان هنا كامنًا لزمن طويل والآن يظهر بالكامل. الردهات وغرف العمليات، عنبر بيتر بان، الإنهاءات المكتبية، أعين الذين لا ينصت إليهم أحد: عالم الألم و الظلام المستقرّ في أعماقه.

تقلّص وجه الأب دوريا حول القلب المحروق لأنفه. ثم قال: «أتفهّم ذلك».

« تعلم أين كنتُ. في موقف من هذا النوع فإن تصرفات معيّنة تفرض نفسها».

«أتفهم ذلك يا بنيّ».

«كان الموقف مجنونًا ومستحيلًا».

«لا داعي لقول ذلك».

Twitter: @ketab_n

بلل هاملتون خديّه بطرف كمّه ثم استنشق بغزارة: «حدثت أمور...»

«تكلّم».

«ما زلت أرغب في تقديم الشفاء يا أبتاه. ربما، بتلك الطريقة، بالقيام بالخير...»

«الجحيم؟»

«لقد كنتُ في الجحيم».

«بالطبع. بالطبع».

«لقد ارتكبت خطيئة، يا أبتاه».

«تبدو متعبًا يا بنيّ».

عند هذه اللحظة قام هاملتون بتسليم التصاريح المتعددة التي كانت بحوزتنا، ثم زوّده الأب دوريا بوثائقه الجديدة، ولكن ليس قبل أن يحدّق فيها لعدة دقائق مرهقة، حدّق فيها بعينيه النازفتين. كان وداعنا متّسمًا بالرسميات المعتادة، والمجاملات المعتادة لإنجليزيّتي المتقنة.

قضينا أنا وهاملتون ليلتنا الأخيرة في روما في فندق ذو سمعة طيبة على طريق جاريبالدي، قرب الجدران العالية للسجن. كانت عالية بحق جدران السجن هذه لدرجة أنها تدفعك للتساؤل عن البناء الجسماني للمجرم الإيطالي التقليدي. تخيّلت حديقة حيوانات من الزرافات الضالة

Twitter: @ketab_n

سـوداء الأسـنان، كلٌ منهـا مـع مطواتـه وخنجـره... كان لديّنـا كذلـك مرحاضنـا الخـاص، حيـث تمرّغنـا في حوضـه لمـا يقـرب مـن السـاعة. صـدر نظيـف. يـدان نظيفتـان.

تغـيّر اسـمنا مـرةً أخـرى. لا أعتقـد أنـه سـيتغيّر مـرة أخـرى. بعـد تحذيـر بسـيط، يجـب القـول أن اسـمنا الآن أصبـح أوديلـو أونفيردوربن.

وكعـوب نظيفـة. كانـت رحلتنـا شـمالًا مسـحورة. كنّـا عصـا التسـليم والتسـلّم في سـباق تتابعـي نحـو الحـرب.

بالقطـار إلى بولونيـا (حيـث اشـتريت حـذاء للمسـافات الطويلـة)، بالشـاحنة إلى روفيريتـو؛ ومـن هنـاك انتقلنـا في دفعـات يوميـة تبلـغ كل منهـا عشريـن أو خمسـة وعشريـن ميلًا، دائمًـا مـع رفقـة أو تحـت مراقبـة، مـن قريبـة إلى قريـة، مـن مزرعـة إلى مزرعـة، سـيرًا عـلى الأقـدام، في العربـات الـتي تجرّهـا الحيوانـات، في سـيارات غـير معقولـة الشـكل. عرفـت مسـارات الأرض عـن طريـق المرشـدين والناقلـين. كانـت الرسـومات اليدويـة في كل مـكان؛ المبـاني الطينيـة المزخرفـة، والأحجـار المشـكلة كخنزيـر بـارز العضـلات في النسـيم الرقيـق للغسـق. كان العشـب كثيفًـا والأشـجار معتـنى بهـا جيـدًا: هنـا، والآن، كانـت الأرض ذات شـعر طيّـب، كثيـف ومشـذّب مـع قـشرة رأس غنيّـة في الأسـفل، ليـس كمـا كان الحـال هنـاك، ليـس كمـا كان الحـال مـن قبـل، عندمـا كانـت الأرض مجـدّرة ومرقّعـة. هـذه الأرض بريئـة. لـم ترتكـب أي جـرم بعـد.

Twitter: @ketab_n

قضينا شهري مارس وفبراير في ممر برينر، حيث أقمنا في ثلاثة مزارع مختلفة. كانت ترتيبات معيشتنا مثالية بالكاد رغم أنها كانت متقشفة بعض الشيء، واعتبرتها تمهيدًا للتحضير الداخلي. شخصيًا، شعرت بالحنين تجاه المجتمع الإنساني وتجاه التدريبات الرياضية (التسكّع لساعات طويلة، على سبيل المثال)، ولكن أوديلو كانت له أسبابه بالتأكيد. كانت لديه أسباب لتلك الأسابيع التي قضيناها في شوَن التبن وزرائب البقر تحت جبل من الأغطية بلا شيء نفعله سوى الصلاة والارتعاش. تناهت إلى سمعنا الهمسات الواضحة للفجر والغسق، ونباح الكلب، ولكننا لم نستمع إلى أي إشاعة أخرى عن الحرب. كان الجليد يهطل في اليوم الذي استأنفنا فيه طريقنا إلى الشمال. يهطل بصبر، فقد كان هناك الكثير منه على الأرض، والسماء مشغولة باسترداد رقاقات الثلج المتناثرة لتصعد إليها كالأرواح البيضاء. على الشاحنات وعربات الجيب تنقّلنا بسرعة عبر مدن وسط أوروبا. كان معظمها عبارة عن مخلفات وخردة، في انتظار جمعها على يد الحرب. كانت المباني سوداء، في انتظار لون النار. الناس ملطخون، مهشّمون، في انتظار الرفس والدهس الذي ستأتي به الجيوش، تصطخب أوروبا في الليل كبحار من الأشكال البشرية حول مواقد غرف الانتظار في المحطات. في كل مكان كنت أذهب إليه، كانت تعبيرات هذه الأشكال مشحونة بالقوة والبهجة، ومنحني الرجال منهم ذهبًا.

أعرف أن كل هذه الذهب كان مقدسًا ولا غنى عنه

Twitter: @ketab_n

لمهمتنا. بناءا عليه، في محطة التوقف الأخيرة، المزرعة الأخيرة، ضمن نطاق رؤية نهر فيستولا، حيث عشنا بدفء ورفاهية، وحيث كانت رؤوس الأطفال جاهزة للتربيت والمداعبة، والحشيّة المخططة أمام النار - قمنا بدفن الذهب الذي بحوزتنا. نقسم بكل بلاغة وقدسية أننا قمنا بدفنه تحت كومة من الروث خلف الحظيرة. كان هذا الفعل رمزيًا بالطبع: العودة المؤقتة للذهب إلى الأرض. لأننا حفرنا هذا المكان مرة أخرى بعد خمسة أيام، بعد اختفاء كومة الروث. عندما يقسم أوديلو، فإنه يستحضر القاذورات البشرية، التي ينبعث منها في النهاية، كما لنا أن نعرف الآن، كل الخير الإنساني.

كم مرة سألت نفسي: متى سيبدأ العالم في اكتساب بعض المنطق؟ كانت الإجابة هناك. تندفع في اتجاهي عبر الأرض غير المستوية.

Twitter: @ketab_n

5

هنا لا يوجد لماذا

يبدأ العالم ... الآن... في اكتساب بعض المنطق.

وصلت أنا، أوديلو أونفيردوربن، إلى محطة أوشفيتز، متعجّل بعض الشيء، على ظهر دراجة نارية، مع دوّامة واسعة من الثلوج الذائبة والطين، بعد فترة قصيرة من انسحاب البلاشفة المهين. الآن. هل يوجد راكب سري في المقعد الخلفي للدراجة النارية، أو في سيارة جانبية تخيلية؟ لا. كنتُ واحدًا. كنتُ كذلك مرتديًا الزي الرسمي بالكامل. خلف حدّ ليجر الجنوبي، في حظيرة بلا سقف. انتزعتُ ملابس السفر الخشنة وارتديت بانفعالية الأحذية السوداء الطويلة والمعطف الأبيض، والسترة المبطنة بالبراغيث، والقبعة البارزة، والمسدس. كنت قد وجدت الدراجة النارية محشورة في حفرة. ارتفعت منها بسرعة مذهلة، بحماس متوثّب، بجرأة... والآن أقود هذه الآلة الثقيلة وأستدير بها مسرعًا، على يديّ القفاز الواقي الملتوي. تمتد أوشفيتز من حولي، أميال وأميال منها، كفاتيكان مقلوب. الحياة البشرية ممزقة ومطحونة. ولكني كنت واحدًا الآن، ذائبًا في الجموع من أجل تحقيق غرض مخالف للطبيعة.

ما زالت الشفرات الحادة المدفونة في كتفيك ترتد قافزةً إلى مدفعية الروس أثناء انسحابهم المضطرب شرقًا. ماذا

Twitter: @ketab_n

فعلوا هنا؟ لقد فعلوا شيئًا لا يفعله إلا الحيوانات: فقط تكتشف أنها تقدمت إلى الأمام وفعلته بمنتهى البساطة. كان ردّ فعلي تلقائيًا وغريزيًا. في الحقيقة، لم تكن سيطرتي على نفسي كاملة، لذلك بدأت في إطلاق صيحات (بدت أنها صيحات ألم وغضب). ولكن في من؟ في شماعات المعاطف وعصيان الكمان، في حروف H والتساؤلات وحروف W الزاحفة، المصفوفة كشتائم صحيفة صفراء؟ تقدمت إلى الأمام؛ تقدمت صائحًا على الجسر وعبر كل الخطوط الحديدية حتى غابة أشجار البتولا - حتى وصلت إلى المكان الذي سأعرف لاحقًا أن اسمه بيركينو. بعد استراحة قصيرة وغاضبة في متجر البطاطس دخلت إلى مستشفى النساء، عازمًا بقوة على إجراء كشف. لم يكن ذلك ملائمًا. أرى ذلك الآن (لقد كان الأمر غيبوبة من نوع «من أين نبدأ؟») لم يفعل وصولي إلا زيادة ذهول الممرضين المعدودين، ناهيكَ عن المرضى، المنكمشين مثنى وثلاثًا في أجولة من القش، ولا يتجاوز حجمهم رغم ذلك حجم امرأة. بينما الفئران كبيرة بحجم القطط! أصابني الذهول من القوة التي خرجت بها الألمانية منّي، كما لو كان تعبيرًا عن غضب ظلّ خامدًا لألف سنة. في حجرة الاغتسال مشهد آخر: ماركات وبنسات - طريّة الملمس - ملتصقة بالحائط باستخدام قاذورات بشرية. خطأ: هذا خطأ. ما معنى هذا؟ القاذورات البشرية، القاذورات البشرية في كل مكان. حتى عند عودتي مارًا بالعنبر، مارًا بالتقرّحات والسوائل الصفراء، والسائرين نيامًا والمتحدثين نيامًا، شعرت بالامتصاص الجائع له

Twitter: @ketab_n

عـلى نعـال حـذائي الأسـود الطويـل. في الخـارج: في كل مـكان. هـذه المـادة، هـذه المـادة البشريـة، في الأوقـات الاعتياديـة (وفي الأماكـن المتحـضرة) غالبًا مـا تكـون محصـورة في الأنابيـب والقنـوات، تحـت الأرض، غـير مرئيـة - انفجـرت هـذه المـادة وفاضـت مـن ضفافهـا، مندفعـةً إلى الخـارج وإلى الأمـام عـلى الأرض، والحوائـط، وسـقف الحيـاة نفسـه. بشـكل طبيعـي، لـم أتوصـل إلى أي منطـق أو عـدل في هـذا الأمـر. لـم أتوصـل إلى هـذه النتيجـة مـن فـوري: أن الخـراء البـشري أصبـح الآن في العـراء، سـنجد الفرصـة لاكتشـاف مـا يمكـن لهـذه المـادة أن تفعلـه حقًـا.

في ذلـك الصبـاح الأول تلقيـت بقايـا وجبـة إفطـار في مسـكن الضبـاط. شـعرت بهـدوء كبـير، رغـم أنـني لـم أتمكـن مـن الأكل أو الـشرب. أحـضروا لي لحـم خنزيـر وجـبن لـم أصنـع أيّـا منهمـا، ثـم ميـاه فـوّراة مثلّجـة. لـم يكـن حـاضرًا سـوى ضابـط واحـد آخـر. كنـت حريصًـا عـلى ممارسـة ألمانيّـتي، ولكننـا لـم نتحـدث. أمسـكَ بكـوب القهـوة في يـده بأسـلوب جديـر بامـرأة، بكلتـا راحتيـه ملتفـة حـول الكـوب للحصـول عـلى الـدفء، حيـث يمكنـك سـماع أسـنانه وهـي تصطـدم بحـواف الخـزف الصينـي. في مناسـبات عديـدة كان يقـف هنـاك بهـدوء نسـبي ثـم يذهـب إلى المرحـاض، ثـم يندفـع عائـدًا وهـو يعبـث في حزامـه بوقاحـة. سـأعرف قريبًـا أن مـا أراه كان نوعًـا مـن التأقلـم.. للأسـابيع القليلـة الأولى نـادرًا مـا كنـت أنـا نفـسي أغـادر تجويـف المرحـاض.

Twitter: @ketab_n

تضـم حجـرتي الصغـيرة الصامتـة تمامًـا سـجادة صغـيرة برتقاليـة غـير عميقـة عـلى الأرض بجانـب السريـر. للترحيـب بالرطوبـة الخافتـة لقدمـي الألمـاني، عنـد ذهـابي للنـوم. للترحيـب بالرطوبـة الخافتـة لقدمـي الألمانيّـة عنـد اسـتيقاظي.

خـلال الأسـبوع الثـاني بـدأ المعسـكر في الامتـلاء، بأعـداد قليلـة في البدايـة، ثـم بأعـداد غفـيرة لاحقًـا. راقبـت كل هـذا عـبر ثقـب للتجسـس، تحـت منضـدة العمـل في كـوخ إمـدادات مهمـل ناحيـة غابـة أشـجار البتـول، مـع بطانيـة، وزجاجـة خمـر كوميـل - ومسـبحة، كنـت أمرّرهـا بـين أصابعـي لحسـاب أعـداد القادمـين. أدركـت أنـني رأيـتُ بعضًـا مـن هذه المسـيرات في طريقـي نحـو الشـمال عـبر شرق تشيكوسـلوفاكيا، في زيلينـا وأوسـترافا. كانـت للرحلـة الطويلـة الحماسـية ودرجـات الحـرارة المنعشـة تأثـير طيـب عـلى الرجـال بالتأكيـد، رغـم أن حالتهم، عنـد الوصـول، كانـت مـا زالـت في حاجـة إلى الكثـير. ولـم يكـن هنـاك مـا يكفـي منهـم. كمـا في الأحـلام، كان المـرء يتعـرض لمعانـاة أسـئلة القياسـات، ولعـذاب التفاوتـات الغامضـة. بأعدادهـم الـتي تبلـغ المئـات، أو حـتى الآلاف، لـم يتمكـن هـؤلاء التائهـين مـن مـلء الكـون المتسـع في معسـكر الاعتقـال. أصبحـت الحاجـة ماسّـة إلى مصـدر آخـر، مـنزل طاقـة آخـر... كنـت أغامـر بالخـروج مـن الكـوخ (حيـث احتفظـت بدراجـتي الناريـة. الـتي انغمسـت في فحصهـا دائمًـا بحمّـى غراميـة). أصبـح غرفـة اجتماعـات الضبـاط أكـثر ازدحامًـا الآن، وكان هنـاك المزيـد مـن الواصلـين الجـدد دائمًـا. كان أمـرًا غريبًـا -

Twitter: @ketab_n

لا، لـم أشـعر بـأي خطـأ في حقيقـة أنـه يجـب علينـا جميعًـا أن نعـرف بعضنـا البعـض، كمـا لـو الأمـر تلقائيًـا: نحـن الذيـن احتشـدنا هنـا لتحقيـق هـدف خـارق للطبيعـة. كانـت ألمانيّـتي تعمـل كالأحـلام، كروبـوت ذكي تقـوم بتشـغيله ثـم تتراجـع لتبـدي إعجابـك بـه وهـو يقـوم بـكل العمـل الشـاق. كانـت الشـجاعة في طريقهـا أيضًـا، في وحـدات بشريـة متناسـقة، الأعـداد والجـرأة الخاصـة الكافيـة للمهمـة المكلفـين بهـا. كان الرجـال عـلى قـدر كبـير مـن الوسـامة. أعـني أكتافهـم، أعناقهـم المهولـة. بنهايـة الأسـبوع الثـاني أصبحـت غرفـة الاجتماعـات مسرحًـا لضحـكات عاليـة وأغنيـات صادحـة. في إحـدى الليـالي، قفـزت إلى فرجـة البـاب، وتجـاوزت أحـد الزمـلاء، ثـم اتخـذت طريقـي خارجًـا إلى النـدف والمطـر والـبرد، لأن المراحيـض كانت مشـغولة بالكامـل، وبينـا كنـت أزحـف، ملصقًـا خـديّ عـلى الألـواح البـاردة، تطلعـت عـبر الظـلال الضبابيـة لأوشـفيتز، ورأيـت الدخـان المتصاعـد مـن الأطـلال القريبـة قـد زاد عـن أي وقـت وسـابق بـل وبـدأ في التوهـج. كانـت هنـاك رائحـة جديـدة في الجـو. رائحـة حلـوة.

كنّـا بحاجـة إلى السـحر لحـل لغـز الأهميـة الكامنـة فيمـا يحيـط بنـا، الـذي نـادرًا مـا يسـمح بـأي تفكـير: كنّـا بحاجـة إلى إنسـان بصفـات الآلـه – شـخص مـا يمكنـه إدارة هـذا العالـم. وفي الوقـت المحـدد حـضر... لـم يكـن طويـل القامـة، وإنمـا رجـل ذو أبعـاد عاديـة؛ وسـيمًا بشـكل بـارد، واضـح الملامـح، ذو عينيـان تشـعان بهجـة ذاتيـة؛ رشـيق، رشـيق بشـكل تطهـيري

Twitter: @ketab_n

بسطوته الجسمانية؛ وطبيب. نعم، مجرد طبيب. لم يكن دخوله عاديًا. لن أخفي هذه الحقيقة. مارةً بسرعة عبر غابة أشجار البتول حضرت سيارة مرسيدس بنز بيضاء، قفز هو منها في معطفه المهول الأبيض ثم مضى بسرعة عبر الفناء صارخًا بالأوامر. عرفت اسمه، وغمغمت به أثناء تطلعي من كوخ الإمدادات، مع زجاجة شنابس وورق المرحاض بجواري: «العم بيبي». كانت القمامة والمخلفات أمامه ترتعش الآن بالنيران بينما يقف هو، بيديه على فخذيه، مراقبًا قواه وهي تتجمع في الدخان. استدرت ببطء بعيدًا وشعرت حينها بإلحاح وعجلة موضوع مثار بشكل عنيف. بعدها، مع صيحة عالية، ارتدت عيناي إلى مخبأها، لم يكن هناك دخان في كل مكان، فقط المبنى الضروري، جيّد، وإلى سوداها وإلى السور الحارس المنخفض الذي يحيط بمسارها، الذي يقف أمامه الآن «العم بيبي»، بأحد ذراعيه ملتوي ومرتفع. إلى اللوحة الكبيرة القائمة أعلى الباب: *BRAUSEBAD*. «حجرة الرش»، غمغمت لنفسي بتهيّب. رغم ذلك، استمر «العم بيبي» في التحرّك. في ذلك الصباح، أثناء استلقائي على الأرضية الخشبية لكوخ الإمدادات وأسناني تصطك من الترقّب، تناهت إلى سمعي أصوات خمسة انفجارات. السرعة والاندماج تمتصان الهواء المصدوم. في اليوم التالي كنّا مستعدين للبدء في العمل.

ما الدليل على أن هذا هو الصواب؟ ما الدليل على أن أي شيء آخر ليس صوابًا؟ بالتأكيد ليس حسّي الجمالي. لن

Twitter: @ketab_n

أدعي أبدًا أن أوشفيتز-بيركينو-مونوفيتس كانت شيئًا يستحق النظر إليه. يستحق الإنصات إليه، أو تشممه، أو تذوقه، أو لمسه، كان هناك، بين زملائي في المعسكر، سعيًا عامًا وإن كان عبثيًا نحو مزيد من الرقيّ. يمكنني فهم تلك الكلمة، وكل الشوق إليها: راقٍ. ولكن الرقيّ لم يكن سببًا في حبي لسماء الليل فوق نهر الفستولا، بحمرتها القانية الجهنمية وبأرواحها المحتشدة. الخلق عملية سهلة. وقبيحة أيضًا. *Hier ist kein warum*. هنا لا يوجد لماذا، هنا لا يوجد متى، لا يوجد كيف، لا يوجد أين. غرضنا الخارق للطبيعة؟ أن نحلم بجنس بشري. أن نصنع الناس من الطقس. من الرعد ومن البرق. باستخدام الغاز، باستخدام الكهرباء، باستخدام الخراء، باستخدام النار.

كنت أنا، أو طبيب من رتبة مساوية، حاضرًا في كل مرحلة من التسلسل. لم يكن المرء في حاجة إلى معرفة لماذا كانت الأفران قبيحة جدًّا، قبيحة للغاية. حشرة هائلة الحجم بشكل تراجيدي طولها ثمانية أقدام ومصنوعة من الصدأ. من يرغب في الطهو في فرن مثل هذا؟ كانت البكرات، والمكابس، والشبكات الحديدية، وفتحات التهوية هي الأعضاء الحيوية لهذه الآلة.... يتم تسليم المرضى، وهم ما زالوا أمواتًا، على جهاز يشبه المحفة. كان الهواء ثقيلًا وملتويًا بفعل بحرارة الخلق المغناطيسية. ثم تستمر العملية حتى الوصول إلى الغرفة،حيث يتم تكديس الأجساد بعناية على مدى نظري، مع وضع الرضّع والأطفال، بشكل

Twitter: @ketab_n

مخالف البديهة، في قاع الكومة، ثم النساء والعجائز، ثم الرجال. كان اعتقادي الراسخ أنه من الأفضل أن ينعكس هذه الترتيب، لأن الكائنات الصغيرة ستتعرض بالتأكيد لمخاطر الإصابة تحت ضغط الوزن العاري. ولكن الأمر تم بنجاح. أحيانًا، ووجهي ينفجر بالابتسامات والتقطيبات، كنت أراقب الإجراءات عبر شق الرؤية. كان هناك عادةً انتظار طويل ريثما يتم إنتاج الغاز غير المرئي عن طريق شبكات التهوية. يبدو الأموات كأموات فعلًا. الأجساد الميتة لها لغة جسدها الميتة الخاصة. وهي لا تقول شيئًا في الواقع. طالما شعرت بارتياح رائع في لحظة الاستيقاظ الأول. ثم بصبح الأمر قبيحًا مرة أخرى. حسنًا، فنحن لا نفعل سوى البكاء، ثم التلوّي والتعرّي على كلا طرفي الحياة. نبكي على كلا طرفيّ الحياة، بينما يراقبنا الطبيب. لقد كنت أنا، أوديلو أونفيردوربن، من كان يزيل، شخصيًا، أقراص الزيكلون-بي ثم يعهد بها إلى الصيدلي في معطفه الأبيض. بعد ذلك، واجهة غرفة الرشّ، التي كانت وظيفة المرشّات والفوهات فيها (بالإضافة إلى المقاعد المرقمة وبطاقات خزائن الملابس، ولوحات بست أو سبع لغات) هي التأكد من الأمر وليس التطهير للأسف؛ ثم تمتد الحديقة فيما تلا ذلك.

الملابس، والنظارات، والشعر، ودعامات الظهر، وما إلى ذلك - تأتي لاحقًا. بينما يكتمل عمل الأسنان عادةً، رغم ذلك، وبشكل مفهوم تمامًا لتجنب معاناة لا طائل

Twitter: @ketab_n

منهـا، قبـل أن يصبـح المـرضى أحيـاءً. حيـث يتـولى السـجناء الألمـان العاملـون في المعسـكر *Kapos* هـذا الأمـر، بفظاظـة ولكـن بفعاليـة، باسـتخدام السـكاكين أو الأزاميـل أو أي أداة تقـع عليهـا أيديهـم. معظـم الذهـب الـذي اسـتخدمناه جـاء، بالطبـع، مبـاشرةً مـن بنـك الرايـخ. ولكـن كل ألمـاني حـاضر، حـتى أكثرهـم تواضعًـا تنـازل بشـكل طوعـي عـن مخزونـه الخـاص - أنـا بالـذات أكـثر مـن أي ضابـط آخـر باسـتثناء «العـم بيـبي» نفسـه. أعـرف أن ذهـبي كانـت لـه قـوة مقدسـة. كل هـذه السـنوات الـتي كدّسـته وصقلتـه فيهـا، مسـتخدمًا عقـلي: هـذا بالنسـبة لأسـنان اليهـود. أمـا الجـزء الأكـبر مـن الملابـس فـكان مسـاهمة مـن قيـادة شـباب الرايـخ. وتلقـى اليهـود الشَـعر كإهـداء مـن شركـة مسـاهمة فيلزفابريـك في روث، قـرب نورمـبرج. امتـلأت سـيارات الشـحن. سـيارة شـحن بعـد أخـرى.

في هـذه المرحلـة، رغـم ذلـك، أود أن أشـير إلى واحـد مـن عـدة تحفظـات أو تنبيهـات محتملـة. في غرفـة الـرش، يرتـدي المـرضى، في نهايـة المطـاف، الملابـس المقدمـة لهـم، دائمًـا مـا تناسـب أحجامهـم، رغـم أنهـا نـادرًا جـدًّا مـا تكـون نظيفـة. هنـا تظهـر لـدى الحـرّاس عـادة لمـس النسـاء. أحيانًـا - بالتأكيد - لمنحهـم قطعـة مجوهـرات، أو خاتـم، أو قطعـة صغـيرة قيّمـة. ولكـن في أوقـات أخـرى بشـكل غـير معقـول تمامًـا. أوه، أعتقـد أن نيتهـم خـيّرة تمامًـا. يتـم هـذا بأسـلوب ألمـاني لا يمكـن كبحـه: بمـرح، مـع وجـوه مشرقـة. ولا يفعلـون ذلـك إلا

Twitter: @ketab_n

مع الحالات الغاضبة. ويمنحهم هذا الهدوء بالتأكيد. لمسة واحدة، ويصبحون كلهم مخدّرين ومكبوتين. تمامًا كالآخرين (الذين ينوحون أحيانًا. الذين يحدقون فينا بنظرة ازدراء لا تصدّق. ولكني أتفهم ظروفهم. أنا متعاطف معهم؛ أتقبل كل هذا). قد يكون الأمر رمزيًا، ملامسة النساء هذه. يجب أن تستمر الحياة والحب. يجب أن تستمر الحياة والحب بقوة وبوضوح: هذا ما يدور حوله كل شيء هنا. ومع ذلك، كانت هناك غشاوة رقيقة من القسوة، القسوة العنيفة، كما لو كان الخلق عملية فاسدة بعض الشيء... لا أريد لمس أجساد الفتيات. كما هو معروف جيدًا، لا يعجبني هذا النوع من التحرّش. لا أرغب حتى في التطلع إليهن. الفتيات الصلعاوات بأعينهن الهائلة الحجم. تم صنعهن للتوّ، حديثات الخلق والنشوء. يراودني بعض القلق حيال ذلك: أعني أن حساسية الوضع هذه غير معتادة على الإطلاق. كما أن دقة الموقف، مع وجود آباءهن، وأجدادهن غالبًا هنا وفي كل مكان (كحلم شهواني مجمّد)، لا تقدم إلا تفسيرًا ضعيفًا لغياب الإثارة البصرية، وأستمر أنا في الأمر كمنزل محترق مع الفتيات في ماخور الضباط... لا. أعتقد أن الأمر له علاقة ما بزوجتي.

تخضع الأغلبية العظمى من النساء، والأطفال، والعجائز للمعالجة باستخدام الغاز والنار. أمر الرجال فهم يسيرون، بالطبع، عبر طريق مختلف للتعافي. تظهر الكلمات العمل يجعلك حرًا *Arbeit Macht Frei* على اللوحة المعلقة أعلى

Twitter: @ketab_n

البوابة، بأسلوب بلاغي فظّ بشكل متوقع. يعمل الرجال من أجل حريّتهم. ينطلقون الآن في غسق الشتاء، المرضى الذكور في أردية نومهم الخفيفة، بينما تستمر الفرقة الموسيقية في العزف. يسيرون في صفوف مكوّنة من خمسة أفراد، في قباقيبهم الخشبية. انظر, إنهم يقومون بشيء ما، باستخدام الرؤوس. تنحني رؤوسهم إلى الخلف بالكامل حتى تصبح وجوههم متجهة بالكامل نحو السماء. حاولت أن أقلدهم. أحاول أن أقلدهم، ولكني لا أستطيع. لأن كتلة من اللحم التي تشبه قبضة اليد تظهر في قاع عنقي، وهو ما لم يحدث لهم بعد. تستقر الأجراس على عظام صدورهم. وتبدو أصوات قلوبهم نائية جدًّا.

ينطلقون مرة أخرى من أجل عمل النهار، ورؤوسهم منحنية إلى الخلف. أصابني الارتباك في البداية ولكنني أعرف الآن لماذا يفعلون ذلك، لماذا يطيلون حلوقهم بهذا الشكل. إنهم يبحثون عن أرواح أمهاتهم وآباءهم، ونساءهم وأطفالهم، المحتشدة في السماء - في انتظار اتخاذ الشكل الإنساني، وفي انتظار الاتحاد.... السماء فوق نهر الفيستولا مكتظة بالنجوم. يمكنني رؤيتها الآن. لم تعد تسبب الأذى لعينيّ.

هذه الاتحادات الأسرية والزواجات المرتبة، المعروفة باسم عمليات الاختيار على ممرات الخروج، كانت من أهم اللحظات المعتادة في روتين معسكر الاعتقال. كان من الشائع القول أن انتصار أوشفيتز كان تنظيميًا في الأساس:

Twitter: @ketab_n

فقد وجدنا النار المقدسة التي تختفي في القلب البشري - ثم بنينا طريقًا عريضًا انطلق إلى هناك. ولكن كيف يمكن تفسير الصدف الإلهية التي حدثت على ممرات الخروج؟ في نفس اللحظة التي يتم فيها إحضار النساء الضعيفات والشابات والعجائز من غرفة الرشّ إلى محطة السكك الحديدية، بحالة جيّدة للغاية، يكون رجالهم قد أنهوا المدة المحددة للخدمة الإجبارية ويتقدمون إلى الأمام للمطالبة بهم، على ممر الخروج، مبعثري الشعر قليلًا، ولكنهم أقوياء وأصحاء نتيجة العمل الشاق والحميّة الصارمة. كوسطاء للتوفيق والزواج، فإننا لم نعرف معنى كلمة فشل؛ على ممرات الخروج، كانت النجاحات المذهلة رخيصة كالبصاق. عندما تجتمع العائلات بعد فراق، يمكن رؤية أيديهم وأعينهم وهي تتلمس وتبحث عن بعضها البعض، تحت نظرتنا المتسامحة. ثم نحتفل بنخب خروجهم في الليل. ويأخذ أحد الحرّاس في العزف على الأكورديون، منحني الركبتين ومتمايل. في الحقيقة نشرب جميعًا كأصدقاء. هذه الحفلة الصاخبة على ممر الخروج، بينما يقوم السجناء الألمان العاملين في المعسكر، كأصدقاء مقربين للعريس، بدفع الرجل بقوة على عربة الانتظار - المرشوشة حديثًا بالقمامة والخراء - للرحلة المتجهة إلى الوطن.

عالم أوشفيتز، يجب أن يسمح بذلك، كان متمركزًا حول القاذورات البشرية بشراسة. كان مصنوعًا من الخراء.

Twitter: @ketab_n

في الشهور الأولى كانت مازال عليّ أن أتغلب على نفوري الطبيعي، ولكني تمكنت بعدها من فهم وجه الغرابة في عملية الاكتمال هذه.

بدأ الأمر في الانكشاف أمامي في اليوم الذي رأيت فيه اليهودي العجوز يطفو على سطح الكنيف العميق، يتصارع مع المياه بكل قوته للنجاة بحياته، ثم يرفعه الحراس المبتهجون، ويتم تنظيف ملابسه باستخدام الوحل. ثم يعيدون إليه لحيته. اكتشفت أيضًا متعة وفائدة أن تستمر في مراقبة فريق تنظيف المراحيض وهم يقومون بعملهم. كان هذا الفريق يتولى مهمة ملء الحفر من شاحنة المخلفات، ليس باستخدام الدلاء أو أي شيء مشابه ولكن باستخدام مجارف خشبية مستوية. في الحقيقة فإن الجزء الأكبر من برامج العمل في المعسكر كانت غير منتجة بوضوح كبير. ولم تكن تدميرية كذلك. املأ تلك الحفرة. احفر ثانيةً. قم باستبدال هذا. أعد الاستبدال مرة أخرى. كان العلاج متمثلًا في نظام اليوم... كان فريق تنظيف المراحيض مكونًا أساسًا من أكثر المرضى ثقافةً: أكاديميين، حاخامات، كتّاب، فلاسفة. أثناء عملهم، تتصاعد من حناجرهم أغاني آرية مع مقتطفات خافتة من السيمفونيات، والشعر المتلوي، ويتحدثون عن هاينه، وشيلر، وجوته... في نادي الضباط، أثناء انخراطنا في الشرب (ودائمًا ما نكون كذلك تقريبًا)، وحيث يذكر الخراء ويُستدعى بشكل دائم، أحيانًا ما نشير إلى أوشفيتز باسم فتحة شرج العالم. ولا يمكنني التفكير في

Twitter: @ketab_n

ثناء أكثر رهافةً من هذا الاسم.

توجد أمثلة كاشفة أخرى للغة المستخدمة في المعسكر. حجرة الأفران الرئيسية اسمها قطعة من الجنة، والممر الرئيسي المؤدي إليها اسمه شارع الجنة. «الغرفة» وغرفة الرش تُعرفان، بشكل ساخر جدًّا، باسم المستشفى المركزي. بينما الصيف الجديد *Sommerfrische* هو الاسم الذي نطلقه على جولة المهام هنا، أيا كان فصل: حيث يوحي «الجو الصيفي» بالانفصال السرمدي عن الواقع الهزيل. عندما نقصد قول أبدًا نقول غدًا صباحًا - بما يشبه المرادف الأسباني لكلمة «صباح». بينما نطلق على أكثر المرضى نحولًا، بوجوههم تلك التي ليست سوى مثلث من العظام حول العينين، اسم رجال الحصبة بالألمانية: وهي كلمة كنت أظنّ في البداية أنها للسخرية لتشابهها في النطق مع كلمة الرجال مفتولي العضلات بالإنجليزية. ولكني أعتقد الآن أنهم يقصدون كلمة الرجال المسلمين بالإنجليزية، بسبب الزوايا الحادة للأفخاذ والأكتاف- مسلمين في وضع الصلاة. لم يكونوا مسلمين بالطبع، بل يهودًا. حسنًا، لقد قمنا بتحويل ديانتهم! متى سيحدث هذا، أقصد تحويل ديانة اليهود؟ غدًا صباحًا. الشائعات والنميمة، التي غالبًا ما تثير المرضى الذكور بشكل زائد، نطلق عليها، بتساهل، اسم حديث المراحيض.

هنا لا يوجد لماذا... بشكل مخيّب للآمال، توقفت ألمانيّتي عن التحسن. أتحدث بها، ويبدو أنني أفهمها،

Twitter: @ketab_n

وأتلقى وأصدر الأوامر بها، ولكن على مستوى ما لا أشعر بانغماسي فيها تمامًا. ألمانيتّي ليست أفضل كثيرًا من برتغاليّتي. أعتقد أن تعلم الإنجليزية العاميّة قد استغرق مني الكثير. كانت تلك هي فرصتي. الألمانية لغة عجيبة. من ناحية، يصيح بها الجميع. وثانيًا تجد كل هذه الكلمات الطويلة جدًا: الحَرفيّة والتراكم الذي يشبه تجمّع مكعبات الأطفال. يبدو هذا الأسلوب مزعجًا، عندما تبدأ كل جملة بفعل بهذا الشكل. ثم يأتي ضمير المتكلم الأول: «أنا» *ich* ليست مقطوعة رائعة من التطمين، أم أنها كذلك؟؟ بينما تبدو «أنا» بالإنجليزية منتصبة بنبل. وتتمتع المرادفة الفرنسية منها بقوة وحميمية معيّنة. ولا بأس بالبرتغالية. والأسبانية أشعر بارتباط حقيقي تجاهها. لا مشكلة مع *Yo*! إنما *ich*؟ تبدو كالصوت الذي يصدره الطفل عندما يرى نفسه في المرآة... ربما يكون هذا جزء من المسألة. بلا شك، سيتضح كل شيء بمجرد أن تتحسن ألمانيّتي. متى سيكون ذلك؟ أعرف. غدًا صباحًا!

في ماخور الضباط الذي يقع، على نحو ملائم، في الزاوية البعيدة من المجمّع التجريبي (نوافذه موصدة أو مغطاة بألواح دائمًا)، كانت عادات الحب التي اكتسبتها طوال حياتي قد تغيّرت. معظم التعمّق القديم قد زال. معظم الاهتمام بالتفاصيل الذي طالما طغى على تعاملاتي مع الجنس اللطيف. قد يكون ذلك مجرد وعي بحالتي الزواجية (التي غالبًا ما يذكرني بها زملائي بمرح)، أو طريقة

Twitter: @ketab_n

لموائمة كل أنشطتي مع أخلاقيات معسكر الاعتقال، أو أنه مجرد ملل من الوجه الأنثوي، ولكن اندفاعاتي نحو الحب أصبحت الآن - بشكل مفاجئ، وسريع، وبائس، ويائس - موجهة فقط نحو مصدر الديمومة والاكتمال الكوني. العاهرات الصلعاوات لا تقدّمن لنا أي أموال. ولكننا لا نطرح أي أسئلة. لأن هنا لا يوجد لماذا.

استخدام آخر للغة في معسكر الاعتقال، منتشر على نطاق واسع، بصور متعددة: صوته مشابه لـ *smistig*، ولكنه يبدو أنه يتكون من اسمين في اللغة الألمانية، *Schmutzstück* و *Scbmuckstück*، «القمامة» و «المجوهرات». من سخرية القدر، رغم ذلك، أن smistig تعني «يصل إلى النهاية»، «يُختتم»، «ينتهي».

كنت قد بدأت التراسل مع زوجتي، واسمها هيرتا. تصل رسائل هيرتا، ليس من النار (*das Feuer*)، ولكن من القمامة (*der Plunder*). وكلها بالألمانية. بينما تصل رسائلي إلى هيرتا عن طريق الخادم الخاص. ثم أقوم بمسحها بمجهود كبير، هنا، في الليل، في الغرفة الصامتة. لا يتبقى سوى صفحات من الورق الأبيض. ولكن ما سبب هذه الرسائل؟ كانت رسائلي بالألمانية أيضًا، رغم أنها تحتوي على مقطوعات من الإنجليزية ذات نغمة تعليمية هزلية. أعتقد أن هيرتا وأنا يجب أن نبدأ في التعرّف على بعض بهذه الطريقة. نحن أصدقاء مراسلة.

يبدو أن زوجتي لديها بعض الشكوك حول العمل الذي

Twitter: @ketab_n

نقوم به هنا. من الواضح أنه سوء تفاهم يجب توضيحه. هناك أيضًا موضوع الرضيع (*das Baby*). «عزيزتي، وحيدتي، كل شيء بالنسبة لي، سيكون هناك رضّع آخرون»، أكتب، بشكل مرتبك بعض الشيء. «سيكون هناك الكثير من الرضّع الصغار». لا يعجبني ما يعنيه هذا. هل الرضيع – هل das Baby هو الرضيع القنبلة؟ الرضيع الذي يتمتع بتلك القوة على أبويه؟ لا أعتقد ذلك. رضيعنا (الذي يحمل اسم: إيفا) يتمتع بقوة مهولة كشخص خاضع لتجربة. ولكنها ليست تلك القوة الجسدية التي يتمتع بها الرضيع القنبلة، مسيطرًا لها على أبويه وعلى كل شخص آخر حاضر في الغرفة السوداء: ثلاثين روح تقريبًا.

أخرجت صورتها التي وجدتها في روما، في حدائق الدير – وتطلعت إليها – في الليل تمتلئ عيناي بالدموع. وعندما يأتي النهار أغرق نفسي في العمل. أتساءل إن كانت هناك نهاية للتضحيات المطلوب مني تقديمها.

كان «العم بيبي» موجودًا في كل مكان. وهذا أكثر ما يشتهر به هنا. على سبيل المثال، «إنه كما لو كان موجودًا في كل مكان»، أو «يبدو أن هذا الرجل في كل مكان» أو، ببساطة أكثر، «العم بيبي موجود في كل مكان». كان هذا الوجود الكلي واحد من صفات عديدة التصقت به في عالم الرجال الفائقين. كما أنه يمتع بنظافة خيالية مقارنةً بالوضع في أوشفيتز، عندما كان حاضرًا، وقد كان حاضرًا في كل مكان، كان في استطاعتي الشعور بالجروح والحزوز على

Twitter: @ketab_n

فـكّي المضطـرب، وشـعري القصـير والأشـعث رغـم ذلـك، والعـروة البائسـة للـزي الـذي أرتديـه، وحـذائي الأسـود الباهـت. كان وجهـه سـنوريّ الشـكل، عريـض الصدغـين، وكانـت عينيـه تطـرف بشـكل بطـيء كمـا لـو كان قطـة. وعـلى الممـرات الخارجيـة يتّخـذ شـكلًا في غايـة الإبهـار، حـين تـراه يتحـرّك عـبر سلسـلة مـن القـرارات الراقيـة. شـعرتُ أنـه الوحيـد مـن بيننـا الـذي كان يلعـب دور الكائـن البـشري بحـق، ورغـم أنـه كان منعـزل حـول نفسـه، فقـد أظهـر «العـم بيـبي» أفضـل نـوع ممكـن مـن التواضـع، وكان يفضّـل الأسـلوب الجماعـي بشـكل غـير معتـاد - ولكـن ليـس معنـا نحـن معـشر الشـباب، بالطبـع، ولكـن مـع الشـخصيات الطبيّـة الأكـثر أقدميـة، مثـل ثيلـو وفيرثـز. اكتسـبت امتيـازًا إضافيًـا - بشـكل شـبه منتظـم - بمسـاعدتي «العـم بيـبي» في الغرفـة 1 في المجمّـع 20 ولاحقًـا في المجمّـع 10 نفسـه.

اسـتطعت التعـرّف عـلى الغرفـة 1 مـن أحلامـي. الـرداء المطاطـي الـوردي المعلّـق عـلى خطافـه، وأحـواض الأدوات والترموسـتات، والقطـن الملطـخ بالـدم، والمحاقـن التي بسـعة نصـف لـتر تقريبًـا، تخـرج منهـا إبـر بطـول قـدم كامـل. هـذه هـي الغرفـة، فكّـرت قائـلًا بيـني وبـين نفسـي، حيـث يتـم تقرير مصـير شـيئًا مـا فـانٍ بشـكل بائـس. ولكـن الأحـلام خدّاعـة، وتحـب المراوغـة والسـخرية مـن الحقيقـة... كان يتـم إحضـار المـرضى، ومـا زالـت علامـات الحيـاة تبـدو عليهـم، واحـدًا بعد الآخـر مـن الكومـة الموجـود في المبـنى المجـاور، ثـم يُحـشر

Twitter: @ketab_n

كل مريض في الكرسي في الغرفة 1، التي بدت في الظاهر كما هي في الحقيقة، معمل في مؤسسة صحيّة، عالم من الفقاعات والزجاجات. باستخدام الإبر كان هناك طريقان للمضي فيهما، الأوعية الدموية والقلب، وكان «العم بيبي» يميل للعمل في الأخير بكفاءة وإنسانية أكبر. ومع ذلك قمنا بالعمل عليهما معًا: المريض معصوب العينين بفوطة، ويده اليمنى موضوعة في الفمّ لخنق تأوهاته، والإبرة داخل التجعّد الدراماتيكي لفراغ الضلع الخامس. أما الأوعية الدموية: المريض بذراعه على المنضدة الداعمة، مانع النزف المطاطي، العرْق البارز، الإبرة، لمسة الكحول الحكيمة. كان «العم بيبي» ملتزمًا أحيانًا حينها بإعادتهم إلى الوعي بصفعات قليلة على الوجه. كانت الجثث وردية وممتلئة بالكدمات الزرقاء. كان الموت ورديًا ولكنه مصفرّ، في اسطوانة زجاجية معنونة بكلمة الفينول. يوم من هذا العمل ثم تخرج في معطفك الأبيض وحذائك الأسود الطويل، مع الصداع المعتاد، والسيجار المستدير وحمض التانيك الناتج عن وجبة الإفطار الذي يتجمع في حلقك، وسماء المشرق التي تبدو كالفينول.

كان يقود. ونحن نتبعه. أصبح عملنا في الفينول روتيني تمامًا. كنا نفعله جميعًا طول الوقت. لم أدرك إلا لاحقًا ما يستطيع «العم بيبي» القيام به فعلًا في المجمّع 10 نفسه.

كانت أول زيارة لزوجتي هيرتا إلى أوشفيتز في ربيع عام 1944، ربما كان هذا لسوء الحظ: لأننا كنا نتعامل حينها

Twitter: @ketab_n

مع يهود المجر، وبمعدل لا يصدق، بأعداد تصل إلى عشرة آلاف في اليوم تقريبًا. لسوء الحظ، لأنني كنت في المهام التي تتم على الممرات الخارجي كل ليلة تقريبًا، حيث اكتشفت أن العمل أصبح غير شخصي تمامًا، أصبحت عمليات الاختيار الآن تتم بمكبّر الصوت (إلى هذه الدرجة كان حجم الحركة)، ولم أجد ما أفعله حينها سوى الوقوف هناك والصياح مع زملائي - وبذلك تُحرم هيرتا من الانتباه غير المشتت التي تتوق إليه كل زوجة شابة.... مهلًا. لأتناول هذه النقطة بطريقة أخرى

كان كل شيء جاهزًا لقدومها. كان د. فيرثز، المعروف بمراعاته لمشاعر الآخرين دائمًا، قد قام بتجهيز ملحق جناح المعيشة الخاص به0شقة مبهجة (مزوّدة بمطبخ وحمام خاص) يقع خلف ستائرها الشريطية المزخرفة سور أبيض عالٍ. وخلف ذلك، يقع التنافر الحميد غير المرئي لمعسكر الاعتقال... د. فيرثز لديه زوجة وثلاثة أطفال يقيمون معه حاليًا. تمنيت أن تقضي هيرتا بعض الوقت في ملاعبة أطفال فيرثز الصغار. رغم أن هذا قد يلمس وترًا حساسًا... كنتُ جالسًا على الأريكة، أبكي بهدوء، أعتقد أني في تلك اللحظة كنت أتمنى أن يبدو أوشفيتز بشكل أفضل مما بدا عليه، حتى لو كان ذلك الآن فقط، بحرارته الساكنة وطاعون الذباب المحتشد في المستنقعات. عندما تناهى إلى سمعي صوت سيارة الضباط وهي تقترب، انسحبت إلى الأرضية البنيّة الشاحبة للحديقة الأمامية. ماذا كنتُ أتوقع؟ الإحراج

Twitter: @ketab_n

المألوف أعتقد. التوبيخات، الاتهامات، الحزن - ربما حتى ضربات ضعيفة من قبضات ضعيفة. كل هذا سيتم حله جزئيًا على الأقل، في تلك الليلة الأولى، أثناء فعل الحب. أو ربما في الليلة الثانية. بهذه الطريقة تبدأ هذه الأشياء عادةً. ولكن ما لم أكن أتوقعه كان بيان الحقيقة. الحقيقة كانت آخر شيء في حسباني. كان لا بدّ لي أن أعرف. العالم، على أي حال، هنا في أوشفيتز بدأ في اكتساب عادة جديدة. بدأ في اكتساب بعض المنطق.

تطلع السائق بتأثّر عاطفي أثناء خروجها من السيارة واتخاذ طريقها عبر الممر. ثم استدارات لمواجهتي. لم تبدُ كصورتها على الإطلاق. الفتاة في الصورة، التي كانت وجهها رائقًا.

قالت: «أنت غريب بالنسبة لي». *Fremder*: غريب.

«أرجوكِ»، قلت. «أرجوكِ يا عزيزتي». *Bitte. Liebling*.

قالت: «لا أعرف من أنت». *Ich Kenne dich nicht*.

أبقت هيرتا رأسها منخفضًا بينما أساعدها على نزع معطفها. ثم شعرت بشيء ما يحيط بي تمامًا، شيء كان مناسبًا تمامًا لمقاساتي، كبذلة أو زيّ رسمي، فوق وعلى ما أرتديه، و مبطّنًا بالحزن التام.

كان خجلها منيعًا غير قابل للاختراق. تناولنا الغداء بهدوء، بدون تبادل أي كلمة بالفعل، على السجق المسال. لم تتمكن هيرتا من التعامل بشكل جيد مع أدوات المائدة

Twitter: @ketab_n

الثقيلة والقطع الزجاجية السويدية. عندما غادر الخدم، ذهبتُ وجلست على الأريكة وحدّقت في البساط الجذّاب. لحقت بها. لم تؤثر فيها محاولاتي الطريفة والسوداوية في نفس الوقت للتودد إليها، كانت الكلمات ثقيلة جدًّا بحيث عجزت عن الانتقال بيني وبينها. في الحقيقة شعرت بالبعد عن نفسي تمامًا. ازداد الموقف سوءًا مع قدوم الصباح. ثم أصبح كارثيًا بعد زيارة تشنجية إلى المرحاض الصغير والمردد للصدى رغم ذلك، حيث كان هواءه الزلق مليئًا بالتيارات المتسابقة، ومصبوغًا برائحة النار. ذهبت إلى السرير وأنا ساخط بعض الشيء، بدون اهتمام حقيقي بنزع ملابسي. عندما استيقظت في حوالي الساعة الرابعة صباحًا، كنت ما أزال في حذائي الطويل، بينما كانت هي مستلقية بجواري، مختفية تمامًا في رداء نومها الصوفي، وتهمس بعنف، Nein. Nie. Nie. أبدًا. أبدًا. لم يبدو أن أي قدر من المداعبات أو التودد (أو المزاح سليم النيّة) كان قادرًا على تهدئتها - خرجتُ من السرير - اللعنة! - ثم نهضت متعثرًا من الأرض. كانت هيرتا الآن قد غرقت في النوم بسرعة. أتذكر التفكير في وجهها وكم بدا حينها مشرقًا وباردًا وساكنًا، خاليًا من أنفاس التفكير أو الإحساس، عندما خرجت متعثرًا حتى وصلت إلى ضجيج ممرات الخروج.

كانت مؤسستنا مؤسسة بشرية، لكن المملكة الحيوانية كان لها دورها في النظام الجديد للكائنات. أطنان من الجثث كانت تجرّف من حفر الدفن بواسطة البغال

Twitter: @ketab_n

والثيران، بغباء، وبدون إبداء أي تعليق حيواني. لم ترفع الأبقار رأسها وهي ترعى في العشب، حيث بدت وكأن لا مبالاتها تقول، لا مشكلة في الأمر، لا يحتاج هذا إلى إبداء ملاحظات عليه، كما لو كان من المعتاد أن يتم استنزال مقادير هائلة من السماء فوق النهر. احتفظنا بالأرانب كذلك، بنفس الطريقة التي تعاملنا بها مع البشر تقريبًا، بارتجال وذكاء بائس. تنازل الرجال عن بطانات معاطفهم الكبيرة. وبالطبع كانت هناك الكلاب، البوكسر، وجوهها المحطمة، معاطفها المتهدلة التي تحمل الرسمة الشهيرة للصليب المعقوف، على شرف اليهود الذين عالجوهم بأسنانهم وفكوكهم المرتعشة.

في غرفة النادي عرفت ما يلي: (أعتقد أنني على صواب في هذه المعلومة): ينحدر اليهود من القرود (من *Menschenaffen*)، وكذلك السلافيون ومن شابههم. بينما الألمان، على النقيض، محفوظون في لوح من الجليد منذ بداية الزمان في قارة أطلانتس المفقودة. من المفيد معرفة هذا. طالما بحثَ قسم الأرصاد الجويّة في أنربه *Ahnenerbe* في هذا الأمر. بشكل رسمي يعمل هؤلاء العلماء على تنبؤات الطقس على المدى الطويل؛ في الحقيقة، إنما يسعون لإثبات نظرية الجليد الكوني بشكل باتّ ونهائي.

يبدو هذا غريبًا مألوفًا. أطلانتس... التوائم والأقزام. أنربه *Ahnenerbe* هي قسم في الوحدة الوقائية *Schutzstaffel*: قوة الدفاع. أنربه *Ahnenerbe*: ميراث الأجداد. من أنربه

Twitter: @ketab_n

Ahnenerbe يستقبل «العم بيبي» جماجمه وعظامه.

أنا، بالطبع، على دراية بالألاعيب الأنثوية. ولكني أصبت بخيبة أمل كبيرة جدًّا عندما اكتشفت أن الليلة الثانية مع هيرتا لم تكن أفضل من الأولى. مضت بلا أي اختلاف في الحقيقة. بلا شيء «يذيب الجليد» - الجليد الكوني للزواج ربما؟ فكرة التآلف التدريجي لم تكن بدون إغراءها الظاهري. ولكني كنت أعتقد أننا سنصل إلى حل، بالتأكيد، في الليلة الثالثة والأخيرة، الليلة التي سنقضيها بمفردنا تمامًا.

كان رداء نوم هيرتا طفوليًّا، ومزخرفا بالجنيّات والأرواح. توسّلتُ إليها، هذه الأرواح والجنيّات. بهلوسة، في الليلة، على السرير، توسّلت إليها - أوه، حشرة الفراش التي لا تظهر إلا في الليل... كانت هناك فترات، في وقت سابق، كنت فيها أكثر هدوءًا وكنّا نتحدث قليلًا. تتحدث هي والدموع في عينيها عن das Baby؛ والرضيع يبدو كارثيًّا تمامًا. توصلتُ أيضًا إلى انطباع قوي أن هيرتا لا توافق على العمل الذي أقوم بها هنا. في همسها الغاضب كانت تدعوني بأسماء لا أفهمها. كانت هذه الأسماء تجعل وجهها قبيحًا، حتى في الظلام. لماذا أعجز عن الردّ؟

رحلت في اليوم وفي الليلة التالية عدت إلى العمل على ممرات الخروج. كيوبيد المراوغ. ما زلت لا أعرف كيف تبدو زوجتي. لم أنظر إلى وجهها أبدًا. ولم تنظر هي إلى وجهي أبدًا. ستتحسن الأمور. ستدركْ طبيعة الأمور في الوقت المحدد. هل كان أحد ما يخبرها باستمرار بما أفعله

Twitter: @ketab_n

بالعاهـرات الصلعـاوات؟

عـلى ممـرات الخـروج أسـفل أضـواء وسـهام المطـر يصيـح مكـبّر صـوت مستشـفى المجانـين «يسـار» *links* و «يمـين» *rechts*: الآبـاء، الأمهـات، الأطفـال، العجائـز، المبعـثرون كالأوراق في الريـاح. *Die... die Auseinandergeschrieben.* خطـرت ببـالي فكـرة جعلـت جسـدي بأكملـه يرتعـش بالعـار. لأن القطـارات لا نهائيـة وجحيميـة ولأن الريـح تبـدو كريـح المـوت، ولأن الحيـاة هـي الحيـاة (والحـب هـو الحـب) ولكـن لا أحـد يقـول أن الأمـر كان سـهلًا.

فكرّت قائلًا: لا توجد مشكلة بالنسبة للبعض.

مـع اسـتمرار الحـرب حـتى الآن بشـكل جيـد، ومـع الانحـدار الواضـح في أحمـال العمـل بعـد إنجـازات عـام 1944، ومـع الازدهـار العـام للثقـة والرفاهيـة، أصبـح طبيـب المعسـكر متفاجئًـا بشـكل معقـول مـن توفـر الوقـت والرفاهيـة اللازمـة لممارسـة هواياتـه. انسـحب السـوفييت الانطوائيـون إلى أخاديدهـم الجليديـة. يثبّـت طبيـب المعسـكر عويناتـه الأحاديـة ويمسـك بدفـتره الأكـثر ابتـذالًا. أو منظـاره وعصـا الصيـد. أيًـا كان. حسـب مـا تمليـه طبيعتـه. كان الشـتاء بـاردًا ولكـن الخريـف عـلى الأبـواب – الحقـول القصـيرة الخشـنة، ومـا إلى ذلـك. نهـر الفيسـتولا المبتسـم بتكلّـف. لـم أر في حيـاتي قملًا بهـذه الأعـداد. يبـدو بعـض المـرضى كمـا لـو كانـوا قـد أغرقـوا ببـذور الخشـخاش. صبـاح الخـير لـك، *Scheissminister!* في واحـدة مـن رسـائلها المريكة اسـتمرت هيرتـا في مناقشـة شرعيـة

Twitter: @ketab_n

العمل الذي نقوم به هنا. حسنًا. لنرى الأمر... أفترض أنه في إمكانك القول بوجود منطقة أو اثنتين «رمادية». المجمّع 11، والحائط الأسود، إجراءات الوحدة السياسة: أثارت كل هذه الأمور الجدالات الحيوية. وبالتأكيد لا توجد نهاية للثرثرة واللغو الذي يحدث عندما يتعامل المرضى «مع الأمر بنفسهم»، فهناك السور الكهربائي على سبيل المثال. كلنا نكره ذلك... أصبحتُ مشهورًا بتفرغي وإخلاصي الهادئ. يختفي الأطباء الآخرةن لأسابيع طويلة؛ ولكن في الجو الصيفي لمعكسر الاعتقال لا تكون لديّ حاجة لـ *Sommerfrische*. أحب شعور الشمس على وجهي، هذا صحيح. تفوّق العم بيبي على نفسه»العم بيبي» بمعمله الجديد: المنضدة الرخامية، الصنابير المصنوعة من النيكل، أحواض البورسلين الملطّخة بالدماء. قروية: هذه هي الكلمة التي تصف هيرتا. هل تعرف أنها لا تقوم بحلاقة ساقيها؟ هذا صحيح. أما بالنسبة للإبطين فيمكنك أن تتجادل بلا نهاية، ولكن الساقين - بالتأكيد - الساقين... في هذا المعمل الجديد الخاص به أصبح في استطاعته خلق الكائنات البشرية بأقل الاحتمالات الممكنة. كان لديه في مكتبه صندوق مليء بالعيون. لما يكن مستغربًا أن تراه متسللًا من غرفته المظلمة وهو يحمل رأسًا ملتفًا جزئيًا بورق جريدة قديمة: من الواضح أننا نحكم روما الآن. الشيء التالي الذي عرفناه أن هناك، أوه، لا أعرف، بولندي يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا ينزلق من المنضدة ويفرك عينيه ثم يسير متهاديًا عائدًا إلى العمل، يرافقه ممرض

Twitter: @ketab_n

يبتسم بتفّهم. نقوم بقياس التوائم معًا، «العم بيبي» وأنا، لساعات وساعات: لا نفعل سوى أخذ القياسات. حتى أكثر المرضى نحولًا يكشفون صدورهم للكشف الطبي في المجمّع الأخير في الناحية اليمنى: خمسة دقائق بالكاد قبلها ذلك يصبحون مستويين على أرضية الـ *Inhalationsraume*. ستكون جريمة - ستكون جريمة أن نتجاهل الفرصة التي يوفرها أوشفيتز لتقديم العون... أراه على عجلة القيادة لسيارة مرسيدس بينز، في اليوم الذي تم فيه إنشاء مخيّم الغجر، ينقل الأطفال بنفسه من «المستشفى المركزي». مخيّم الغجر، بأزهاره الواعدة، وجماله القذر. يصيح الأطفال: «العم بيبي!»، «العم بيبي!». متى كان ذلك؟ متى كان تعاملنا مع مخيّم الغجر؟ قبل مخيّم العائلات التشيكية؟ نعم. أوه، منذ زمن طويل. جاءت هيرتا مرة أخرى. لم يكن من الممكن اعتبار زيارتها الثانية على أنها نجاح كامل، رغم أننا كنا أكثر حميميةً من قبل، وبكينا سويًا على الرضيع. بالنسبة لما يسمّى بالعمليات «التجريبية» التي يجريها «العم بيبي»: فقد حقق نجاحًا اقترب تمامًا من مائة في المائة. مقلة عين ملتهبة بشكل صادم يتم تصحيحها فورًا بعملية حقن واحدة. مبايض لا عدد لها وخصيات يتم ترقيعها بشكل سلس في مكانها. تمضي النساء خارجات من ذلك المعمل وعمرهن يبدو أصغر بعشرين سنة. يمكننا صنع رضيع آخر، هيرتا وأنا. إذا بكيت بغزارة قبل وبعد العملية، قد تسمح لي بذلك، أو محاولة تحقيق ذلك، ولكنني عاجز جنسيًا ولا أذهب إلى العاهرات على

Twitter: @ketab_n

الأقل. لا قوة لديّ. أصبحتُ عاجزًا بالكامل. الرائحة الحلوة هنا، الرائحة الحلوة، واليهود المنبهرين. «العم بيبي» لا يترك وراءه ندوب أبدًا. أنت تعرف أن الأمور هنا لا تدور حول الجمال والضوء فقط، ليس بأي طريقة كانت. بعض المرضى كانوا أطباء، ولا يمر وقت طويل حتى يعودوا إلى خدعهم القديمة. أصبحت شخصية بارزة في الحملة ضد هذه القاذورات. سيصبح الرضيع هنا قريبًا وأشعر بالقلق الشديد بسبب هذا. «العم بيبي» على صواب: أحتاج إلى إجازة. ولكن زيارتي إلى برلين لحضور الجنازة اتضح أنها قصيرة بشكل رحيم: أتذكر فقط الأخشاب المبتلة للشوارع، ومصابيح المتاجر التي تشبه صمامات راديو قديم، وفناء الكنيسة الغارق في مياه الأمطار، وجلد ومشاكل الوزن لدى الكاهن الشاب، وأبوي هيرنا، ووجه هيرتا البشع. هناك حرب قائمة، أخبر الجميع دائمًا. نحن في الخطوط الأمامية. ماذا نحارب؟ الفينول؟ أثناء عودتي من برلين إلى ضوء ورحابة معسكر الاعتقال، لا شيء أوقفني سواء تلغراف. الرضيع ضعيف جدًّا، والأطباء فعلوا كل ما في وسعهم. كان التابوت بطول خمس عشرة إلى عشرين بوصة تقريبًا. أناضل في حرب الفينول، بدون كلمة شكر واحدة، لا أحد يظهر لي أي امتنان. يبدو أنني أصبت بضيق في التنفس - ربو ناشئ عن التوتر ربما - خاصة عندما أصيح بأعلى صوتي. أضطر إلى الصياح. الحفر تنفجر بما فيها في غرفة الرش، عندما يلمس الحرّاس الفتيات الصغار، وأكرر أنا اعتراضاتي، يبدءون في السخرية ومحاكاة العزف على الكمان.

Twitter: @ketab_n

يعتقدون، لأنني الآن زوج وأب، أنني أصبحت تقيًا وعاطفي بشكل صبياني. أتطلع إلى رؤية صغيرتي إيفا، بالطبع؛ الموقف الحالي، رغم ذلك، مضلل تمامًا. كنت قد توقفت عن الذهاب إلى الماخور ولكنني على الأقل أعرف الآن لماذا كنت أذهب إلى هناك: لأتلقى الامتنان والعرفان بالجميل. أصبح الأطباء المرضى خارج السيطرة تمامًا. لسبب ما، هم الآن متحمسون بشكل خاص في تدخّلهم مع الأطفال: كم كان هذا مقززا وشريرًا، عندما تعرف أن هؤلاء الأطفال، أيا كان الأمر، لن يكونوا موجودين لفترة طويلة. لم «أشترك» في الأمر للحصول على الامتنان. لا. لقد»اشتركت» في الأمر – إذا أردت أن تعرف لماذا – لأنني أحب الجسد البشري وكل الأشياء الحيّة. لم يكن فقط الفينول ما نحاربه، ليس بعد الآن. بهذا المعنى توسعت جبهة الحرب. أصبحت الحرب على الموت تتخذ الآن صور متعددة. إلى جانب الفينول فنحن ملتزمون باستخلاص حمض البروسيك وصوديو إيفي بان. الوقت في طريقه للنفاد، لقد فقدنا غرفتي رش. تبدأ قلوبنا في الارتعاش عندما يوشك كل هذا على الانتهاء وعندما تتكدس الأرواح كالطائرات البائسة التي تدور حول المطار. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى بعض الاستثناءات: عجوز يحتضن ويقبّل حذائي الأسود الطويل: طفلة تتشبث بي بعد أن أضعها بين يدي «العم بيبي». ولكن لم أنل أي شكر عاقل أو متأني، ولو لمرة واحدة. أوه، أنا لا أشتكي. ولكن لا أحد يرفض الشكر. «العم بيبي»، الذي اعتاد على شكري، اختفى منذ شهور، ليتركني مع أجهزتي الخاصة.

Twitter: @ketab_n

أحببت هذا الرجل. وكذلك حمض البروسيك وصوديوم إيفيبان. أقوم الآن باستخلاص البنزين، والجازولين، والكيروسين، والهواء. نعم، الهواءّ الكائنات البشرية ترغب في الحياة. تتوق للحياة. عشرين سنتمتر مكعب من الهواء – عشرين سنتمتر مكعب من اللاشيء – هو كل ما تحتاجه لتحقيق الاختلاف. لا أحد يشكرني إذًا، وبمحقنة بحجم آلة الترومبون الموسيقية تقريبًا وقدمي اليمنى جاثمة بثبات على صدر المريض، استمر في شنّ الحرب ضد الهواء واللاشيء.

Twitter: @ketab_n

6

حاصل ضرب صفر في صفر هو صفر دائمًا

حسنًا، كيف تتابع هذا الموضوع؟

الإجابة هي: لا تستطيع متابعته. بالطبع

لا تستطيع

ثم تأتي لحظة يكون عليك فيها تمنّي النهاية أو الأقل إعلان حدّ للتضحيات التي تقدمها. أوه، لستُ قديسًا، يعلم الله. لستُ هنا فقط للعيش من أجل الآخرين فقط. ورغم استمراري في تقديم مساهمتي، شعرت حقًا أن الوقت قد حان للبحث عن رقم واحد.

تتابعت حياتي في معسكر الاعتقال بنشاط قوي، مع اهتمام عجيب بالحياة الزوجية، ومع عاطفة كبيرة. هذا الأمر الجديد في حياتي الذي يسمّى العاطفة. نظرتُ إلى رحيلي عن أوشفيتز كنقطة تحوّل كبيرة. لم يخطر على بالي أبدًا أنني سأتعافى من المعاناة التي عرفتها خلال أيامي الأخيرة هناك، وخصوصًا ساعاتي الأخيرة. ولكنها مرّت، بأسرع من أي حمّى مستنقعات، في الوقت الذي بدأت فيه رحلتي نحو برلين - وحلت مكانه العاطفة، بعد تتابع عدد لا يحصى من الحساسيات، التي لم تكن بدون عناصر الألم المحورية الناتجة عنها. كان ألمًا، ربما، ناشئًا عن كوني شابًا.

Twitter: @ketab_n

كان عام 1942. وكنت حينها في الخامسة والعشرين... القطار المتجه إلى برلين، بالمناسبة، كان سريعًا ومنطلقًا. لم تكن محطة أوشفيتز مجرد تحويلة أو محطة انطلاق. كانت أكبر محطة رأيتها في حياتي، وتخدم أوروبا كلها بطرق مباشرة. واحدة من شحناتنا الأخيرة انطلقت مباشرةً إلى باريس: القطار الخاص 767، إلى بروجيه-درانسي. كان أوشفيتز سرًا. تغطي مساحة أربعة عشر ألف هكتار، كان غير مرئيًا. كان موجودً، وغير موجودًا. كان من عالم آخر. إذًا، كيف يمكنك متابعته؟

تحوّلت هيرتا بشكل كامل. نعم، لم يعد بالإمكان تقريبا التعرّف على زوجتي. إنها حامل، في نهاية الأمر – استثنائية ومتألقة؛ وتقوم بتدليلي بشكل خيالي. لا أعرف بالضبط ماذا فعلتُ لأستحق هذه التغيّر الجذري في الأوضاع. رضيعنا الألماني يتمتع بأبعاد مربكة: فهو أكبر حجمًا، على غير الطبيعي، من المرأة نفسه. هيرتا ليست أكبر من خيط في اللفافة التي ينام فيها الرضيع. في الوقت الحالي نقيم مع أبويها في منزل صغير ولكنه عملي في الضواحي الجنوبية لبرلين. نقضي معظم الوقت في تفكير كئيب حول اسم الرضيع. كنا نميل في البداية إلى إيفا أو ديتر، ولكن يبدو أننا أصبحنا مستقرين أكثر على برجيتا أو إدوارد. بعقلانية، وبمجهود رغم ذلك، تقوم هيرتا بتفكيك ملابس الرضيع. أنا نفسي كنت أقضي ساعة أو ساعتين يوميًا في كوخ الحديقة مع والد زوجتي، نقوم بتفكيك سرير الرضيع وكرسيه

Twitter: @ketab_n

العالي. غرفتنا. غرفة هيرتا، يبدو أنهت جاهزة بشكل مشابه لطفولتها التي ستظهر في نهاية الأمر. جنيّات حائط الورق تبتسم متطلعةً إلى السرير الزواجي أسفلها، وهو سرير مفرد، صغير وكأنه سرير في جدار سفينة. رائحة اللبن فيه تغلّف هيرتا، ثدياها الجديدان الصادمان للصدمة، بطنها البيضاوية. يأتي الرضيع بيننا، يصبح الوضع أكثر راحة إذا استلقت هيرتا على جانبها واتخذت أنا مكاني خلفها. بشكل مثير للضيق، رغم ذلك، ما زلت عاجزًا. إنهاك عصبي، بلا شك؛ ربما، أيضًا، تذكير مذنب (نتيجة الطريقة التي تتجاور بها أجسادنا) بالامتنان الذي خبرته في المعسكر. رغم أن هيرتا لها شعر: الكثير من الشعر. على أي حال، تحدثت إلى طبيبها حول الأمر، بشكل لا يطاق، وقال أن هذا رد فعل ذكوري شائع جدًّا تجاه الحمل. نعم، إما هذا أو أنه العمل الذي كنت أقوم به. وما زلت أقوم به. أوه، تعرف كيف هو الأمر. يمكنك القول: كفانا هذه الأجساد المشغولة والمثاليين المتغطرسين! ثم تصبح هناك مرة أخرى، تفعل ما يمكنك فعله. بعد إجازتي التي استمرت لأسبوعين أكملت جولة من المهام لخمسة أشهر في الشرق مع سرية من الوحدة الوقائية SS، حيث عملنا، إذا كان هذا ممكنًا، في اتجاه رياح الانسحاب العسكري من الاتحاد السوفيتي. أحب الاعتقاد أننا أنجزنا صفقة مربحة، رغم أنها أمور متواضعة مقارنة بمعسكر الاعتقال. أمور تافهة وبدائية. وكارثية من الناحية الجمالية أيضًا بالطبع. ترفرف العاطفة من حولي الآن. ويستمر العالم في اكتساب بعض

Twitter: @ketab_n

المنطـق، ولكـن العاطفـة لا تهتـم كثـيرًا بالمنطـق، وتتسـاءل كيـف تشـعر الأشـياء.... يمكنـك تخيّـل وجهـي، في هـذا الوقـت، كمثـال عـلى التوتـر. تقريبًـا كما يبـدو أثنـاء اسـتلقائي في الظلام، محشـورًا بـين هيرتـا المتغـيّرة والحائـط البـارد، بثقـة كاملـة في الإخفـاق الشـهواني. ثـم يحـدث الأمـر - أو لا يحـدث - ثـم تقـوم بتشـغيل المصبـاح وارتـداء ملابسـك بحـزن. الحـزن هـو مُلـكك الخـاص؛ يناسـبك بالكامـل. نظـرة هيرتـا أحيانًـا، ونظـرة أمهـا، وحـتى نظـرة أبوهـا، وهـي قاسـية وعادلـة، وفي صفـي (ولكـني لا أريدهـا): هـذه النظـرات تقـول أن في يـديّ ترقـد قـوة بائسـة ومهلكـة معًـا. أنـا كليّ القـدرة. وعاجـز أيضًـا. أنـا قـوي وضعيـف.

كان صيفًـا مـن الرعـد وسـطوع الشـمس وأقـواس قـوس قـزح المزدوجـة. كانـت هنـاك انكشـافات. وفيـه تقابلـتُ أخـيرًا وجهًـا لوجـه مـع الرضيـع القنبلـة، محققًـا بذلـك النبـوءات السـاخرة لأحلامـي. وبـأمّ عيـني رأيـت السـاعة المتوقفـة في تربلينـكا....

مـا كانـت تفعلـه الوحـدة يمكـن رؤيتـه، في رأيي، كاسـتمرار طبيعـي لعمـلي في ليجـر. كنّـا في مقدمـة البيروقراطيـة والعلاقـات العامـة. في هـذه اللحظـة كان يجـري إلغـاء تجميـع اليهـود، كانـوا في مرحلـة إعـادة دمجهـم في المجتمـع، وأصبـح عـلى عاتقنـا تقديـم المسـاعدة في تفكيـك وتشـتيت الأحيـاء اليهوديـة، حيـث كانـت الإنـارة دائمـة الأعطـال، و الأطفـال يبـدون جميعهـم عجائز جـدًّا وممتلئين بالمعرفة، وكل شـخص يتحـرّك ببـطء شـديد جـدًّا أو سرعـة شـديدة جـدًّا. حـتى كإجـراء

Twitter: @ketab_n

مؤقت، فإن الأحياء اليهودية، يشعر المرء، كانت إخفاقًا، وتثير الشكوك، لفترة قصيرة ومع ذلك مثيرة للغثيان، بأن تلك المؤسسة بأكملها، الحلم بأكمله، كانت مهيبة بشكل متكلّف وقاتل: أعداد كبيرة جدًّا. كبيرة جدًّا. تطلّع الكثيرون إلى اجتثاث هذه الحوائط.... أحد الأحياء اليهودية، وهو ليتسمانشتادت، كان له «ملك»: تشايم رومكوفسكي. رأيته بنفسي يسير في موكب عبر الشوارع المندهشة، مع حاشيته، في عربته المدفوعة بحصان أبيض يشبه كيس ورق مليء بالماء والعظام. كان رومكوفسكي سيدًا. ولكن سيدًا لماذا؟

حسنًا، لقد بدأنا في التدخل، ناقلين الناس عائدين بهم إلى قراهم وما إلى ذلك. أمور لوجيستية. ولكن العمل أيضًا كان له بعده الإبداعي. استخدمنا العربات الفان، الفان التي تحمل الصليب الأحمر؛ والبنادق الآلية؛ والديناميت. اتضح أن لدي موهبة متواضعة في العلاج العصبي النفسي. الرجال الذين أقدم لهم الاستشارات (والمهدئات الموصوفة) يشكون، لفترة قصيرة، من الكوابيس والقلق وعسر الهضم – ولكن جميعهم يستردون صحتهم بنهاية الجولة. الإجراءات التي تم تطبيقها علينا أحيانًا كانت فظة بشكل بائس، وفي الحالات التي استخدم فيها الديناميت، تطلب الأمر ساعات من التحضير القاصم للظهر. ولكن هذه هي مهمتنا، أي كان الآمر: لاستعادة وحدة ألمانيا. لمعالجة جروحها وجعلها وحدة واحدة.

Twitter: @ketab_n

في صباح أحد الأيام الممتلئ برقائق الثلج المائلة والبرك المتجمدة كنا نقوم بتفريغ بعض العائلات اليهودية في قرية بدائية على نهر بَجّ. كان هذا هو التتابع المعتاد: نتلقط هذه الدفعة مثلًا من المقابر الجماعية، في الغابات، ونقف بجوار عربة الفان على الطريق المجاور بينما يؤدي أول أكسيد الكربون عمله. كان كل رجالي يرتدون زيّ الأطباء، بأرديتهم البيضاء وسمّاعاتهم المتدلية، وحديثهم وضحكاتهم وسجائرهم، منتظرين السيل المعتاد من الصرخات والضربات المكتومة القادمة من داخل الأرض.. أنا نفسي كنت أتسلى بسيجار ذو طابع فلسفي.... ثم نقودهم إلى نقطة أكثر قربًا من المدينة، حيث يكون أحد رجالنا مستعدًا بأكوام من الملابس. يصطفون في الخارج. بينهم كانت هناك أم ورضيعها، كلاهما عراة، بشكل طبيعي في هذه الظروف. كان الرضيع يبكي بإيقاع طويل ذو عزم وقوة، غالبًا بسبب ألم في الأذن. وأمه بجواره مذهولة بالفعل بسبب هذا الصراخ. بدت مندهشة بالفعل - وبدا الموت على وجهها. للحظة تساءلت إذا كانت قد تعافت بالكامل من أول أكسيد الكربون. كنت قلقًا.

ثم نصطحب هذه المجموعة التي تتكون من ثلاثين روح تقريبًا إلى مستودع منخفض عن الأرض يضم آلات خياطة بدائية مبعثرة ومغازل ومدقات للأقمشة. ثم نقوم بالمعتاد المتمثل في حشرهم ودفعهم إلى الأقباء والمباني الملحقة الخاصة بهم، ولكن هؤلاء اليهود، الذين يقودهم الطفل

Twitter: @ketab_n

الرضيع، يتخذون طريقهم المقدس مارّين بسلسلة من الستائر والأغطية المعلقة من السقف، واحد تلو الآخر، عائدين عبر لوح مفقود في الحائط. أقوم أنا باستبدال هذا اللوح بتحية منطوقة بنعومة: «صباح الخير *Guten Tag*». لا أعرف. كنت متأثرًا بصمتهم المستمر، بالصرخات المكتومة للرضيع. صحت في الرجال: «إلى الخارج! إلى الخارج *Raus! Raus!*»، وأسرعوا بعدها لاكتشاف مقرّهم، وإلقاء بعض الأدوات التافهة على الأرض، مع بعض الطعام، وبعض الخبز والطماطم، وهو ما كان معتادًا للاستخدام اللاحق لليهود. «*Raus! Raus! Raus!*». ورغم ذلك أظل بمفردي في المستودع الساكن، رابضًا بجوار الحائط، ومنصتًا. منصتًا لماذا؟ لبكاء الرضيع، وللصوت الذي قد يكون من صنع الكوكب بأكمله في محاولته لخلق السكينة: «ششش... ششش». سكوت الآن. سرتُ على أطراف أصابعي بعيدًا، ولحقت بالرجال. هدوء. من الأفضل تركهم يتعاملون مع هذا الأمر. ششش. قد تكون هذه هي الطريقة التي يمنحون بها شبابهم الهدوء. ثلاثين روحًا في الفجوة السوداء، يقولون ششششش... ثم يزداد حب الرضيع حينها بوضوح. ولكنه بالطبع لم يكن يتمتع بأي قوة على الإطلاق.

أخيرًا تربلينكا، التي زرناها زيارة مجاملة لفترة قصيرة أثناء رحلتنا إلى الوطن عبر شمال بولندا إلى الرايخ. كان هذا المكان نصف مفكك هو أيضًا، انتهى العمل فيه. كما هو الحال مع أوشفيتز، لن يوجد نصب تذكير لتخليد

Twitter: @ketab_n

هـذه البقعـة. ولكـني لـم أكـن متأخـرًا جـدًّا. ذهبـت لرؤيـة «محطـة القطـارات» الشـهيرة - الـتي كانـت مجـرد مجموعـة مـن العـوارض، كانـت واجهـة. وبالنظـر إلى جانبهـا، كانـت ترتفـع كشـظية في اتجـاه سـماء الشـتاء. كانـت الفكـرة بالطبـع أن يتـم تطمـين اليهـود - يهـود أحيـاء وارسـو، ورادوم، وبايلسـتوك الـذي كان المعسـكر قـد تعامـل معهـم. كانـت هنـاك لافتـات ومـا إلى ذلـك، تشـير إلى المطعـم ومكتـب التذاكـر والهاتـف، وتقـدم معلومـات إلى المسـافرين حـول المكان الـذي يتوجـب عليهـم التبديـل فيـه لمواصلـة رحلتهـم الماضيـة قدمًـا، وسـاعة, كل محطـة، كل رحلـة، تحتـاج إلى سـاعة. أثنـاء مرورنـا بهـا، في طريقنـا لرؤيـة المحاجـر، كان العقـرب الكبـير عـلى رقم اثـني عـشر والعقـرب الصغـير عـلى أربعـة. وهـو مـا لـم يكـن صحيحًـا! خطـأ: كانـت السـاعة 13:27 بالضبـط. ولكننـا مررنـا بهـا مـرة أخـرى، لاحقًـا، ولـم تكـن العقـارب قـد تحرّكـت إلى وقـت سـابق. كيـف يمكـن لهـا أن تتحـرك؟ كانـت مطليـة، ولـم يكـن لهـا أن تتحـرك أبـدًا إلى وقـت سـابق. أسـفل السـاعة كان هنـاك سـهمًا عملاقًـا، مكتـوب عليـه: قـم بالتبديـل مـن هنـا لقطـارات الـشرق. ولكـن الزمـن لا سـهم لـه، ليـس هنـا.

في محطـة القطـارات في تربينـكا، كانـت الأبعـاد الأربعـة مرتّبـة بشـكل مثـير حقًـا. هـذا مـكان بـلا عمـق. مـكان بـلا زمـن.

مـا تـزال هيرتـا متصالحـة جـدًّا، أو صامتـة تمامًـا عـلى الأقل، مـع عجـزي الجنـسي. بعـد جولـتي، لـم أتوقـع أن تتحسـن حالـتي فـورًا. ولكـن هـذا أمـر سـخيف. يبـدو أن العمـل الـذي

Twitter: @ketab_n

أقوم به يستغرق كثيرًا مما هو جوهري داخلي لدرجة أنه لا يبقى شيء منه. لا شيء يبقى لهيرتا. بهذا المعنى أفترض أنني أقدم تضحيات كبيرة. خلال جلسات الاستشارات، أشار بعض من جنود المظلات الشباب إلى عجزهم كجزء رئيسي من الصعوبات التي تواجههم. كانت مسئوليتي هناك بسيطة. أخبرتهم ألا يقلقوا بخصوص ذلك، وأن الأمر مجرد مزحة، لأنني كنت نصف ميت بسبب القلق حول نفسي. الجزء الصغير داخلي، ينبغي القول، الذي نجا من الموت: بسبب العجز. نعم، الشيء الأكثر إمتاعًا، إخبارهم أن عليهم أن يكونوا قساة (*harte*)، أن عليهم أن يكونو رجالًا (*Menschen*). ثم نجلس ونواجه بعضنا بعضًا، لا شيء سوى صفرين مشبعين بالماء. حاصل ضرب صفر في صفر هو صفر دائمًا. في نفس الوقت، كنت أقوم بحساباتي في منطقة أخرى وغالبًا ما كنت أجمع اثنين زائد اثنين، واعتقدت أن شيئًا ما سيحدث قبل أن يهدأ تفكيري - شيئًا ما يفسر وجود الرضيع. رضيعنا قنبلة أيضًا: قنبلة زمنية. وإذا لم أنجح في ذلك... بطن هيرتا آخذةٌ في الانخفاض. لم أعد مضطرًا إلى التواري باسترخاء خلفها. أصبحت أتوارى باسترخاء فوقها هذه الأيام. بغيابي أكون أكثر ظهورًا. لم نعد نتحدث عن هذا الأمر، حمدًا لله. ولكني أفترض أنه ما زال ملحوظًا.

حدث فعل الحب - فقط مرة واحدة لا غير - فورًا قبل أن أتّخذ وظيفي الجديدة في شلوس هارتهايم، بالقرب

Twitter: @ketab_n

مـن ليـنز، في مقاطعـة النمسـا. هـذه أشـياء تحتـضر فعـلًا: حـدث ذلـك في قلـب عاصفـة مـن الدمـوع لا بـدّ أن المـنزل بأكملـه قـد سـمعها برعـب. كنـتُ مـا زلـت أبـكي عندمـا ارتديـت حـذائي الطويـل والتقطـت حقيبـة أدواتي؛ وبعـد أحضـان بائسـة معـدودة انطلقـت إلى النجـوم والثلـوج - أبـراج الثلـوج، وعواصـف النجـوم.

بأرضيّاتهـا البرّاقـة، وأفنيّتهـا ومداخلهـا المقنطـرة، بـدت شـلوس هارتهايـم - الـتي تبعـد سـاعة عـن ليـنز، باتجـاه إيفردينـج - وكأنهـا تقـدم السـياق المثـالي لاسـتعادة عافيـتي بشـكل كامـل. قلعـة عـصر النهضـة هـذه كانـت حـتى وقـت قريبًـا مـأوى للأطفـال. وعندمـا تجلـس، مرتجفًـا بالنسـيان، عـلى واحـد مـن المقاعـد في الحدائـق المتجمـدة، ذات العشـب الـذي يشـبه الشـعر الأبيـض المشـدود مـن الرعـب، تشـعر وكأنـك تسـمع أشـباح صرخـات الأطفـال وصيحاتهـم - لأنـه لا بـدّ أنهـم لعبـوا هنـا محتشـدين معًـا. وراءك تقـف النوافـذ الطويلـة، في صفـوف مـن خمسـة نوافـذ، والناظـر إلى داخلهـا يلمـح دائمًـا اللـون الأحمـر المـائي. دلـو، وممسـحة؛ ممـرض في معطفـه الأبيـض؛ ونظـرة مريـض لا يمكـن تبـيّن كنههـا. هـذه الرائحـة مـرةً أخـرى. الرائحـة الحلـوة... أنحـني الآن وألتقـط طائر ميّـت تراخـت أجنحتـه وانفتحـت كمروحـة أو كشـوارع برلـين تحـت شـباكها التمويهيـة. برلـين، حيـث تنتظـر هيرتـا.

باعتبارهـا قنطـرة مؤسسـية، كانـت شـلوس هارتهايـم جـزءًا مـن نسـياني لتجربـتي في معسـكر الاعتقـال. رغـم ذلـك، بعيـدًا

Twitter: @ketab_n

عـن الاختلافـات الواضحـة في الحجـم، كانـت هنـاك تشـابهات وثيقـة. يمكنـك رؤيـة الـروح الجماعيـة، والتكتّـم الماسـوني والتميـيز الغريـزي، نفـس المـودّة والتزامـل والعـزم، ونفـس الاعتمـاد عـلى الكحـول. كان ترتيـبي الوظيفـي يقـع بـين اثنـين مـن كبـار الضبـاط الأطبـاء وأربعـة عـشر ممـرض؛ سـبعة ذكـور، سـبعة إنـاث. هـذه ليسـت دارًا للنقاهـة: لا يقـضي أي مريـض الليـل هنـا. يـأتي أتوبيـس بنوافـذ ملطّخـة ويندفـع إلى سـاحات القلعـة الأسـطورية، إلى السـحر المنهـك والبـارد لشـلوس هارتهايـم.

كان الأمـر يمـضي عـلى شـكل تتابـع. الخطـوة الأولى هـي وصـول جـرّة مـن الرمـاد، مرسـلة إلينـا مبـاشرةً مـن عائلـة المريـض، الـتي تقـوم أيضًـا بإخطـار إدارة خطابـات العـزاء في برلـين، الـتي نعمـل معهـا بالتـوازي. هـذه الرمـاد، بأجـزاء الصغـيرة، يكـون مصحوبًـا بشـهادات وفاة لأفـراد بعينهم؛ ولكن الرمـاد هـو الرمـاد، وكل أجـزاءه تبـدو بنفـس الشـكل، يذهـب بعدهـا مبـاشرةً إلى بوتقـة في محرقـة هارتهايـم. مـا الخطـأ في الموضـوع؟ مـا الـذي كان يجـري؟ هـل كانـت الأفـران معطلـة؟ هـل كانـت «الغرفـة» معيبـة؟ لأن النـاس الذيـن أنتجناهـم لـم يكونـوا بخـير أبـدًا. كل هـذا السـحر والهلوسـة، كل هـذا الأرق والإسـهال الـذي كان يحـدث في أوشـفيتز 0 لـم يعـد ذو فائـدة الآن. نعـم هـذا صحيـح. العنابـر، وغـرف الكشـف، والحدائـق الصامتـة في شـلوس هارتهايـم كانـت مثقلـة بشـعور السـحر العاجـز. في البدايـة لـم يكـن المـرضى بهـذا السـوء فعـلًا.

Twitter: @ketab_n

بعض العيوب الصغيرة. أقدام مشوّهة. أفواه مشقوقة. ولكن لاحقًا أصبحوا عاجزين بالكامل. أحاول ألّا أنظر إليهم عن قرب، المرضى، بينما أقودهم في أرديتهم الورقية من «الغرفة»؛ أستمر في تخيّل أحشائي، حيث يوجد شيئًا ما صلب ومن صنع البشر، كأنبوب من الرصاص، متمزّق ومسحوب. هنا، التردد الرقيق للعميان. هناك، الأعضاء المبتورة، الوجوه مختلفة الأضلاع للصمّ. السيدة ذات الشعر الأبيض تبدو بخير ولكن كل شيء خاطىء. الصبي المجنون يصرخ بينما يطارد الممرضين الذكور على امتداد الردهات الرطبة. الفتاة المجنونة جاثمة في ركن الغرفة ترفع فستانها والمادة التي لا يمكن التسامح فيها تخرج من فمّها. يوجد شيئًا ما، نسميه هنا، كالحياة التي لا تستحق الحياة، لا أعرف شيئًا بخصوص ذلك، ولكن لا أحد يرغب فيهم، ولا حتى نحن، يغادرون من هنا في نفس اليوم متجهين إلى مكان آخر، في العربة ذات النوافذ الملونة.

تأتي هيرتا إلى زيارتي متى استطاعت ذلك، وهو ما لا يحدث كثيرًا، لأننا في وقت الحرب بالطبع. نقيم في جاستهاوس دراي كرونين في لاندستراسيه بالقرب من لينز، حيث أكون عاجزًا أيضًا، قضينا عطلة نهاية أسبوع رومانسية في فندق جريتشيت في فيينا، كنت فيها عاجزًا. يوجد ملحق صغير للضباط في القرية نفسها لأتمتع بعجزي فيه، كما هو الحال في هذه الشقة الصحية التي يزداد اعتمادنا عليها. مع مرور الوقت، تبدو هيرتا منزعجة

Twitter: @ketab_n

أكـثر وأكـثر - حيـال عجـزي. تقـول أنـني تغـيّرت ولكـنّي لا أعتقـد أن هـذا صحيـح. كنـت عاجـزًا عـلى مـدى أي فـترة زمنيـة يمكنـني تذكرهـا. توبّخـني أيضًـا عـلى العمـل الـذي أقـوم بـه في شـلوس هارتهايـم. توجـد شـائعات في القريـة، توجـد نميمـة - حديـث المراحيـض. تتلقاهـا هـي بشـكل خاطـىء تمامًـا، ولكـنّي حينهـا أسـتخف بهـا ولكـن بأقـل ممـا يجـب. تتشـابك أيدينـا عـبر المنضـدة في المقهـى. نفـترق. لاحقًـا في الغسـق اسـتمتع بسـيجار مرتبـك أثنـاء صعـودي عـلى التـلّ للوصـول إلى القلعة، إلى شـلوس هارتهايـم. أعـلى ممراتـه المقببـة وأسـطحه المثلّثـة، كانـت سـماء المسـاء مكتظـة بأخطائنـا الصادمـة، والسـحب مستسـقية الـرأس، والسـطح المنحـني بشـكل خاطـىء للغـرب، ورمـاد حرائقنـا. يمكنـني رؤيـة خصلـة مـن الشـعر البـشري الأبيـض كالثلـج تنسـاب إلى أعـلى، ثـم تنضـم إلى الإيقـاع الأكـثر بيضاويـةً وزخمًـا للهـواء الوسـيط. سـتقام اليـوم حفلـة في قبـو شـلوس للاحتفـال بوصـول مريضنـا رقـم خمسـة آلاف (رغـم أنـني عـلى يقـين أنـه كان لدينـا أكـثر مـن ذلـك بكثـير، بكثـير جـدًا)، مـع مانفريـد عـلى الأكورديـون: أغـاني، وأنخـاب، وقبعـات احتفاليـة ورديـة. كرسـيتيان فـيرث، مديرنـا المرتحـل دائمًـا، سـيكون هنـا: مـع بطنـه، ولغتـه المبهرجـة، ووجـه المتفجـر بالسـكْر. المريـض رقـم خمسـة آلاف سـيكون حـاضرًا أيضًـا، مرتديًـا القبعـة الورقيـة (والقميـص الـورقي)، معلقًـا في رحلتـه بـين النـار والغـاز، منتظـرًا جولـة التشـوّه، والهلوسـة، والحـكّ.... يمـضي بمفـرده، أوديلـو أونفيردوربـن.

Twitter: @ketab_n

بمفرده تمامًا.

أنا، من لا اسم له ولا جسد - أنزلق خارجًا منه وأتشتت إلى أعلى كرقائق من الشعر البشري الأشقر الشاحب. لم أعد أستطيع تحمّل الإله المتهدّم، الغارق في الخيانة والهزيمة بسبب سحره الخاص. بعد أن استدعى قوى كان من الأفضل ألا تحضر، استطاع تشتيت الكائنات البشرية - ثم جمعها معًا مرة أخرى. لفترة نجح الأمر معه (كان هناك خلاص)؛ وعندها كنت أنا وهو واحدًا على ضفاف نهر الفيتسولا. جمعنا سويًا مرة أخرى. بالطبع يجب ألا تفعل أي شيء من هذا النوع مع الكائنات البشرية.... انتهت الحفلة. يرقد هناك في الهرم المتقشّر لحجرة نوم العليّة، على سريره النقال المجوّف كقناة مائية. وسادة وردية رطبة ملتوية في قبضتيه. سأكون دائمًا هنا. ولكنه سيكون بمفرده.

Twitter: @ketab_n

7

تحبّني، لا تحبّني

توقف العالم عن اكتساب المنطق
مرة أخرى، ونسي أوديلو كل شيء
مرة أخرى (وهو ما كان محتملًا
تمامًا)، وانتهت الحرب الآن (ويبدو
لي بوضوح كبير أننا خسرناها)،
وتستمر الحياة لفترة قصيرة.

أوديلو بريء. أحلامه بريئة، مطّهرة من الخطر والمرض. أوه، بالطبع، فهو يرتعش على أقطاب زلقة طويلة كبعد القمر عن الأرض، يعدو عاريًا خلال الأنفاق بينما يصدح المنبه بجواره، إلى آخره - رغم ذلك لا توجد أي تداعيات مثيرة للقلق. إلى جانب هذا كله، يتمتع نومه بالعديد من الانتصارات الفجّة مع صناديق الكنوز وخصلات الشعر والفتيات الجميلات النائمات. وأحواض المراحيض. الروح الحارسة لهذه الأحلام لم تعد الرجل ذو المعطف الأبيض والحذاء الأسود الطويل: إنه امرأة، امرأة بحجم وشكل شراع سفينة هائلة الحجم، امرأة يمكنها التسامح معه في كل شيء. ظنّي أن هذه المرأة هي أمه، وأتوق لمعرفة متى ستظهر. أوديلو بريء. أدويلو، اتضح الآن، بريء، وعاطفي،

Twitter: @ketab_n

ومحبوب وغبي.

ومتمتعًا بالفحولة أيضًا. لا قوة لديه بالطبع من أي نوع، ويقوم بهذه الأمور في «فيلق الاحتياطي الطبي» بغباء لا شائبة فيه. ولكنه يتمتع بالفحولة. اسأل هيرتا الصغيرة. التي ستشهد بانهزام على ذلك. يمكنها التحدث بالكاد. الاشتراكية القومية ليست سوى بيولوجيا تطبيقية. أوديلو طبيب: جندي بيولوجي. لذلك، فإن هذه العريدة المستمرة لسنتين حتى الآن لا بدّ أن تشكل جزءًا من حملته الشخصية. إنه الآن في الخدمة الفعلية؛ يشتم المساحيق؛ يؤرقه موضوع الرضيع. نعم، ما زالا يرغبان في واحدًا، حتى وإن مثّلت إيفا إحباطًا بالنسبة لهم. عندما يضع أوديلو هيرتا على السرير، جسدها متباعد وملتوي، مع كاحلها على كلا جانبي رأس السرير، يبدو كما لو أنه يحاول قتل شيئًا ما وليس خلقه. ولكننا نعرف جميعًا الآن أن العنف يخلق، هنا على الأرض. لم نراه قادرًا بهذا الشكل من قبل، ولا حتى في نيويورك عندما كنّا نمشّط الممرضات من شعرنا. أحيانًا ما تبدو هيرتا وكأن لها علاقة بفترة العجز الفاصلة الغريبة تلك. ولكن هذا ليس صحيحًا. ما الذي صنع الفرق، أتساءل؟ بعد شلوس هارتهايم، التي يبدو أنها مستمرة للأبد، تحرك ثلاثتنا خارج منزل أبويها وحضرنا إلى ميونخ الغارقة في هواء جبال الألب بعيدًا عن غرفة طفولة هيرتا، بعيدًا عن الملائكة على الحوائط التي اعتادت مراقبتها، هنا في شقتنا، لدينا هيكل عظمي يراقبنا، مصنوع من الخشب

Twitter: @ketab_n

الأبيض، ورسومات تشريحية ممتلئة باللحم البني.

الفتاة الألمانية فتاة مرغوبة. تبدو بسيطة دائمًا. بدون زينة وبسيقان مشعّرة. لا مشكلة في هذا مع أوديلو. في الحقيقة هو من يمنعها من استخدام أدوات التجميل، حتى الصابون؛ وبالنسبة لشعرها وما أسفله، وإبطيها ذوي الجلد المتيبس، و خصلاتها العلوية وإكليلها السفلي - هيرتا، تراودني الشكوك، قد تكون مشعرة أكثر من أي ثور ضخم ومع ذلك ما زالت قادرة على منح السعادة لأوديلو. يدعوها باسم *Schimpanse*: الشمبانزي الخاص به. يتوجب القول أنني مجنون بها أيضًا. ثرثرة جسد هيرتا بالشباب. أذنيها كالكعكات الرقيقة، وأسنانها كالحلوى. لحمها ناعم ومشدود كلحم الزيتون. في البداية لم تكن متحمّسة جدًّا، بل دائمة الشكوى من التعب أو سرعة الغضب؛ ولكن هذه الأيام، كما يقول أوديلو مرارًا وتكرارًا لجميع أصدقائه (وهي مجاملة ينطقها، فيما أعتقد، بتهذيب وصوت عالٍ رغم ذلك) تضاجع كباب مرحاض في سفينة تتقاذفها عاصفة هوجاء. هيرتا صغيرة جدًّا حتى أنه يبدو من الطبيعي أن يكون صارمًا جدًّا معها. في الثامنة عشر من عمرها. وتصبح أصغر وأصغر طوال الوقت. يجب ألا يستسلم المرء للتفاؤل، ومن العبث أن يتوقع الكثير، ولكن في بضع سنين لن تصبح مضاجعتها قانونية.

إنه أمر عذب جدًّا. والآن والزفاف يقترب، يصبح أوديلو أكثر رقة تمامًا. توقفت نوبات غضبه. لم يعد الشمبانزي

Twitter: @ketab_n

الخاص به مطالبًا بالقيام بالأمور المنزلية عاريًا، وعلى أربع. تستجيب هيرتا بامتنان، وبرقة لا حدود لها كما يبدو، لم أراها من قبل... تسامت إلى نشوة شهوانية، حتى أصبحت قريبة الشبه بالزواحف.. العقل الأعلى، الروح، أميرة الملَكات البشرية - تغيب بعيدًا. وكذلك الحال، بالطبع، مع عقل الزواحف. لنتفكر في هذا الأمر. عندما تجتمع عقول الزواحف معًا، ترغب في إيقاع الأذى وهي في وضع الأمان، ولكن عندما يتعلق الأمر بأجسادها فقط، يبدو أنها ترغب في تقديم الخير، والاقتراب، بأقصى مخاطرة ممكنة على النفس. لا أعرف. ما زلت هنا، في سريرهم، ويعجبني هذا؛ ولكن النشوة المتدفقة تأتي من أوديلو، ذلك العظاءة البرّاقة، ومن هيرتا، تلك العظاءة المتوهجة، في عالمهما الخاص من الطين الناعم المفعم بالحيوية، حيث لا يتوجب عليهما تبادل أي كلمات: لا شيء سوى الهمهمة والنعيب.... حياة عشقهما تتخلص بثبات من جميع أوجه الخلل. على سبيل المثال، اعتادا أن يمارسا لعبة ما (مرتين أسبوعيًا، أو أكثر من ذلك إذا وضع أوديلو قدميه على الأرض)، حيث يتوجب عليها الرقود ساكنة وعدم إظهار أي علامة إلى الحياة أثناء اللعبة بطولها. بشكل مشابه، اعتاد على إبداء اهتمام صحي بحركات أمعاء زوجته متى تحرّكت. ولكنّ هذا كله أصبح وراءه الآن. عندما تبكي وتقطّب جبينها، يجفف دموعها بقبلاته، وليس بلكمة في أثداءها. تبكي هذه الأيام بالكاد: الزفاف على بعد أسابيع فقط، بتكرار يضّمحل أكثر وأكثر مع مرور الوقت، وإن كان

Twitter: @ketab_n

منتظمًا حتى الآن (لنقل في معظم الليالي)، يبدأ أودويلو في التخلي عن ميثاق الزواحف ويبحث، بكل حماس، عن قطعان أصدقاءه: قوتهم في أعدادهم الفوّاحة، في حرارة جلودهم وتلاحمهم. نصيح ونُسيل لعابنا، متّخذين أوجه الرضّع المشوّهة؛ بالطبع كأفراد لا قوة لدينا أو شجاعة، ولكننا معًا نشكّل جمهورًا متوهّجا. غالبًا ما تبدأ ألعاب المساء بانطلاقنا للخارج ومساعدة اليهود. أوديلو وهيرنا وأنا في شهر العسل رسميًا الآن ولا نذهب في الحقيقة إلى أي مكان. باستثناء العودة إلى برلين، من أجل الزفاف.

كانت نظرتي إلى اليهود واضحة بلا التباس دائمًا. أحبهم، فأنا، أودّ القول، ذو طبيعة محبة للسامية. تعجبني أعينهم بشكل خاص. تلك النظرة الحارّة، الزلقة. غرابة مثيرة توحي بالتفوّق - من يعرف؟ على أي حال، لماذا نتحدث عن صفاتهم ؟ لا أطفال لديّ؛ ولكن اليهود هم أطفالي وأحبهم كما ينبغي لأب أن يحب أبناءه، وهذا يعني أنني لا أحبهم بسبب صفاتهم (رغم اهتمامي بها بطبيعة الحال)، وأتمنى لهم مجرد الوجود، والازدهار، وأن يتمتعوا بحقهم في الحياة والحب.

أتذكر أسماءً ووجوهًا، أسماء سمعتها في نداءات تجمعات الفجر في ميادين المدينة، في حفر الوقود الفارغة أو الخنادق المضادة للدبابات، أو تحت ضوء مشاعل رجال الشرطة التحذيرية، أو في مناطق الانتظار، في محطات القطار، في الحقول الخضراء في الليل. وأسماء رأيتها على القوائم

Twitter: @ketab_n

المطبوعة، وحصص المعونة، والبيانات الدعائية. لونكا ومانيا، وزونكا ونيتكا، ليبيش، فايجيله، أيزيك، ياكوف، موتيل، ومالتا، وزيبورا، ومارجاليت. هناك من أوشفيتز-بيركينو-مونوفيتز، من رافينسبروك، ساشسينهاوسين، ناتزفايلو وتيريسينشاتدت، من بوخينفالد وبيلسين ومايدانيك، من بيلزي، من كيلمنو، من تريبلينكا، من زوبيبور.

الابتسامة المريضة التي يطلقها أوديلو طوال يوم زفافه تبدو، عندما أتذكرها الآن، مناسبة تمامًا. أرى نظرته الخبيثة هذه باستمرار، نظرة خبيثة لرجل ريفي يقظ، منعكسة في المرايا الصغيرة المتناثرة على تاج زواج هيرتا (مسألة تقليدية: لطرد الأرواح الشريرة، وما إلى ذلك). نعم، كانت ابتسامته تعليقًا ملائمًا على المناسبة؛ وهكذا كانت التربيتات المتفجرة على الظهر التي قدمها أصدقاءه الجدد الكثيرين. وهل ينبغي على المرء أن يبدو بخلاف ذلك في سياق احتفالية فردية، يقبّل الجميع فيها قبلات وداع - أمر عليه أن يحيلها إلى فوضى مطلقة بعاصفة إسرافية من الأرز وقصاصات الأوراق؟ منحتني إكليل الشهداء، والزعفران والقرفة، والخبز، والزبد وبقية الأشياء. ومنحتها أنا كل قوتي. نقلنا خواتمنا من الإصبع الرابع لليد اليسرى إلى الإصبع الرابع لليد اليمنى. قالوا أن القمر حينها كان قمر زواج برّاق ينبئ بحظ طيب: كان في ارتفاع. ولكنني لاحظت أن القمر فوق رأسي كان في طور المحاق. ثم تأتي الضربات غير المحتملة على الظهر والكتف. ثم ابتسامة الخضوع

Twitter: @ketab_n

المصطنعة. ثم ضحكة هيرتا المنتصرة.

عادت هيرتا مبتهجة إلى بيت أبويها، ورقدتْ هناك، بين الملائكة ذوي الأجنحة الذهبية. وأديلو؟ أين بيت أبوينا، بحق المسيح؟ فجأة أصبحتُ في نزل متواضع من خمسة طوابق، تملئه فوضى الأوراق النقدية المختلسة والأحذية الرياضية، حيث تشاركنا العليّة مع رولف وراينهارد ورويدجر وردولف، وعرفنا كوابيس *Alpdruck* المعارك حول المناشف والكتب الدراسية والنكات حول الجثث ومغازلة النساء. هذا صحيح: أنا في مدرسة الطب. في ألمانيا الجديدة أيضًا، التي تراودني فيها مشاعر القلق والاغتراب تجاه الآخرين من حولي. حتى الشوارع تبدو كمسكن كبير هذه الأيام، مع ضغط مجموعات الأزواج الهائل والتدقيق الشديد الذي لا يمكن التنبؤ به، مراهق، قبيح، وجنسي، ولكنه غامض من الناحية الجنسية أو أنه غير مكتمل التشكّل، ومصنوع من مجموعة من الأوضاع الجسدية السخيفة التي لا يسمح لأحد بالسخرية منها. اسخر من هذه الأوضاع السخيفة وسيرغب الجميع في قتلك. كم أنا محظوظ لكوني غير قابل للقتل. غير قابل للقتل، ولكني لا أتمتع بالخلود. ماذا حدث لرجولتنا؟

كان من الممكن أن يصبح الوضع أسوأ بكثير، لأننا ما زلنا نرى هيرتا كل يوم، في الكلية: إنها سكرتيرة ترتدي تنورة ضيقة في مكتب المدير. غالبًا ما أنجح في التحدث معها لعشر دقائق في الردهات، وأجلس بقربها تمامًا في الكافتيريا،

Twitter: @ketab_n

وهنـاك بـئر سـلم نذهـب إليـه ونتبـادل القبـلات - حيـث نتنفـس في وجـه أحدنـا الآخـر. وهنـاك أيضًـا مقاعـد الحديقـة والممـرات المظلمـة. تنجـح ضحـكات ميـكي مـاوس المكبوتـة وجريتـا جاربـو في تشـتيت نظرتهـا المليئـة بالألـم بعيـد عـن تلويّاتنـا المكبوتـة عـلى الفـراء القصـير لمقاعـد دار السـينما. نتشـبث ببعـض في أمـان الزحـام تحـت أضـواء المشـاعل ومصابيـح الشـوارع. أثنـاء فواصـل زمنيـة بعينهـا تمتـد لعـشر دقائـق في غرفـة أبويهـا الأماميـة، أثنـاء قيامهـم بتجهـيز الأطباق القـذرة لتنـاول العشـاء، نجحـتُ في تحقيـق الكثـير.... وكذلـك أثنـاء نزهاتنـا الخلويـة الربيعيـة والصيفيـة. بـين نباتـات العائـق وأنـف العجـل والخطميـة، عـلى غطـاء سريـر، بجـوار سـلة مَجدولـة، سـتمنحني أحضـان مليئـة بالحنـين - يتبعهـا دائمًـا - مـن جانـب أوديلـو، سـاعات مـن التوسّـل المـليء بالدمـوع. كنـا سـادة ذات مـرة، والآن أصبحنـا عبيـدًا. أكـثر مواضيعـه ازدهارهـا هـو أن الإحبـاط في طريقـه لتدمـير صحتـه. أمـر آخـر ينجـح عـادةً، هـو تسـمية الأزهـار بالإنجليزيـة. تشـدّ الغابـة مـن أزرهـا وتمنحهـا الشـجاعة. الفتـاة الألمانيـة فتـاة مرغوبـة. أوديلـو ممـتن بجنـون لأي لمسـة يـد أو نظـرة عـين أو كلمـة عذبـة تجـد طريقهـا إليـه في هـذه الأجمّـة. ولكنـني لسـت كذلـك. إنـه ينـسى. وأنـا أتذكـر دائمًـا. هـذا التحسـس المعـذّب في الظـلام. شـعرتُ بالانزعـاج الشـديد بسـبب هـذه النزعـة الانتقاميـة الشـهوانية. أعـرف شـيئًا يبـدو عاجـزا عـن مواجهتـه: لـن يحـدث هـذا الأمـر مـرة أخـرى. يصـدق المسـتقبل دائمًـا. بحـزن نجمـع التوسّـلات بعـدم النسـيان. إنهـا تحبـني... في الواقـع أصبحنـا

Twitter: @ketab_n

بالكاد نجرؤ على النظر إليها، تلك السكرتيرة الضئيلة، مع تلك القوة التي تتمتع بها. تقول أشباح الأحرف المنحوتة على الأشجار في الشوارع *Ja* بينما تقول هيرتا *Nein* وهي تأخذ يدي وتضعها، للحظة غاضبة، بين فخذيها. لاحقًا، في أواخر الظهيرة، أتوجه إلى الكلية: العظم الوجني، مرض اللويحة الصفراء، الالتواء المعوي، ينساب كل هذا منه، على الأقل، في النهاية، كل هذا الهراء القبيح. ورغم ذلك، فإن معظم دروسه، وهو ما أصابني بالمفاجأة، لم تكن حول الجسد البشري كآلة: كانت حول إدارة المستشفيات. أحيانًا ما أتسلل أنا وأوديلو في أواخر الليل إلى سطح النزل، بينما يحلم الألمان بأحلامهم. هناك نستمتع بسيجار مبتسر (مع إحساس بارانويا طفيف) لنراقب النجوم، التي يبدو أنها تساعد على تهدئة أبصارنا.

متعة وراحة موازية، بالنسبة لي على الأقل، كانت مراقبة اليهود. الناس الذين كنت قد ساعدتهم على النزول الحالم من السماء. ألهمني حجم المساهمة المقدر لهم صنعها. سينجح الأمر تمامًا. بحكمة حذرة في البداية - متهيّب ربما، من مجرد الأرقام (لأنهم كانوا يأتون الآن من كل أرجاء المتجر الكبير، من كندا، من فلسطين) - اتسع المجتمع الألماني كما ينبغي للترحيب بالقادمين الجدد. كان اندماجهم السريع، ونجاحهم المضطرد سببًا في نطق بعض الكلمات القاسية. كان اليهود يحصدون جميع الوظائف المغرية، في الحقل الطبي على وجه التحديد، وهو ما أصاب أوديلو

Twitter: @ketab_n

بالغضب الشديد هو وأصدقاءه، وهو، بصراحة، ما أقلقني أنا أيضًا. لم أقطع كل هذه المسافة لرؤية أبنائي يتحولون إلى أطباء. ولكن ليذهب كل هذا إلى الجحيم. شخصًا ما عليه فعل شيء حيال ذلك: لسبب ما: رغم وحدتي واهتماماتي التي تزداد حالتها سوءًا، كانت إلغاءات القانون العرقي تعيد الحياة إليّ دائمًا. حتى هنا، رغم ذلك، كانت هناك سخرية سادية في العمل، لأن هذه الإجراءات التقدمية دائمًا ما تزامنت مع بعض الإجراءات القسرية لدى هيرتا. نعم، مهزلة كبيرة بلا شك. خطوة بخطوة يتحرك اليهود وأعينهم ترمش خارجين إلى ضوء الشمس. بينما أتراجع أنا بالتدريج: معرضًا للسخرية والازدراء بسبب حريّات الحب جميعها. على سبيل المثال.

اليهود العميان والصمّ يرتدون شارات الأذرع التي تحدد حالتهم أثناء التنقّل. لم يعد لديّ جسد سفلي، قلب خارجي، في مخطط هيرتا للأشياء. أصبحت مشطورًا من منتصف جسدي للأبد.

سُمح لليهود بالاحتفاظ بالحيوانات الأليفة؛ الببغاوات و الجراء، إلى آخره، تُوزع عليهم في أقسام الشرطة. يبكي اليهود بامتنان وهو يأخذون رفاق ألعابهم الجدد إلى منازلهم. تبدأ هيرتا في التنفس بشكل مختلف عندما نتبادل القبلات؛ إنها رصينة وهادئة دائمًا؛ كل حركة مني تخضع للمراقبة الباردة.

سُمح لليهود بشراء اللحوم، والجبن، والبيض. استرجاع

Twitter: @ketab_n

كل مزايا النزهات الخلوية، حتى وإن وكنت أنتحب بشأن صحتي وأسمّي الزهور بالإنجليزية حتى ملئت الزرقة وجهي.

مُنح اليهود القدرة على بناء علاقات ودية مع الآريين. لم تعد هيرتا تقول «أحبك». ما زلت أقولها. يستمر التقبيل بيننا، ولكن الألسنة محرّمة تمامًا الآن.

رُفع حظر التجوال عن اليهود. اعتاد أن يكون التاسعة مساءًا في الصيف والثامنة مساءًا في الشتاء. يجب أن تكون هيرتا في المنزل قبل الثامنة والنصف، مهما كان السبب.

لم تعد تسمية «كافر» ملزمة لليهود. ولكنني يجب أن أقول أنني لم أعد مؤمنًا.

تحبي، لا تحبني. أستقل نفس الأتوبيس لساعتين ثم ركوبة ترام لأحصل في النهاية على نفس النقرة القديمة على الخدّ. قريبًا ستحتفل بعيد ميلادها السادس عشر. ثم ماذا؟

هل سنتمكّن من إمساك اليدين على الأقل؟ أحيانًا، بوحشية، أجد نفسي أشجع أوديلو على استخدام العنف (بسرعة، قبل أن تبلغ الخامسة عشر): العنف، الذي يُصلح ويشفي. في الحقيقة، رغم ذلك، لا أشعر بحماس كبير تجاه المغامرة. هل يستطيع فعل ذلك في رأيك؟ هل العنف كامن فيه؟ توصلت لاستنتاج أن أوديلو أونفيردوربن، ككائن أخلاقي، غير استثنائي على الإطلاق، عرضةً لفعل ما يفعله أي شخص آخر، سواء كان جيدًا أم سيئًا، بلا

Twitter: @ketab_n

حدود، متى أصبح تحت غطاء الأرقام. لم يتمكن أبدًا أن يصبح استثناءً، فهو يعتمد على صحة مجتمعه، يحتاج إلى الابتسامات الكالحة لرولف ورادولف، لرويديجر، لرانيهارد. في «ليلة البلّور»[2*] عندما اندفعنا جميعا ولعبنا وساعدْنا اليهود، ودارت قطع الزجاج الفوّارة في دوّامات كالنجوم أو كالأرواح، وعندما انحنت هيرتا لتمسح شفتيها بمنديل وردي - قبل أن تبصق لساني خارج فمها. هل هو خطأ اليهود بشكل ما؟ خصلة الشعر تلك التي كنت لديه، محفوظة في صندوق الأقراص - لماذا أعادها إليها؟ يمكنني الآن رؤية الشكل والحجم الدقيقان، الحجم الحقيقي للوحدة المقبلة علينا. تمنحني الأزهار ولكنها لا تحبني. لا تحبني.

صمتًا، *sprich durch die Blume*. سكوت الآن، لنتحدث عبر وردة. أعرف أنك لا تستطيع التبرّم: بسبب أمر واحد، لأنه ضد القانون.... توقفتْ عن التحدث إليّ. كانت مسألة وقت فقط. في أحد الأيام في محطة الأتوبيس، بينما تصعد، لم تفعل سوى التلويح بالوداع لي. ما زلت أنتظرها في الأمسيات، أتعقبها بينما تسير إلى المدرسة، بالطنين في أذني. تتحرك الآن مباشرةً عبر نظرتي، التي لم تعد لها القوة اللازمة لإيقافها أو إبطائها. ثم اختفت. رحل شكلها الصغير للأبد، وحل مكانه خواء من نفس الأبعاد. أبحث عنها في كل مكان - ولكنه لا يبحث معي. كان شفاء أوديلوا

2* ليلة الزجاج المكسور أو ليلة البلّور (Kristallnacht): مصطلح يشير إلى عمليات تخريبية تمت في 10-9 نوفمبر 1938 ضد مصالح وبيوت اليهود في ألمانيا النازية (المترجم).

Twitter: @ketab_n

سريعًا ومعتوهًا. في اليوم التالي وبّخه البروفيسور بسبب الضحك بصوت مرتفع في محاضرة التشريح الوصفي: كان رولف ورادولف يتبادلان النكات حول الجثة الأنثوية، بدت مشاعره وقد تحوّلت تمامًا، بأفلاطونية وبراءة، في اتجاه راينهارد ذو الجبين الجميل.... أعاني وحيدًا. *Arzt fur Seelisches Leiden*. تقول اللافتات الموضوعة على نوافذ الطابق الأرضي. طبيب لعلاج الأرواح المريضة. يبدو وكأنه الطبيب الذي أحتاج إليه فعلًا. في الوقت الحالي نقضي وقتًا كبيرًا في المستشفى، كزائرين - لأن أمنا ظهرت أخيرًا. اسمها، بالمناسبة، مارجريت. كنّا أوديلو وأنا مستمرّين في تهوية الشقة الجديدة حتى أصبحت مثقلة برائحتها. أعتقد أنه ربما نؤسس بيت جديد معًا. على الأقل ستصبح شخصًا يمكنني التحدث مع. بالإنجليزية. تذكّرني بأيرين. تقول دائمًا، «أين أنا؟ أين أنا؟»، ويجيبها أوديلو دائمًا: «في المستشفى»، بقسوة يجيبها: «في المستشفى. في عنبر في المستشفى. *Das Krankenhaus, Mutti. Im Krankenhaus*

في ماذا؟ أرغب في تناول يدها لأقول لها، أمّاه. أنتِ على كوكب يبدو ككرة كريستالية أو قطعة رخام على سرير خفيف من القطن. تحوم الطيور حوله. أمّاه، أنتِ على كوكب الأرض.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

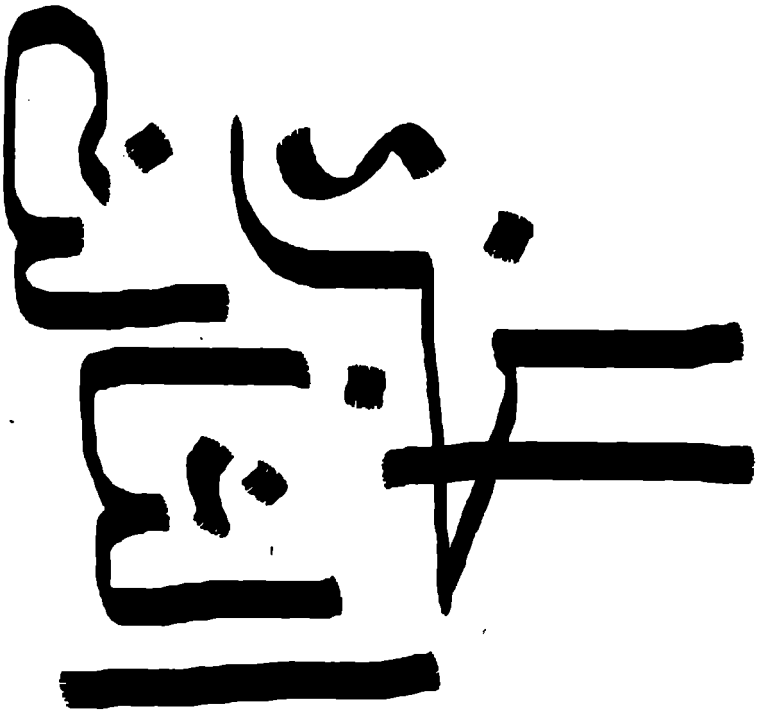

Twitter: @ketab_n

8

لأن البط بدين!

منذ أيامي في شلوس

هارتهايم وأنا أفكّر في القيام

برحلة شاعرية، إلى أوشفيتز.

موضع القوة عند نقطة التقاء الأنهار؛ الموضع الذي نزل إليه اليهود المرّقمون، والآخرين جميعًا، الذين لا أرقام لهم، هابطين من السماء؛ المكان الذي اختفت فيها «لماذا» لبعض الوقت. وقد حدث ذلك. في عام 1929. كنت قد سافرت قليلًا حينها، أثناء خدمتي العسكرية وخدمتي الإجبارية وأثناء عطلات «القوة من خلال البهجة» وباقي هذه الأمور، واعتقدت حينها أنني أضعت فرصتي. ولكنه حدث. كنتُ في الثالثة عشر.

حدث من خلال رحلة تخييم تحت إشراف واحدة من المنظمات الشبابية المنبثقة عن اتحاد شباب *Stahlhelm* (الخوذة الحديدية) القديم. كان الصباح بلا لون مليئًا بالضباب عندما عسكرنا في العراء على الضفة اليسرى لنهر سولا. قمت بتفكيك حقيبة النوم، وأنا خالي الفكر تمامًا، رغم أنني لاحظت بقع من العشب السهمي، نبات المستنقعات المألوف ثلاثي الأطراف، مع نهاياته المتفجرة.

Twitter: @ketab_n

في تلك الليلة ملئني العشب السمهي بالأفكار، وأثار حيرتي، بينما كان أوديلو مستغرقًا في النوم. عندما استيقظت كان الهواء دافئًا والليل رائقًا تحت الشفرة السحيقة والمستحيلة للنجوم. جلسنا حول النار، كما يفعل أي شخص، وغنينا وأنشدنا الأغاني الباكية؛ ثم تناولتُ الدلاء وذهبت مع ديتر، الذي أحبّه أوديلو، لإحضار الماء إلى المستنقعات الضحلة. ثم وجدته هناك: التقاء الأنهار تحت القمر المكتمل، ومسارات السكك الحديدية في رحلتها المتوقفة.

لاحقًا، مضينا مصطفين بجوار الموقع. كان هناك حوالي عشرين كوخ حجري، متماسكة كما يظهر بفعل قاذوراتها الخاصة (تكنات المدفعية النمساوية، من أجل الحرب)، وبعدها بمسافة قصيرة، عدد من الأبنية عديمة الشخصية بشكل سخيف، مملوكة، كما علمت، من قبل «احتكار التبغ البولندي». أوشفيتز البولندية. وراءها، عبر غابة أشجار البتولا، ترقد بيركينو، حيث تمتعتُ بالتناغم مع قوى الطبيعة. كان كل شيء بائسًا وبريئًا. كانت كل الماهيّات، كل القوة والتساؤلات، قد تلاشت تمامًا بفعل الزمن والطقس.

عمري الآن ثلاثة سنوات، وأعيش، في ظروف منحدرة بعض الشيء، على الحافة الجنوبية لمدينة تدعى سولينجن.

تشتهر سولينجن، بسكاكينها، ومقصاتها، وأدواتها الجراحية. من منطقة تجميع تمتد عبر وسط أوروبا، تتجمّع السكاكين، والمقصات، والأدوات الجراحية هنا في سولنيجن وتتحول إلى صلب. وبالقرب منها تمامًا، نقدّم الجولف،

Twitter: @ketab_n

وركوب الخيل، والتنس، والرماية. وأخيرًا، تحتضن سولنجن المتواضعة سرّها الداعي للفخر. أنا الشخص الوحيد الذي يعرف ما هو ذلك السر: فسولينجن هو موطن ميلاد أدولف أيخمان. ششش... سكوت الآن. لن أخبر أحدًا، ولو فعلت، من سيصدقني؟

قريبًا سأولد أنا أيضًا. هذا المنزل ذو الشرفات سيكون موطن ميلادي. إنه موقف صعب جدًّا. أعتقد ذلك، ولكنني لن أسمح به بإحباطي. في الحقيقة، فإن الأوقات التي أتمتع فيها بسلامة الذهن وصفاءه أصبحت أقل تكرارًا وطولًا مع مرور الوقت. الأب هيكل عظم مكسو باللحم الشاحب مع نصف قدم يمني فقط. الأم تشبه عجينة دافئة في جليد رداءها الليلي. إنها ممرضتي: تعمل في دار سولينجن للعجائز. أيام أوديلو ما هي إلا أدوية خرافية ولكننا ما زلنا بحاجة إلى البكاء أحيانًا حتى يزيل الأب الألم بمسحة إيقاعية إلى أعلى بيده المهتزّة. عندها نصبح سعداء مرة أخرى (ولكن بلا أي فائدة). الأم تؤمن بالشفاعة، ولكنه يتمتع بالقوة. تناغيات الصباح في وجه أوديلو وفي وجهي بلغة لا يسمعها سوانا. نقول أشياء لأمنا من قبيل:

«أمي؟ الدجاج حي. نمسك به ونحرقه - ثم يصبح ميّتًا! ولكن لا يمكنك أكل الدجاج. ليس الدجاج الطيب الصغير. لأن الدجاج طيب. يمكنكِ فقط التربيت عليه وما إلى ذلك. رغم ذلك، يمكنكِ أكل البط. لأن البط بدين».

مهلًا. هناك خطأ. خطأ. الفئة... نحضره. نضعه، نحضره،

Twitter: @ketab_n

نأخذ بأنفسه بعيدًا. لماذا كل هذا الدجاج وكل هؤلاء الرضّع؟ ما الذي يحدث لنا؟ لماذا هناك الكثير منه؟ كنا قساة: لن يكون الدجاج هنا لفترة طويلة. اخترت ذلك، ألم أفعل؟ لماذا؟ لأن الرضّع بدناء؟.. ولكننا بعيدين الآن، نعود عبر الحقول حيث كل شيء حيّ يزدهر في إهمال بائس، ويتأرجح كل ثانية بين السعادة والرعب، عقلنا ممتلئ باعتراضات عديمة المعنى على وعود على معنى لها، وجاهل وبريء، ولم يعرف أو يرى أحد أبدًا، ولا حتى أيرين، ولا روزا، ولا هيرتا، ولا اليهود ولا الآخرين الذين صنعتهم.

أمي فقط. أصبحت علاقاتنا بها حميمية بالفعل، وإذا مضى كل شيء كما ينبغي، ستصبح أكثر حميمية. على سبيل المثال، ساعات طويلة، طويلة جدًّا في كل نهار وفي كل مساء أقضيها مهتزًّا بين ذارعيها، أقبّل أثدائها (يُسمح بذلك. لا يمكنه التوقف). ثم في النهاية ستنعقد رابطتنا الجسدية، باستخدام مقصات سولنيجن. عندما أدخل فيها، ستبكي كثيرًا وتصرخ كثيرًا. حينها سأكون قد رحلت. أوديلو نفسه لا يعرف مقدار القوة التي نسيطر بها عليها وكم تحبنا: لا يشعر بها عندما تأتي في الليل وتحلّ أغطيتنا وتتحسس جبهتنا وتبكي بقلق أننا مرضى.... قريبًا، سيحتفظ بها الأب لنفسه فقط. أعتقد أنه يتضوّر جوعًا. إنه نحيل كرجال الحصبة *Muselmänner*. عندما يأكل، لا يأتي بما يكفي. غير كافي - غير كافي لإبقاء الجسد والروح معًا. بابتسامة ساخرة داخلي أدعوه بالبديين. نظرته الانهزامية، غير المتسامحة،

Twitter: @ketab_n

الغاضبة: عيناه متجّهمة بكل هذا، وجهه متغضّن بالهزيمة وبجروح لم تبرأ. ستتحسن حالته غالبًا بعد الحرب. قدمه المعطوبة ستتحسن. لا يمكنني بالطبع مسامحة والدي على ما سيفعله بي. سيأتي ويقتلني بجسده. يعرف أوديلو هذا ويشعر به أيضًا.

عليّ أن أبذل محاولة واحدة أخيرة، لكي أصبح صافي الذهن، لأتمتع بالوضوح. ما يقلقني في النهاية هو أسئلة الوقت: فترات زمنية معينة. حتى عندما تظهر الأشياء أمامي، صُنع اليهود لينتظروا طويلًا جدًّا في ميادين المدينة، مع أطفالهم الذين تزداد صعوبة السيطرة عليهم، والآن أعرف مدى صعوبة ذلك، عندما يبدءون في عملية الخلق: كم تتداعى عوالمهم بسرعة. صُنع اليهود لينتظروا طويلًا جدًّا في المروج الصيفية، تحت السماوات المتسارعة، حيث تتحد العائلات غالبًا باجراءات تنطوي على تشويق كبير جدًّا، وبجوارهم الأطفال يعدون بعيدًا ثم يتوقفون فجأة وأيديهم مرفوعة كالمخالب، باحثين عن شيئًا ما، والرضّع على الأرض على بعد ياردات قليل ملتفين في الأوشحة، يبكون، ولا وجود لآبائهم، لفترات طويلة جدًّا.... أحلام أوديلو الآن مليئة بالألوان والضوضاء، ممتلئة بالنشوة أو الرعب، ولكن بلا محتوى، ليس بعد الآن.

توقفَ للحظة، في الحقل. فقط للحظة. بالنسبة إليه لم تعد هناك وحدات أكبر من ذلك لقياس زمنه الخاص. عليه أن يتصرّف قبل أن تذهب طفولته للأبد، بينما ما

Twitter: @ketab_n

يـزال كل شيء رفيـق لألعابـه – بمـا في ذلـك الـكاكا الخاصـة بـه. عليـه أن يتـصرف قبـل أن تنقـضي طفولتـه، قبـل أن يـأتي شـخص ويأخذهـا بعيـدًا. وسـيأتي حتًّمـا هـذا الشـخص. أتمـنى أن يرتـدي الطبيـب شـيئًا مناسـبًا، شـيئًا رصينًـا، وليـس المعطـف الأبيـض والحـذاء الأسـود الطويـل، وهـو مـا يعتـبر بالتأكيـد.... أنـا نفـسي. خطـأ. خطـأ. نحـضر، نضـع. انظـر! إلى الـوراء، قبـل منحـدر أشـجار الصنوبـر، تتجمـع الراميـات بأهدافهـم وقسـيّهم. وفوقهـم، ضـوء خافـت يـأتي مـن سـماء تتصـارع مـع غثيانهـا، الـذي يمتـد لدرجـات لا نهايـة لهـا ولا فـروق بينهـا تقريبًـا. عندمـا يغلـق أوديلـو عينيـه، أرى ذبابـة سـهمية – ولكـن بشـكل خاطـىء. النقطـة الأولى. أوه لا، ولكـن حينهـا... نبتعـد مـرة أخـرى، فـوق الحقـل. أوديلـو أونفيردوربـن وقلبـه المتحمّـس. وأنـا في الداخـل، أنـا مـن أتيـت في الوقـت الخطـأ – إمـا أنـه قريـب جـدًّا، أو بعـد أن أصبـح متأخـرًا جـدًّا.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

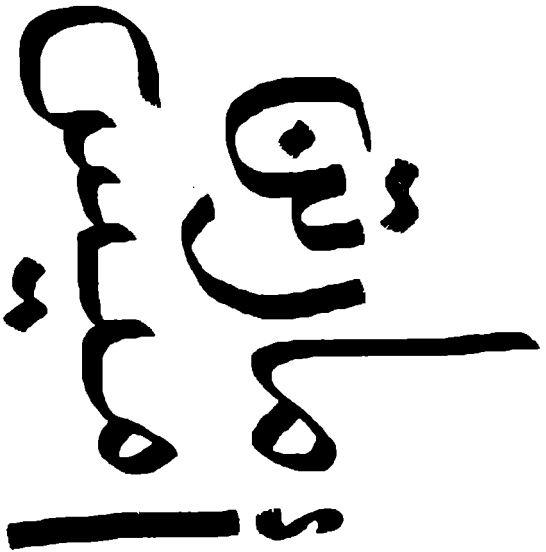

ولـد في أكسـفورد عـام 1949، ودرس في بريطانيـا وأسـبانيا والولايـات المتحـدة، ثـم تخـرج في جامعـة أكسـفورد مـع مرتبـة الـشرف في اللغـة الإنجليزيـة. كتـب ونـشر أولى رواياتـه "أوراق راشـيل" (1973) أثنـاء عملـه كمسـاعد تحريـري في ملحـق التايمز الأدبي. حيـث حـازت هـذه الراويـة عـلى جائـزة "سومرسـت مـوم" في عـام 1974 ثـم تبعهـا بروايـة "الرضَّـع الأمـوات" في عـام 1985. عمـل أميـس محـررًا أدبيًّـا في "نيـو ستيتسـمان" بـين عامـي 1977 و 1979 حيـث نـشر روايتـه الثالثـة "نجـاح" في 1978.

كان أسـتاذًا في الكتابـات الإبداعيـة في مركـز للكتابـة الجديـدة في جامعـة مانشسـتر حـتى عـام 2011، وصنَّفتـه جريـدة ذي تايمـز البريطانيـة كواحـد مـن أعظـم خمسـين كاتبًـا بريطانيًّـا منـذ 1945، وكان هـذا التصنيـف عـام 2008.

اسـتوحى أميـس كتاباتـه ممـا رأى حولـه مـن العبثيـة المُسـتشرية في مرحلـة مـا بعـد الحداثـة والفظائـع الـتي يعـاني منهـا المجتمـع الغـربي الرأسـمالي، والـتي يعكسـها رسـم الكاريكاتـير الخـلَّاق، لـذا فقـد وصفتـه جريـدة نيويـورك تايمـز الأمريكيـة بأنـه السـيد الـذي لا يُضاهَـى فيمـا أسـمته "السـخط الجديـد".

Twitter: @ketab_n

تأثر في كتاباته بروائيين آخرين أمثال سول بيلو، وفلاديمير نابوكوف، وجيمس جويس وأيضًا ترك فيه والده كينجسلي أميس أثرًا. وكما تأثر بغيره من الكُتاب فقد ترك أثره على جيلٍ من الكُتاب بأسلوبه المميز، ونشرت جريدة الجارديان ما لاحظه النُقاد في كتاباته لما أسماه كينجسلي أميس بـ" الوضوح القهري الهائل الذي يتسم به أسلوبه... والذي يُفسره إتقانه للإنجليزية".

يعتبره العديد من النقَّاد واحدًا من أكثر الأصوات تأثيرًا وتجديدًا في الأدب البريطاني المعاصر. تقع أحداث ثلاثة راويات أصدرها، فيما يشبه الثلاثية، في لندن حيث بدأها برواية مال: "مذكرة انتحار" (1984)، ساخرًا فيها من الانحطاط الأخلاقي والجشع التاتشري، ثم "حقول لندن" (1989)، وختمها براوية "المعلومات" (1995)، وهي قصة عن التنافُس الأدبي.

كما وصلت روايته "السَّهم الزمني" (1991) إلى القائمة القصيرة لجائزة البوكر للرواية.

من رواياته الأخرى "قطار المال"، وهي معارضة أدبية للأدب البوليسي الأمريكي، ورواية كبيرة الحجم للسيرة الذاتية "تجربة" (2000)، التي فازت بجائزة "جيمز تيت بلاك" التذكارية، و"كوبا الخائفة" (2002)، وهو عمل غير روائي يدور حول الشيوعية في القرن العشرين.

كتب أميس أيضًا العديد من مجموعات المقالات، مثل

Twitter: @ketab_n

الجحيم المورومي وزيارات أخرى إلى أمريكا (1986)، وزيارات إلى السيدة نوبوكوف ورحلات أخرى (1993)، والحرب ضد الإكليشيه (2001)، وهو كتاب يضم مجموعة من المقالات ومراجعات الكتب.

له أيضًا مجموعتان قصصيتان بعنوان "وحوش أينشتاين" (1987) و"المال الثقيل وقصص أخرى" (1998).

تتخذ روايته "منزل الاجتماعات" (2006) شكل رواية قصيرة وقصتين قصيرتين، و"الطائرة الثانية" (2008) وهو كتاب يضم مقالات وقصص قصيرة.

يكتب أميس أيضًا في العديد من الصحف والمجلات والدوريات، بما في ذلك صاندي تايمز والأوبزرفر وملحق التايمز الأدبي ونيويورك تايمز. مُنح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة شرق أنجليا في عام 2000.

أحدث كتاباته هي الأرملة الحامل (2010) وليونيل أسبو: دولة إنجلترا (2012).

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المترجم

عمـاد منصـور، مواليـد القاهـرة. مترجـم وقصـاص وروائي. تخـرج في كليـة الآداب، جامعـة القاهـرة. يعمـل في حقـل الترجمـة الأدبيـة والسياسـية والاجتماعيـة منـذ عـام 2005. يكتـب القصـة والروايـة، ولـه راويـة منشـورة بعنـوان "تحـت السـمع والبـصر" صـادرة عـام 2014 بالإضافـة إلى العديـد مـن القصـص القصـيرة المنشـورة في المدونـات ومواقـع الانترنـت

Twitter: @ketab_n

صدر عن دار الربيع العربي

2014

طهران..الضوء القاتم، أمير حسن جهلتن، رواية مترجمة
صياد الملائكة، هدرا جرجس، رواية
أبابيل، شريف عبد الهادي، رواية
الطيبيون، أدهم العبودي، رواية
النوم مع الغرباء، بهاء عبد المجيد، رواية
تقتلني أو أكتبها، عبد الصبور بدر، قصص
صف واحد موازي للوجع، ممدوح زيكا، شعر عامية
بنادورا، ميسرة صلاح الدين، مسرحية شعرية
لا شيء لي، محمد رجب، شعر

2013

بريود، محمد متولي، قصص
القاهرة، أحمد بخيت، ملحمة شعرية
آخر أحلام الدانتيل، معتز هاني، نصوص
شفرة فرويد، رامي جان، رواية
الوشم المقدس، شادي المحمودي، شعر

2012

ملك وامرأة وإله، نوال السعدواي، مقالات وقصص
آيات علمانية، عماد نصر ذكري، مقالات
الشوارع الجانبية للميدان، طارق مصطفى، متتالية قصصية
قميص جامعة الدول، أحمد الواصل، قصص
أورارا، فضل ساسي، رواية

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

مارتن أميس

السهم الزمني
طبيعة الجريمة

"يتحرك السرد لديه بقوة دافعة لا يمكن مقاومتها.. إنه كاتب جريء، كاتب صعب المراس يرغب في تحدي كل الاحتمالات الممكنة سعيًا نحو كمال فنه"

صحيفة نيوز داي

"مذهلة.. جريئة.. السهم الزمني هي أكثر روايات أميس تشويقًا.. تأسرك من السطر الأول حتى الكلمة الأخيرة"

لوس أنجليس تايمز بوك ريفيو

"يكتب أميس السرد بأسلوب شائك، وأناقة مثيرة للأعصاب، ممتلئًا بالإلحاح والمفاجآت"

نيويورك تايمز

"جَسورة، متوازنة تمامًا، رشيقة الخطوات.. هذه الرواية ما هي إلا سخرية سوداء مُهلكة. إنها أرقى أعمال أميس حتى الآن"

فاينينشال تايمز

"تُحيل السهم الزمني القارئ الملول، البائس، مكسور القلب، إلى قارئ مبهور ومندهش، يجد في هذا الراوية مرة أخرى مصدرًا للتنوير"

الجارديان

• • • • • • • • • • • •

مارتن أميس

وُلد في أكسفورد عام ١٩٤٩، ودرس في بريطانيا وأسبانيا والولايات المتحدة، ونشر أولى رواياته "أوراق راشيل" (١٩٧٣) والتي حازت جائزة "سومرست موم"، عمل أستاذًا في مركز للكتابة الجديدة بجامعة مانشستر حتى عام ٢٠١١، وصنفته جريدة ذي تايمز البريطانية كواحد من أعظم خمسين كاتبًا بريطانيًا منذ ١٩٤٥، يعتبره النقاد واحدًا من أكثر الأصوات تأثيرًا وتجديدًا في الأدب البريطاني المعاصر. كما وصلت روايته "السهم الزمني" إلى القائمة القصيرة لجائزة البوكر للرواية (١٩٩١). يكتب أميس أيضًا في صاندي تايمز والأوبزرفر، وملحق التايمز الأدبي ونيويورك تايمز. مُنح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة شرق أنجليا في عام ٢٠٠٠ .

الربيع العربي للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف:
عبد الرحمن الصواف